

فريدريش هلدريش

مختارات شعرية

ترجمة : حسن حلمي
تقديم : محمد بنيس



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION



دار الفكر للنشر

مختارات شعرية

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم غير مسؤولة عن آراء وأفكار المؤلف، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن آراء المؤسسة.

فريدريش هلد رلين

مختارات شعرية

ترجمة : حسن حلمي
تقديم : محمد بنيس



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION

tarjem@mbrfoundation.ae
www.mbrfoundation.ae



دار النشر للنشر

عمارة معهد التفسير التطبيقي، ساحة محطة القطار
بالتفكير، الدار البيضاء 20300 - المغرب
الهاتف / الفاكس: 022.34.23.23 - (212) 022.40.40.38
البريد الإلكتروني: contact@toubkal.ma - www.toubkal.ma

ثم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
تجارب شعرية

الطبعة الاولى، 2009
© جميع حقوق الطبع محفوظة

الايداع القانوني رقم : 2009/0304

ردمك 3-79-496-9954-978

رسالة مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

عزيري القارئ،

إن كان الحلم في حد ذاته أمراً مشروعاً، فإن الأكثر إلحاحاً في ظل التحديات التي تواجه واقعنا العربي هو العمل على تحويل الحلم إلى مشروع حقيقي على الأرض. وإذا كان العصر الذي نعيش فيه يتسم بالمعرفة والمعلوماتية والانفتاح على الآخر، فإن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ترى إلى الترجمة باعتبارها جسراً لاستيعاب المعارف العالمية وللحاق بالعصر.

لقد عبّر صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي عن مدى الحاجة للتعامل العاجل مع مقتضيات العصر عندما قال: «إن أهم ما في الاقتصاد الجديد هو الفكرة التي تنفذ في وقتها». وعليه فإن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم تعتقد بحزم أن إحياء حركة الترجمة العربية، وجعلها محركاً فاعلاً من محركات التنمية واقتصاد المعرفة في الوطن العربي، هي فكرة حان وقتها، ولا يجوز تأخيرها.

فمتوسط ما تترجمه المؤسسات الثقافية ودور النشر العربية مجتمعة لا يتعدى كتاباً واحداً لكل مليون شخص في العام الواحد، بينما تنتج دول منفردة في العالم من حولنا أضعاف هذا الرقم.

في ظل هذه المعطيات أطلقت المؤسسة برنامج «ترجم»، بهدف إثراء المكتبة العربية بأفضل ما قدّمه الفكر العالمي من معارف وعلوم، عبر ترجمة تلك الأعمال إلى العربية. ومن أهداف البرنامج أيضاً العمل على إبراز الوجه الحضاري للأمة عبر ترجمة الإبداعات العربية إلى لغات العالم.

ومن التباشير الأولى لهذا البرنامج إطلاق خطة لترجمة ألف كتاب من اللغات العالمية إلى اللغة العربية في خلال ثلاث سنوات، أي بمعدل كتاب في اليوم الواحد. وما الكتاب الذي بين يديك، عزيري القارئ، إلا دفقة في نهر معرفي نأمل أن يجري غزيراً ليروي الظمأ، ويسقي بساتين النهضة العلمية، وصولاً

إلى التنمية الشاملة في الوطن العربي.

إن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم على ثقة بأن هذا الكتاب سيكون بمثابة خطوة إلى الأمام في سبيل تحقيق رسالتها الكلية، المتمثلة في تمكين الأجيال المقبلة من ابتكار وتطوير حلول مستدامة لمواجهة التحديات، عن طريق نشر المعرفة، ورعاية الأفكار النيرة التي تقود إلى إبداعات حقيقية، بالإضافة إلى بناء جسور الحوار بين الشعوب والحضارات.

للمزيد من المعلومات عن برنامج «ترجم» والبرامج الأخرى لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، يرجى زيارة الموقع الإلكتروني: www.mbcfoundation.ae

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

عن المؤسسة

انطلقت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بمبادرة شخصية من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، الذي خصص للمبادرة وفقاً قدره 37 مليار درهم (10 مليارات دولار). وجاء الإعلان عن تأسيسها في كلمة سموه أمام المنتدى الاقتصادي العالمي في البحر الميت، الأردن في أيار/ مايو 2007.

تهدف مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم إلى تمكين الأجيال الشابة في الوطن العربي من امتلاك المعرفة وتوظيفها لمواجهة تحديات التنمية، وابتكار حلول مستدامة تابعة من الواقع المحلي، للتعامل مع المشكلات التي تواجه مجتمعاتهم. ولتحقيق هذا الهدف، حدد سموه ثلاثة قطاعات استراتيجية لعن المؤسسة، وهذه القطاعات هي: المعرفة والتعليم، والثقافة، وريادة الأعمال وفرص العمل.

فهرست

13	تقديم: محمد بنيس
25	من قصائد المرحلة الأولى
26	ديوتىما (1797)
27	أنبادو قليس
28	بونابرت
29	ديوتىما (1798)
30	إلى عبقريتها
31	ما لا يُغفر
32	إلى الشعراء الشبان
33	إلى الألمان
34	إلى إله الشمس
35	غروب
37	إلى شعرائنا العظام
38	الوطن
39	فانينى

40	سقراط والسيياديس
41	حِكم
42	الإنسان
46	أنشودة هايپيريون عن القدر
48	[في أيام صباي ...]
51	ذوو التزوات
53	روح العصر
55	في الصباح
57	المائين
60	[اغربي، إذن، أيتها الشمس الجميلة ...]
62	نيكار
65	الوداع
68	موعظة
70	كانت الآلهة
72	إلى ربّات القدر
73	كيوم عيد
79	الوطن
81	فلكان
83	شجاعة الشاعر

85.....	هلع
87.....	النهر المغلول
89.....	جنيميد
91.....	الأرخيل
109.....	مرثاة منون لديوتيميا
119.....	المحبة
121.....	خبز وخمر
133.....	العودة إلى الوطن
141.....	رسالة الشاعر
146.....	أغنية تُشد عند سفوح الألب
148.....	الهجرة
155.....	جرمانيا
162.....	پاتْموس (1803)
169.....	ذكرى
173.....	إسْتِر
178.....	نيموزيني
181.....	[كما تشرّد الطيور]
182.....	[مثل سواحل البحر]
183.....	[حين يخرج نسغ الكرمة]

184	[أتظن أن ...]
186	النسر
189	تينان
192	[لكن حين يفرغ الآلهة ...]
198	[على الورقة الشاحبة]
199	كأدح
200	المغني الأعمى
204	دموع
206	الوطن (1803)
208	متتصف العمر
209	الملجأ في هارت
210	عصور
211	الجدول الكتوم
213	من قصائد المرحلة الجنون
214	سبيل
215	الشجرة
216	الكلام
217	[وأن تحس ...]
219	[انطلقنا من الهوة]

221	بلاد الإغريق I
223	بلاد الإغريق II
225	بلاد الإغريق III
228	حياة الإنسان
229	الرب
230	أيام سقراط
232	إلى
233	في الغابة
234	شذرات
245	إلى تسيمر
248	إلى تسيمر
249	الصيف
250	الخريف
252	الشتاء
253	الربيع
254	[في الزرقة البديعة ...]

تقديم

محمد بنيس

1.

«يمكنني بلا ريب أن أقول إن أبولو صعقني». بهذه العبارة القريبة من الصرخة، وصف هلدلين ما حدث له أثناء عودته، التي طالت مدتها بين ماي ويوليوز 1882، من بوردو إلى ستراسبورغ ومنها سيراً على الأقدام إلى نورتنغن Nürtingen. عبارة جاءت في رسالته الشهيرة، التي يصف فيها ذكرياته في فرنسا. وهي موجهة إلى صديقه بوهلندورف Böhlendorff في حوالي شهر نوفمبر من السنة ذاتها. لا تقف هذه العبارة عند تلخيص العلاقة التي كانت لهلدلين مع إله الشعر لدى اليونان ومع الحضارة اليونانية ككل، بل تُعَيِّن، أكثر، طبيعة تجربته مع الشعر والشعري.

فريدريش هلدلين أحد كبار الشعراء الألمان. فهو يمثل، إلى جانب كل من غوته وفريدريش نوفاليس وماريا رينيه ريلكه وجورج تراكل وغوتفريد بن، الصوت الشعري الألماني الأصفى. عاش بين 1770 و1843، معاصراً لكل من بيتهوفن وبونابرت. وقد اعتاد مؤرخو ونقاد شعره على تقسيم حياته إلى مرحلتين: ما قبل 1802 وما بعدها، إذ الفاصل بينهما هو سنة إصابته بما يعرف في الأدبيات الهلدلينية بـ «الجنون».

يمكن أن نلخص المرحلة الأولى في علامات. ولد هلدريين في لاوفن، Lauffen على ضفة نهر نيكار، وفي الثانية من عمره فقد أباه. تزوجت أمه بعد سنتين من المستشار غورك عمدة مدينة نوتنغن، فأقام معها. وفي الرابعة عشرة بدأ في كتابة الشعر. التحق سنة 1788 بجامعة توبنغن، Tübingen التي حصل فيها بعد خمس سنوات على الماجستير في علم اللاهوت. في 1791 أصبح صديقاً لهيجل وشيلينج، وتعرف كذلك على شعراء أسس معهم «عصبة الشعراء»، وعلى سانكلير Sinclair، الذي ظل وفياً له في سنوات مرضه. تحمس في هذه الفترة مع أصدقائه لكانت وروسو والثورة الفرنسية، وفيها قرأ أفلاطون وتأكدت موهبته الشعرية ونشر قصائده لأول مرة. بحث عن العمل مؤدياً للأطفال، عكس ما كانت ترغب فيه أمه للالتحاق بالعمل في الكنيسة. تسلّم أول وظيفة له في 1793، وفي نوفمبر 1794 اتجه نحو فيمار، ثم ترك الوظيفة استقر في إينا Iéna العاصمة الثقافية، ساعياً إلى تكريس حياته للشعر، وتعرف فيها على شيلر لإعجابه الشديد به. وفي 1795 تابع محاضرات الفيلسوف فمخته، التي كان يلقيها في «بيت الرومانسيين». وعندما أصبح محتاجاً، بدون مورد مادي، عاد إلى بيت أمه، وفي نفسه خشية من العمل في الكنيسة.

في السادسة والعشرين من عمره، أي سنة 1796، عثر له صديقه سانكلير على عمل في بيت الثري جاكوب غونتار، في فرنكفورت الذي عمل مؤدياً لأبنائه. في بيت عائلة غونتار عاش إحدى الوقائع الفارقة في حياته، عندما استبد به حب سوزيت غونتار Suzette Gontard، زوجة الثري جاكوب غونتار، التي بادلته الحب. حب لا يشبه ما سبق. هو هذه المرة حب جامح، عثر فيه هلدريين على الأقصى، ولم يقدر على رد تأثيره القوي في مسار حياته. فجمال هذه المرأة جسّد مثال الجمال اليوناني، الذي كان به مأخوذاً، فكتب عنها «إنها يونانية». كان حذراً منها، ففضل في نهاية سبتمبر 1798 مغادرة البيت، ابتعاداً عما يمكن أن يؤدي إليه هذا الارتباط من

مصاعب مع الزوج. مع ذلك ظل على اتصال معها عبر لقاءات ومراسلات ما زالت محفوظة، وكان آخر تواصل بينهما في 1800. ومن فعل ذلك الحب الجامح سماها هلدلين في أعماله باسم «ديوتيمات» Diotima، كاسم مستعار لهذه العشيقة سوزيت، التي توفيت سنة 1802. وقد رأى في فقدان عشيقة و-رمانه منها أن «المثال لا يمكن أن يعيش على الأرض».

بين 1797 و 1799 نشر رواية في جزأين تحمل عنوان هيريون *Hypérion*، اسم إله الضوء. أول عمل تبرز فيه نظرتة إلى اليونان. هيريون يوناني معاصر ولكن روحه قديمة. تحكي الرواية عن هذا البطل، في 1770، فترة إعلان روسيا الحرب على تركيا، فكان في الرواية يحث اليونانيين على التحرر من الأتراك. جمع متطوعين، وعندما دخلوا إسبرطة لم يتوان المتطوعون عن القتل والنهب فدنسوا بذلك انتصارهم. من ثم أيقن هيريون أن الذين عمل معهم على تأسيس جمهوريته ليسوا إلا أوباشاً.

وبعد مغادرته بيت غونتار توجه إلى بيت صديقه سانكلير في هامبورغ. هناك عمل لمدة سنتين، من 1798 إلى 1800، بتركيز ثقافي نادر وبتوثب عسى أن يخفف من صدمة فراق سوزيت. فشرع في كتابة رواية أمبيدوكل *Empédocte* ثم أعاد كتابتها لمرتين متتاليتين دون أن ينجح في إتمامها. كما كتب مجموعة من الدراسات في علم الجمال والفلسفة. وإصراراً منه على الوصول إلى استقلال مادي، قرر تأسيس مجلة تحمل عنوان إيدونا *Iduna*. لكن المشروع بدوره لم يكتمل. وإلى هذه الفترة، التي غلبت عليها المجاهدة في الكتابة، وضع الصيغة الأولى للمراثي والأغاني وأصبح معروفاً. على أن أحواله المادية ازدادت سوءاً، فلم يجد بداً في 1800، من العودة، مرغماً ومنهاراً. عندها تضاءلت طاقته الجسدية والفكرية، واحتدت حالة الكآبة لديه فكتب: «هذا المناخ لا يصلح للشعراء.» وفي السنة ذاتها عتنى به أصدقاؤه في شتوتغارت واستدعاه على الخصوص صديقه التاجر لانداور Landauer لقضاء مدة معه. فكانت فرصة كتابة أولى الأعمال الشعرية الكبرى وترجمة بندار، الذي بدا أثره

حاسماً في كتابة «التراتيل». ثم سافر في 1801 إلى هابتويل Hauptwil في سويسرا للعمل مؤدباً، لكن العائلة اعتذرت عن قبوله بمجرد ملاحظة حالته. فعاد من جديد إلى بيت أمه، وكتب إلى شيلر يستغيث فأعرض عنه ولم يجب على الرسالة. ومع ذلك استمر في الكتابة، لكن قدرته على التركيز تضاءلت، واستولت على سلوكه غرابة مع تعمّد تجنب الآخرين. وهي أعراض تدهور نفسي.

وعمل آخر سنة فيها، وهو في الثانية والثلاثين من عمره، لدى مايير Mayer، قنصل هامبورغ في بوردو، مؤدباً لأبنائه. إقامته في بوردو كانت قصيرة جداً، تمتد من 2 يناير 1802، حيث وصل إليها عابراً كلا من ستراسبورغ وليون، حتى ماي 1802، عائداً إلى نورتنغن عن طريق باريس وسترسبورغ. ولا يعرف شيء عن هذه الإقامة. ثمة فقط أثرها في بعض القصائد. عاد إلى البيت مصاباً بـ «صعقة أبولو»: وهو في حالة متقدمة من انفصام الشخصية، فاعتنت به أمه. وبين الفينة والأخرى كان يتمتع بصحوته، فكتب «باتموس» و«الواحد الأحد». ثم استقرت حالته النفسية في السنة الموالية فاشتغل على قصائد جديدة من أهمها «ذكرى» و«نهر إستر» وانتهى من ترجمة أوديب الملك وأنتيغون للشاعر سوفوكل ونشرهما سنة 1804. وعندما زاره شيلر ارتعب من الإهمال الذي أصبح عليه مظهره.

3.

ثم جاءت المرحلة الثانية موصوفة بالأزمة العصبية التي أطلقت عليها مرحلة «الجنون». وهي التي تبدأ مع سنة 1804. لقد كان صديقه سانكلير يحرص على إخراجها من الحالة التي هو فيها فنقله إلى بيته في هامبورغ، وبحث له عن عمل في مكتبة، معتقداً أن هلدلين في طريقه إلى الشفاء. وعندما فحصه طبيب في يونيو 1805 كانت النتيجة أنه يحتاج للإقامة في مصحة عقلية. وهكذا أودع مصحة في توبنغن سنة 1806. وبعد تفاقم حالته العصبية، صدرت وصاية على هلدلين وأودع

في بيت تسيمر Zimmer، النجار، في مدينة توبنغن، من سنة 1807 حتى وفاته في 7 يونيو 1843. هناك في محل يشبه قلعة تم وضعه في غرفة معزولة في الطابق الأول، مشرفة على نهر نيكار. في هذه المرحلة عاش هلدلين فترات طويلة من الصمت، كما كتب قصائد قصيرة أصبحت معروفة بـ «قصائد الجنون». وهي قصائد متحررة من قواعد الشعر الكلاسيكي، كان يميزها أحياناً بأسماء غريبة مقل سكاردينيلي ويذيلها بتواريخ ماضية (أو لاحقة). في تلك الغرفة زاره معجبون وقد بدأ الرومانسيون في اكتشافه وكذلك أعماله أصبحت متداولة في الحياة الشعرية الألمانية.

وتكاد تكون المرحلتان متساويتين من حيث عدد السنوات، إذ أن هلدلين انتابته أول أزمة عصبية حادة وهو يبلغ خمساً وثلاثين سنة، ثم أمضى بعدها سنتين بين بيت أمه وصديقه سانكلير والمصححة العقلية، وأخيراً ستاً وثلاثين سنة معزولاً في بيت تسيمر. وإذا كانت «صعقة أبولو» أقوى مما كان يحتمل جسده، أي النور الشعشعاني الذي يفضي إلى الظلمات، العمى، فإن من المحتمل أن تكون تلك الأزمة غير بعيدة عن استحالة الحياة مع سوزيت، أو الإخفاق في الحصول على مورد مادي قار يضمن له التفرغ للكتابة، أو الفشل في إصدار مجلة «إيدونا». عوامل مجتمعة لها فعلها في مرضه، مهما كان حجمها في مسار تاريخي ألماني أو أوروبي.

4.

كان نيتشه يعتبر هلدلين شاعره المفضل وكتب عنه. مع ذلك لم تبلغ مكانة هلدلين ذروتها إلا في القرن العشرين، عندما اهتم بقراءة شعره الفيلسوف الألماني هيدجر، في محاضراته الجامعية التي ألقاها على طلبته أول مرة في ستي 1934 و1935، وافتتحها بقراءة قصيدة «جرمانيا»، ثم تلتها على فترات قصائد أخرى. بهذه القراءة الفلسفية انتقل هلدلين من كونه أحد أعلام الشعر الألماني في القرنين الثامن والتاسع عشر إلى «هذا الشاعر الذي يتعلق به مستقبل الألمانين»، حسب تعبير هيدجر

في كلمته الافتتاحية للمحاضرة الأولى، أو «شاعر الشعراء» كما سماه هيدجر في دراسته عن معنى الإقامة شعرياً على الأرض. وبهذه القراءة ارتفع هلدريين إلى مدى لا ينحد من عناية شعراء وفلاسفة ونقاد ومترجمين بشعره لا يمكن تخيله بدونها، كما كتب عديد من الدارسين، معترفين بفضل قراءة هيدجر على هلدريين.

فهذه القراءة الفلسفية أبرزت الثورة التي أحدثها هلدريين في الوعي بالشاعر والشعري. فهو انتقل بهذا الوعي إلى رؤية تتلخص في تجربة الوجود والمصير، مستمداً رؤيته مما تعلمه من الإغريق ومما أصبح يؤمن به من امتداد لهم. ذلك ما كتبه لصديقه بوهلندورف، بعد عودته من بوردو: «إذا كنا لم نبلغ بعد هدفنا، فذلك لأننا الذين نحاول من جديد، بعد الإغريق، أن نخني تبعاً للطبيعة، وتبعاً للوطن، بطريقة متأصلة لا مثيل لها». إنه وعي تحديث النظر إلى القصيدة، إلى الشعري. وهو في آن لا يمكن أن يصدر إلا عن الشاعر نفسه حتى «يكون بدوره أساس كل إقامة» على الأرض، كما كتب هيدجر في قراءة قصيدة «ذكرى». هي إقامة ذات معنى مخصوص، لا سبيل إلى اختزاله في كل ما يعمله الإنسان، وما يقوم به من أجل أن يستحق الحياة. هذا معنى أول، على أن هلدريين يذهب به نحو الأعماق عندما يكتب :

عديدة مزاياه، مع ذلك شعرياً

يقيم الإنسان على هذه الأرض.

هي إقامة مسكونة بالشعري، لأن «الشعر هو القوة الأساسية للسكن الإنساني». فالشعر هو الكلام الذي يعطي الواقعي ما يتأسس به وعليه. والشاعر الملهم بـ «روح الشعر»، حسب تفسير هيدجر، هو وحده الذي يحول الإقامة من معناها الأول، المستخلص من مزايا عمل الإنسان إلى معنى قياس المابين، في الصلة بين السماء والأرض، عمودياً، بما هو حضور للإلهي. ذلك ما تفصح عنه قصيدة «ذكرى» من خلال تلك الأبيات المشعة عن معنى الشاعر:

(.....) لكن البحرَ

يأخذُ الذكرى ويمنحُها
والحبُّ بدوره يأسر النظرات باستمرار
لكن ما يبقى، وحدهم يؤسسه الشعراء.
أبيات تحولت إلى بوابة مفتوحة في وجه العابرين إلى تجربة هلدلين. والأبيات
الواردة في قصيدة «كيوم العيد» تكرر الصورة - الفكرة نفسها:
وهكذا يَرشُفُ أبناءُ الأرض الآنَ
نارَ السماء دونَ أن يَهْلُكُوا
وواجِبُنَا، نحنُ الشعراء، أن نقفَ
حاسري الرؤوس تحت عواصف الربِّ
مُمسكينَ بأيدينا نحنُ
شُعاعَ الأب ذاته،
واجِبُنَا أن نقدِّمَ للناس هبةَ السماء
ملفوفةً في القصيدة.

5.

كان الوعي بالشعري لدى هلدلين متفاعلاً مع الوعي بالتاريخي. لهذا فإن
اعتبار عناية الشاعر بالمصير له دلالة تاريخية بقدر ما له دلالة شعرية. ففي ملاحظة
وضعها في هامش ترجمته لمسرحية سوفوكل أثينغون، كتب عن الألمان في زمنه: «إن
الاتجاه الأساسي يجب أن يكون معرفة كيف نلتقي على نحو دقيق، ونمتلك «عنوان»
مصير، لأن غياب الاتجاه، المصير هو ضعفنا.»

ومن هذا الوعي المتوهج بالامتداد للإغريق من ناحية، وبالعيش في زمن ألماني
تغيب عنه معرفة كيف يمكن اللقاء بالمصير من ناحية ثانية، اتخذت تجربة هلدلين بعداً
أصبح معه الشاعر صاحب رسالة، لا بالمعنى الديني، بل بمعنى «النبوءة الشعرية»، كما
كتب هيدجر: «إن حلم [النبوءة] إلهي، لكنها لا تحلم بإله. يضغط هذا الحلم بنقله

الخاص: فبفضله، لا تتحول الأنفاس المهددة إلى زوابع ملتبسة: إنها تخط طريقها الوحيدة فوق المسالك البطيئة. «نبوءة لا تحلم بإله، لأنها تلتصق بالآلهة اليونانية، التي كانت بالنسبة لهلدلين أقرب إلى نفسه من الإله المسيحي الغائب في زمنه. لهذا فإن الإلهي الذي يتردد في أعماله يستند إلى أن الإنسان والطبيعة يحتاجان إلى الإلهي منفصلاً عن الديني. والنشيد كان الصيغة المثلى لصياغة هذا الإلهي، مصدر النبوءة، من خلال قصائد، تصادت فيها الأرض اليونانية مع الأرض الألمانية، من بينها «وداع»، «ديوتيم»، «التائه»، «خبز وخمر»، «عودة»، «الأرخبيل»، «نصف الحياة»، «الراين»، «ذكرى». في هذه القصائد، كما في غيرها، تتبلور الرؤية الهلدلينية للشاعر والشعر. ولكن القصائد تتكامل، أيضاً، مع كل من رواية هيريون وأمبيدوقل، ودراسات موضوعها الشعر والفلسفة، ورسائل، تؤدي كلها إلى معنى الرسالة الشعرية ومعنى النشيد، الذي يجعل شعباً من الشعوب يقيم شعرياً على الأرض.

إن قصيدة «الأرخبيل»، التي كتبها هلدلين سنة 1800، في نفس فترة كتابة «نصف حياة» و«خبز وخمر»، هي أطول قصيدة كاملة نشرها هلدلين. وهي تستدعي العالم اليوناني، كما عرفه من خلال الكتب، أو كما تجسد له في الجنوب الفرنسي، أثناء إقامته في بوردو. يونان الآلهة والحروب وحياة الأثينيين. في هذه القصيدة يظهر بوزيدون، إله البحر، أهم عناصر الطبيعة لدى الإغريق، مخبواً ومريضاً، كما هي حال هلدلين. هذه القصيدة نموذج لما كان يقصده من العودة إلى اليونان. إن الانتقال من الوطن، ألمانيا، إلى اليونان، الخارج، الغريب، ذهاب إلى حيث الآلهة قريبة، ثم ذهاب إلى حيث التعلم من الغريب ضرورة لكل ما هو موجود في الوطن، لكل عودة إلى الوطن. تلك الضرورة المعرفية هي التي لازمت هلدلين في البحث عن تحديث النظر إلى الشاعر والشعري. ذلك ما كتبه سنة 1801 في رسالته إلى صديقه بوهندروف: «ما هو شخصي يجب أن نتعلمه بقدر ما نتعلم ما هو غريب. لذلك لا يمكن أن نغفل عن الإغريق. على أننا، بالضبط في مجال ما هو شخصي لنا، موجود

في الوطن، لن نصل إلى مضاهاتهم، لأن الاستعمال الحر للشخصي، كما قلت لك، هو الأصعب. « فلا عودة إلى الشخصي، الموجود في الوطن، الطبيعي، إلا من خلال الذهاب إلى الغريب، اليوناني، في التصور الهلدليني. لكن هذا الذهاب لا يتغيا التقليد بتاتا، وإلا بطل مفعول الذهاب إلى الخارج، الغريب، واستحالت معه العودة إلى الشخصي. ففي الرسالة نفسها يضيف: «لهذا أيضا سيكون من الخطورة لنا أن نستخلص قواعدنا، في الفن، من مجرد نموذج اليونانيين الكامل. لقد اشتغلت طويلاً على كل هذا لأعرف الآن أننا، باستثناء ما لدى اليونانيين كما لدينا يجب أن يكون الإنجاز الأرفع، أي علاقة حية، مصيراً حياً، لا نستطيع بدون شك أن يكون لنا معهم شيء مشترك.»

6.

كان هلدلين، أثناء إقامته الدراسية في توبنغن، اعتنى بالفلسفة والموسيقى، كما اهتم بالدراسات اليونانية. كتب هلدلين قصائده في قالب كلاسيكي، صارم في احترام تام لبنية البيت أو بنية المقطع أو القصيدة بأكملها، وفي احترام لتركيب الجملة، من حيث بنيتها النحوية والصرفية. كان في ذلك المنحى الجمالي يتبع خطوات الشاعر فريدريش كلوبستوك Klopstock (1724-1803)، ثم تحول لاحقاً إلى شيلر، الذي كان لعمله دون كارلوس تأثير واضح عليه في كتابة هيبريون. على أنه في فترة النضج الشعري قام بإدخال نبرته الشخصية على الأوزان القديمة وعلى جمالية اللغة الألمانية، فاغتنت قصيدته بكثافة شعرية عليا، موسومة بمرجعية تردد فيها الحضارة اليونانية. إضافة إلى أنه في «قصائد الجنون» انتهج طرائق أكثر تحرراً في البناء، كما سبقت الإشارة.

7.

حياة هلدريين وشعره مرا، منذ أواسط القرن التاسع عشر، عبر محطات كبرى من التعرف والتوثيق والنشر والدراسة. والمشتغلون، في ألمانيا أو خارجها، يؤكدون أن الألباز لا تزال تحيط بهما. ولا نفاجاً بشيء من ذلك. ففي 1993، سنة الاحتفال بالذكرى المائة والخمسين على وفاته، صدرت من جديد طبعتان رفيعتان للأعمال الكاملة، عن دار كلاسيكر Deutsche klassiker ودار Carl Hanser، لكل واحدة منهما امتياز خاص. كما تم الكشف في المناسبة ذاتها عن وثائق عشر عليها، هي ملف الوصاية على الشاعر الذي يتضمن ثمانى عشرة رسالة كتبها أسرة تسيمر النجار عن «المريض الروحي». إضافة إلى أن هناك أعمالاً جديدة باللغة التعقيد لم يتيسر لحد الآن البث النهائي في فقراتها وبنائها الأصلي. وهذا يعني أن هلدريين ما زال ينتظر عقوداً أخرى من البحث والتنقيب والدراسة.

8.

سبق للشاعر فؤاد رفقة أن نشر ترجمة لمختارات موسعة من قصائد هلدريين سنة 1974 بالاشتراك بين الدار الأهلية للنشر والتوزيع في بيروت ودار هورست في توبنغن. وهي اليوم علامة كبرى تستحق من جميع قراء هلدريين بالعربية تحية تقدير ووفاء. فهذه الترجمة تمت مباشرة من الألمانية، وعلى يد شاعر له مكانته الخاصة في التحديث الشعري العربي.

واقدام حسن حلمي، اليوم، على إنجاز ترجمة جديدة لمنتخبات شعرية موسعة لهلدريين يتوافق مع ما تسير عليه أوضاع الترجمة في الثقافات الحديثة، على الخصوص. ففي كل جيل، أو كل لحظة ثقافية، تبرز الحاجة لتجديد الترجمات. لكن حسن حلمي ترجم القصائد بالاعتماد على لغة بسيطة هي الإنجليزية، من خلال ترجمة شعراء ثلاثة هم الإنجليزيان مايكل هامبورجر Michael Hamburger وديفيد

كونستانتين David Constantine والأمريكي ريتشارد سيرث Richard Sieburth. وهم من أصحاب الخبرة بشعر هلدلين في أصله الألماني. وقام حسن حلمي بعد ذلك بمراجعة الترجمة، توخياً للدقة، مع عبد اللطيف قديم، أستاذ الألمانية في كلية الآداب عين الشق بالدار البيضاء، بالاعتماد على الأصل الألماني.

9.

كنت أحس دائماً بالحاجة إلى ترجمة جديدة لشعر هلدلين. وأثناء زيارتي في يناير 1996 بيت تيسمر في توبنغن، الذي هو متحف هلدلين، كنت طرحت سؤالاً على مديرة المتحف يتعلق بترجمة هلدلين، من حيث اللغات والأعمال. وما كان فاجأني في أجوبتها هو أن أغلب ترجمات هلدلين تتم عبر لغات وسيطة. هذا الجواب هو ما ظللت أحتفظ به، وفي ضوئه أقرأ اليوم ترجمة حسن حلمي. فأنا، عندما أقرأ هذه الترجمة، أنصت إلى النفس الشعري، متدفقاً، من قصيدة إلى قصيدة. وأترك للترجمة وحدها أن تدلني على جماليتها، على وفائها للأساسي في القصيدة الهلدلينية. أقصد التركيب اللغوي وبناء البيت في آن. إنه أسطراب القراءة، الذي يصاحب القارئ في المعابر الوعرة التي تهدد بافتقاد الطريق. ذلك ما يحررني من الجري وراء أوهام المطابقة أو الكمال. هي طريقتي في قراءة ترجمات هلدلين، التي تتناقض أو تتعارض، في الفرنسية، مثلاً. وقراءة ترجمات أعمال شعراء من لغات وثقافات تتنافس في الوصول إلى أقصى ممكن في اللقاء بين النص الأصلي والمترجم، علماً أن ترجمة قصائد هلدلين تطرح قضايا تعود إلى الأصل الألماني نفسه، من حيث تعدد الصيغ، حيناً، وتعدد التأويل، حيناً آخر.

ترجمة حسن حلمي حدثت، لأنها تعتمد منتخبات موسعة تشمل أهم قصائد هلدلين في جميع فترات حياته، من الشباب إلى القصائد الكبرى والمراثي إلى مرحلة «الجنون». وهي بهذا تقدم لنا عملاً يستطيع القارئ، من خلاله، أن يرحل

منتشياً، متأملاً ومنصتاً، إلى شعر وشعرية هلدردلين، ويحس فيه بما يمثله هذا الشاعر المتفرد من تجربة أصبحت إحدى التجارب الشعرية الإنسانية، التي تقودنا إلى معنى الشعر ومعنى الشاعر، في فترة بناء التحديث الشعري في الغرب. ترجمة فيها الحرص الشديد على رصد الصورة الشعرية أو مرجعيتها، وعلى ضبط اختيار الكلمات، وعلى تتبع اقتصاد التركيب، وعلى توزيع الأبيات حسب ما جاء في الأصل. كل ذلك مع امتيازها باستثمار جمالية العربية من أجل تحقيق ما تستوجهه الضيافة من مراعاة آدابها، حتى تكون لقصائد هلدردلين في العربية حياة جديدة، لها من الحيوية بقدر ما لها من الجلال. وهي جميعها أفادت في احترام بناء البيت الشعري، وتوسيع فضاء النفس، من بين إلى بيت رمن مقطع إلى مقطع. ولم يكن إدراك هذه الغاية، العزيزة على كل شاعر ومحب للشعر، ممكناً لو لم يكن حسن حلمي نفسه يتوفر على ثقافة شعرية رفيعة وعلى إحساس مادي بخصوصية اللغة الشعرية. ترجمة من الصبر تأتي، من التواضع ومن الفرح النقي بالشعر.

المحمدية، في 22. 11. 2008

من قصائد المرحلة الأولى

ذُيُوتِيمَا (1797)

تَعَالِي، يَا نِعْمَةَ رَبَّةِ الْإِلْهَامِ السَّمَاوِيِّ،
هَدَّئِي الْآنَ لِأَجْلِي، فَوْضَى هَذَا الْعَصْرِ،
كَمَا أَلْفَتْ يَوْمًا بَيْنَ الْعُنَاصِرِ! بِسَكِينَةِ أَنْغَامِ السَّمَاءِ
لَطْفِي الْمَعْرَكَةَ الْمُحْتَدِمَةَ حَتَّى يَلْتَنِمَ مَا انْصَدَعَ مِنْ هَذَا
الْقَلْبِ الْفَانِي، حَتَّى تَنْهَضَ، مِنْ هَذَا الْعَصْرِ الْمُضْطَرَبِ،
طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ الْأَصْلِيَّةُ قُوَّةً صَافِيَةً، فَيَعُودَ النَّبْلُ وَتَعُودَ السَّكِينَةُ.
عُدْ، أَيُّهَا الْجَمَالُ الْحَيُّ، إِلَى الْقُلُوبِ الْمُتَمَلِّقَةِ، قُلُوبِ النَّاسِ.
عُدْ إِلَى الْمَعْبُدِ وَعُدْ إِلَى رَوَاقِ الْمُضِيفِ، فَهِيَ هِيَ ذُيُوتِيمَا تَحْيَا؛
كُمُرْهَفِ الْأَزْهَارِ فِي الصَّقِيعِ، تَحْيَا ثَرِيَّةً بِرُوحِهَا الْمَكْنُونَةِ،
رَغَمَ تَوَقُّعِهَا إِلَى دَفْءِ الشُّعَاعِ. لَكُنْ، هَا هِيَ شَمْسُ الرُّوحِ،
وَهِيَ الْعَالَمُ الْأَبْهَى، هَا هِيَ شَمْسُ الرُّوحِ تَغِيبُ، وَلَيْسَ يُسْمَعُ
غَيْرُ صِدَامِ الْعَوَاصِفِ فِي هَذَا اللَّيْلِ، لَيْلِ الصَّقِيعِ.

أنبادوقليس

تَبَحْثُ أَنْتَ عَنِ الْحَيَاةِ، تَبَحْثُ تَبَحْثُ،
فَتَنْبَجِسُ مِنْ أَعْمَاقِ الْأَرْضِ نَارَ إِلَهِيَّةٍ وَتَوَهَّجُ نَحْوَكِ،
وَفِي غَمْرَةِ شَهْوَتِكَ الرَّاعِشَةِ،
تَقْدِفُ بِنَفْسِكَ فِي لَهَبِ إِتْنَا.

هَكَذَا أَذَابْتَ بِهَجَّةِ الْمَلِكَةِ اللَّالِيَّةِ فِي النَّيْذِ.
وَحَقٌّ لَهَا أَنْ تَفْعَلَ! لَيْتَكَ، أَيُّهَا الشَّاعِرُ،
لَمْ تَهَبْ ثُرُوتَكَ لِلْخَمْرِ فِي كَأْسِ
الْقُرْبَانِ الَّتِي تَفُورُ مُهْتَاجَةً!

لَكِنِّي أَرَاكَ مُقَدَّسًا قَدَاسَةً جَبْرُوتِ الْأَرْضِ
الَّتِي حَمَلْتِكَ لَتُقْصِيكَ، أَيُّهَا الضَّحِيَّةُ الْجَسُورُ!
وَلَوْ لَمْ يَمْنَعْنِي الْعِشْقُ
لَاتَّبَعْتُ الْبَطْلَ رَاضِيًا إِلَى الْأَعْمَاقِ.

بُونَابَرَّتْ

الشُّعراءُ أَبَارِيقُ مَقَدَّسَة
فيها تُحَفَظُ خَمْرُ الحَيَاةِ،
فيها تُحَفَظُ رُوحُ البَطُولَةِ.

لَكِنْ، أَلَنْ تُحَطَمَ هَذِهِ الرُّوحُ الْفَتِيَّةُ،
هَذِهِ الرُّوحُ الْمُتَحَفِّزَةُ، ذَلِكَ الْإِبْرِيْقُ
الَّذِي يُحَاوِلُ اخْتَوَاءَهَا؟

فَلْيَدْعُهَا الشَّاعِرُ بِكَرٍّ كَرُوحِ الطَّبِيعَةِ،
فَمَثَلُ هَذِهِ الْخِمْرِ تَجْعَلُ الْمُعَلِّمِينَ تَلَامِيذَ.

فَهِيَ لَنْ تَحْيَا أَوْ تَخْلَدَ فِي الْقَصِيدَةِ؛
لَكِنَّهَا سَتَظَلُّ فِي الْعَالَمِ حَيَّةً خَالِدَةً.

ذُيُوتِيمَا (1798)

صَامِتَةٌ أَنْتِ، تَتَأَلَّمِينَ صَابِرَةً.
وَهُمْ، أَيْتَهَا الْكَيْنُونَةُ الْمُقَدَّسَةُ، لَا يَفْهَمُونَكَ!
تَذَوِّينَ فِي صَمْتٍ، إِذْ تَبْحَثِينَ - آه - عَبَثًا
فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ، تَبْحَثِينَ بَيْنَ الْمُتَوَحِّشِينَ عَنْ ذَوِيكَ،

تَبْحَثِينَ عَنْ تِلْكَ الْأَرْوَاحِ النَّبِيلَةِ الْعَطُوفِ، عَنْ أَرْوَاحٍ لَمْ يَعُدْ
لَهَا وُجُودٌ! لَكِنَّ الزَّمْنَ يُسْرِعُ. وَأَنْشُودَتِي الْخَالِدَةَ، يَا ذُيُوتِيمَا،
لَا بَدَّ أَنْ تَرَى يَوْمًا تَتَبَوَّئِينَ فِيهِ، وَمَعَكَ الْأَبْطَالُ، مَقَامَكَ بَيْنَ الْأَلْهَةِ.
وَسَيَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمُ لَكَ سَمِيًّا، سَيَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمُ بِكَ شَبِيهَا.

إِلَى عَبْقَرِيَّتِهَا

أَرْسَلُ إِلَيْهَا الزُّهُورَ وَالثَّمَارَ مِنْ خُصُوبَةٍ لَا تَنْضُبُ،
أَرْسَلُ إِلَيْهَا مِنْ أَعَالِيكَ، أَيُّهَا الرُّوحُ الْحَافِظُ، شَبَاباً أَبَدِيّاً !
لُفَّهَا فِي مَسَرَّاتِكَ وَلَا تَدْعُهَا أَبَدًا تُقَاسِي
سِنِينَ الْوَحْشَةِ، فَلَا بَدَّ أَنْ تَعِيشَ، وَهِيَ الْأُثْنِيَّةُ الْمَغْتَرِبَةُ،
إِلَى أَنْ يَحِينَ يَوْمٌ تُعَانِقُ فِيهِ بِحَبَّةٍ، فِي أَرْضِ الْمُنْعَمِينَ، شَقِيقَاتِ
سَعِيدَاتٍ كَنْ يَحْكُمْنَ وَيَعْشَقْنَ حِينَ كَانَ فَدْيَاسٌ فِي رِيْعَانِ الشَّبَابِ .

مَا لَا يُغْفَرُ

سَيَغْفِرُ لَكَ الرَّبُّ إِنَّ أَنْتَ نَسِيتَ أَصْدِقَاءَكَ،
أَوْ اسْتَهْزَأْتَ بِالْفَنَّانِ، أَوْ أَوَّلْتَ الْفِكْرَ
الْأَعْمَقَ فَجَاءَ تَأْوِيلُكَ تَافِهًا مُبْتَدَلًا.
لَكِنْ، أَبَدًا، لَا تُقْلِقْ رَاحَةَ الْعُشَّاقِ، أَبَدًا.

إِلَى الشُّعْرَاءِ الشَّبَّانِ

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعْزَاءُ، لَعَلَّ فَنَّا يَنْضِجُ قَرِيباً -
فَقَدْ ظَلَّ، كَالشَّبَابِ، يَخْتَمِرُ زَمناً طَوِيلاً -
لَعَلَّهُ يَنْضِجُ فَتَتَحَقَّقُ فِيهِ سَكِينَةُ الْجَمَالِ؛
أُنَاشِدُكُمْ أَنْ تَتَحَلَّوْا - كَمَا تَحَلَّى الْإِغْرِيقُ - بِالْوَرَعِ.

أَحِبُّوا الْآلِهَةَ وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِالْبَشَرِ!
أَبْغِضُوا السُّكْرَ كَمَا تُبْغِضُونَ الْجَلِيدَ!
لَا تَعْظُوا وَلَا تَصِفُوا! وَإِنْ أَرَهَبَكُمْ مُعَلِّمُكُمْ،
فَالْتَمَسُوا النَّصَحَ مِنَ الطَّبِيعَةِ الْعَظِيمَةِ.

إِلَى الْأَلْمَانِ

لَا تَسْخَرُوا مِنَ الطِّفْلِ حِينَ يَحْمِلُ السَّوْطَ وَالْمَهْمَازَ وَيَمْتِطِي
حِصَانَهُ الْخَشْبِيَّ، مُتَصَوِّراً نَفْسَهُ عَظِيماً وَشَجَاعاً،
فَأَنْتُمْ، أَيُّهَا الْأَلْمَانُ، أَنْتُمْ أَيْضاً فَقَرَاءُ
بِالْأَفْعَالِ، أَثْرِيَاءُ بِالْأَوْهَامِ.

وإِلَّا، فَهَلْ تَصْدُرُ الْأَفْعَالُ عَنِ الْأَوْهَامِ، كَمَا يَصْدُرُ وَمِيضُ
الْبَرْقِ عَنِ الْغَمَامِ؟ أَيْمَكُنْ أَنْ تَسْرِي الْحَيَاةُ
فِي الْكُتُبِ؟ فَيَا أَحِبَّائِي، اغْتَقِلُونِي إِذَنْ
وَاجْعَلُونِي أَكْفَرُ عَنْ تَجْدِيفِي.

إِلَى إِلَهِ الشَّمْسِ

أَيْنَ أَنْتِ؟ مَبْهُورَةٌ، سَكْرَى، تَصِيرُ رُوحِي وَاهِنَةً
وَتَغْرُقُ فِي ظِلَامِ مَسْرَّةٍ مُسْرِفَةٍ، الْآنَ فَقَطْ
شَاهَدْتُ إِلَهَ الشَّمْسِ الْمُبْهِجِ،
شَاهَدْتُه، ضَجْرًا مِنْ دَرْبِهِ، يَتَبَاطَأُ

لِيَغْسَلَ ظَفَائِرَهُ الْفَتِيَّةَ فِي الْغُيُومِ الذَّهَبِيَّةِ،
وَإِذْ غَمَرَ بِنُورِهِ عَيْنِي، وَاصَلَّتْ عَيْنَايَ التَّحْدِيقُ،
مَعَ أَنَّهُ الْآنَ رَحَلَ بَعِيدًا، بَعِيدًا، بَعِيدًا،
إِلَى الْأُمَمِ الْوَرِعَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ تُجَلُّهُ.

وَأَنْتِ، أَيُّهَا الْأَرْضُ، أَحَبُّ أَوْلَثِكَ الَّذِينَ يُشَارِكُونَنِي الْحِدَادَ
عَلَيْهِ، وَمِثْلَ أَحْزَانِ الْأَطْفَالِ، يَسْتَسْلِمُ لِلنُّومِ
حِدَادُنَا، وَكَمَا تَعْبَثُ الرِّيحُ الْخَافِقَةُ
فِي أَوْتَارِ الْقِيثَارَةِ وَتُوَاصِلُ الْهَمْسَ

إِلَى أَنْ تُغْوِيَ إِصْبَعُ الْمَعْلَمِ نَعْمَةً
أَضْفَى، كَذَلِكَ تَلْهُو الْأَحْلَامُ وَالرَّذَاذُ حَوْلَنَا
إِلَى أَنْ يَعُودَ الْحَبِيبُ ثَانِيَةً وَيُوقِدَ
فِي نُفُوسِنَا حَيَاةً جَدِيدَةً، عُنْفُونًا جَدِيدًا.

غُرُوب

أَيْنَ أَنْتِ؟ مَبْهُورَةٌ، سَكْرَى، تَصِيرُ رُوحِي وَاهِنَةً
وَتَغْرُقُ فِي ظَلَامِ مَسَرَّةٍ مُسْرِفَةٍ، فَالآنَ فَقَطْ
أَنْصَتُ إِلَى الْفَتَى الْمُبْهَجِ، إِلَهِ الشَّمْسِ،
إِلَهِ تُشْرِيه الْأَصْوَاتِ الذَّهَبِيَّةِ،

يَتَرَنَّمُ بِتَرَاتِيلِهِ الْمَسَائِيَّةِ، عَازِفًا عَلَى قِيثَارَةِ إِلَهِيَّةِ،
وَكُلُّ مَا حَوْلَ التَّلَالِ وَالْغَابَاتِ يُرَجِّعُ أَصْدَاءَهَا
مَعَ أَنَّه رَحَلَ الْآنَ بَعِيدًا، بَعِيدًا، بَعِيدًا،
إِلَى الْأُمَمِ الْوَرِعَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ تُجِلُّهُ.

إِلَى شُعْرَانَا الْعِظَام

ضِفَافُ الْغَانِجِ سَمِعَتْ هُتَافَ التَّرْحِيبِ بِإِلَهِ الْبَهْجَةِ
حِينَ أَخْضَعَ بِأُخُوسِ الْفَتْيِ كُلَّ مَا وَرَاءَ
إِنْدُوسَ، جَاءَ وَبَخْمِرِهِ الْمَقْدَسَةِ،
أَيَقْظَ الشُّعُوبَ مِنَ الْوَسَنِ.

أَنْتُمْ أَيْضاً، أَيُّهَا الشَّعْرَاءُ، أَيَقِظُوا أَوْلَئِكَ
الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ نَائِمِينَ، هَبُّونَا الشَّرَائِعَ،
هَبُّونَا الْحَيَاةَ ! أَشْهَرُوا نَصْرَكُمْ ! فَلَكُمْ، وَخَدَّكُمْ،
كَمَا لَذَلِكَ الْإِلَهَ، الْحَقُّ فِي أَنْ تَنْتَصِرُوا.

الوَطَن

التُّوتِي عَلَى النَّهْرِ الصَّامِتِ يَعُودُ إِلَى الْوَطَنِ
يَعُودُ مِنْ جُزُرٍ نَائِيَةٍ كَانَ يَجْنِي فِيهَا غِلَالَهُ،
أَشْتَهِي أَنْ أَعُودَ أَنَا أَيْضاً إِلَى الْوَطَنِ،
لَكِنْ مَاذَا جَنَيْتُ سِوَى الْأَسَى؟

أَيْتُهَا الضَّفَافُ الَّتِي بِهَا تَرَعَرَعْتُ، هَلْ تَسْتَطِيعُ
أَنْ تُسَكِّنَ أَحْزَانَ الْعِشْقِ؟ آه، هَلْ تَسْتَطِيعُ
أَنْ تَمْنَحَنِي غَابَاتِ الطُّفُولَةِ حِينَ أُؤُوبُ إِلَيْكَ؟
هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعِدَّنَ إِلَيَّ تِلْكَ السَّكِينَةَ؟

فانيني *

وَسَمُّوكَ عَدُوَّ الرَّبِّ، الْمُسْتَخَفَّ، وَكُومُوا
عَلَى قَلْبِكَ لِعَنَاتِهِمْ، ثُمَّ أَحْكُمُوا قِيُودَكَ
وَتَرْكُوكَ لِلنِّيرَانِ، أَيُّهَا الرَّجُلُ
الْمُقَدَّسُ ! لَكِنْ، آه، لَمْ لَمْ تَعُدْ

مِنَ السَّمَاءِ مُلْتَهَبًا، وَهَاجًا، لَتَضْرِبَ رُؤُوسَ أَوْلَئِكَ
الْمُجَدِّفِينَ، لَمْ لَمْ تَدْعُ الْعَوَاصِفَ لَتَمْحُوْ
مِنَ الْوَطَنِ الْمَدْنَسِ وَتَمْحُوْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ
رُفَاتَ أَوْلَئِكَ الْمُتَوَحِّشِينَ الْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ !

لَكِنْ تِلْكَ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا وَأَنْتَ حَيٌّ، تَلَقَّتْكَ وَأَنْتَ
تَمُوتُ - أَعْرِفُ أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْمُقَدَّسَةَ تَنْسَى أَفْعَالَنَا
نَحْنُ الْبَشَرُ، لِذَلِكَ أَعَادْتُ إِلَى مَنْ اضْطَهَدُوكَ،
كَمَا أَعَادْتُ إِلَيْكَ، ذَلِكَ الْأَمْنُ الْعَتِيقُ

* . Lucilio Vanini (1585-1619) فيلسوف إيطالي أحرق لأنه اتهم بالإلحاد وبممارسة السحر والتنجيم

سُقراط والسَّيِّئاديس

«سقراط القديس، لم لا تُكفُ أبداً عن التَّطَلُّعِ
إلى هذا الفتى؟ أو لستَ عارفاً بأمورٍ أعظم؟
لماذا تُحدِّقُ فيه بِمَحَبَّةٍ،
كأنَّكَ تَنظُرُ إلى الآلهة؟»

مَنْ يَتَأَمَّلُ الحَقائِقَ الأعمقَ يَعشَقُ تَجَلِّياتِ الحياةِ في أوجِ
عُنفوانِها، وَمَنْ يَرى مَنْ العالَمَ شيئاً، يَتَفَهَّمُ تَطَلُّعاتِ
الشَّبَّابِ السَّامِيَّةِ. وفي النِّهايةِ،
غالباً ما تَنخني الحِكْمَةُ إِجْلالاً لِلجَمالِ.

حَكَم

نَصِيحَة

لديكَ عقلٌ وقلب؟ أنصحكَ أن لا تكشفَ إلاَّ عن أحدهما، إنْ تَكشفَ
عنهما معاً في نفس الآن، تكنْ لعنتُهما عليك مُضاعفة.

المتميزون

إخواني الأعزاء، مهما تفعلون، لا تُحاولوا أن تكونوا كُتَّاباً مُتميّزين؛
أجلُّوا القَدَرَ، وتَقَبَّلُوا أنَّ الرَّدَاءَ في ما تنجزون أمرٌ بشريٌّ. فإنْ يتجرأ
الرأسُ يوماً، يَتَبَّعَهُ الذَّنْبُ، وعصرُنا الزَّاهي، أيها الألمان، قد ولَّى ولنْ
يُعوذ.

شعرُ الوَصف

آخر الأخبار: أصبح أبوللو إله الصحفيين، وأهل الجرائد،
وأصبحَ غُلامُهُ الأزرقُ العينينِ هو الذي يخبر بكل الوقائع.

الإنسان

حينَ تَبَدَّثَ كَالْبِرَاعِمِ لِأَجْلِكَ أَيُّهَا الْأَرْضُ،
حينَ تَبَدَّثَ ، مِنْ الْمَاءِ مِثْلَ الْبِرَاعِمِ ، قِمِّمِ الْجِبَالَ الْفَتِيَّةَ
وَنَشَرْتَ أَوْلَى الْجُزْرِ الْبَهِيْجَةِ الْمَلِيَّةِ بِأَيْكِ دَائِمِ الْخَضِرَةِ ،
نَشَرْتَ الْفَرْحَ عَبِيْرًا وَأَغْدَقْتَ عَطْرَهَا

وَسَطَ الْبَحْرَ الرَّمَادِي الْمَهْجُورَ؛ وَكَانَ إِلَهُ الشَّمْسِ
عَنْهَا رَاضِيًّا ، فَنَظَرَ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي نَشَأَتْ حَدِيثًا ،
إِلَى النَّبَاتَاتِ ، إِلَى الْأَطْفَالِ الْبَاسِمِينَ ، أَطْفَالِ أَنْجَبَهُمْ شَبَابُهُ
الَّذِي لَا يَكُلُّ ، أَنْجَبَهُمْ مِنْكِ أَنْتِ ، أُمَّهُمْ -

إِذَا ذَاكَ كَانَ أَجْمَلُ أَوْفَالِكَ رَاقِدًا هُنَاكَ
فِي أَجْمَلِ جَزِيرَةٍ حَيْثُ ظَلَّ النَّسِيمُ يَسْرِي
لَطِيْفًا هَادِنًا حَوْلَ الْأَيْكِ
وَكَانَ قَدْ وُلِدَ بَاكِرًا ذَاتَ فَجَرٍ بَعْدَ لَيْلَةٍ لَطِيْفَةٍ ،

وَوُضِعَ فِي مَهْدٍ وَسَطٍ عَنَاقِيدِ الْكَزْمِ -
وَنَحْوِ الْأَبِ هَلْيُوسَ رَفَعَ الْفَتَى
عَيْنِينَ تَعْرِفَانِهِ، أَفَاقَ، وَبَدَأَ يَتَذَوَّقُ
عَذُوبَةَ حَبَّاتِ الثُّوتِ، إِذِ اخْتَارَ

الكَزْمَ الْمُقَدَّسَ لَهُ مُرْضِعَةً، وَسَرَّعَانَ مَا نَمَّا،
كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ تَتَجَنَّبُهُ، فَالْإِنْسَانُ يَخْتَلِفُ عَنْهَا.
لَا يُشَبِّهُكَ أَنْتِ، أُمَّهَ،
وَلَا يُشَبِّهُ أَبَاهُ، فَفِيهِ تَحْنًا،

بِجُرْأَةٍ وَفَرَادَةٍ، مُتَأَصِّلَتَيْنِ مَعًا، رُوحُ أَبِيهِ،
وَفَرْحُكَ، حُزْنُكَ، أَنْتِ، أَيُّهَا الْأَرْضُ،
يَتَوَقَّ إِلَى أَنْ يَكُونَ مِثْلَهَا، مِثْلَ الطَّبِيعَةِ،
أُمُّ الْأَلْهَةِ وَالْمُحِيطَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ !

آه، لهذا تُبَعِّدُهُ غَطْرُ سَتِّهِ
عَنْ أَمَانِكَ، أَيُّهَا الْأَرْضُ، فَتَكُونُ عَبَثًا
كُلُّ هِبَاتِكَ وَكُلُّ أَغْلَالِكَ النَّاعِمَةَ -
يَرَى كُلَّ ذَلِكَ قَلِيلًا، ذَلِكَ الطَّائِشُ !

فَالِى مَا وَرَاءَ مُرُوجِهِ الْعَطِرَةِ عِنْدَ ضِفَافِ النَّهْرِ،
يُطْرَدُ الْإِنْسَانُ إِلَى حَيْثُ الْمَاءُ بِلا أَزْهَارٍ،
وَمَعَ أَنَّ بَسَاتِينَهُ تَلْمَعُ بِالثَّمَارِ الذَّهَبِيَّةِ
مِثْلَ لَيْلَةٍ تُرْصَعُهَا النُّجُومُ، فَإِنَّهُ يَخْفَرُ لِنَفْسِهِ

كُهُوفًا وَيَفْحَصُ الشُّعَاعَ،
بَعِيدًا عَنِ النُّورِ الصَّافِيِّ، نَوْرٍ وَالِدِهِ الْعَظِيمِ،
وَيَخُونُ أَيْضًا إِلَهَ الشَّمْسِ،
يَحْتَقِرُ الْهُمُومَ وَلَا يُحِبُّ الْكَادِحِينَ أَبَدًا.

فَطُيُورُ الْغَابِ أَكْثَرُ حُرِيَّةً فِي اسْتِنْشَاقِهَا الْهَوَاءَ،
وَمَعَ أَنَّ صَدْرَ الْإِنْسَانِ يَمْتَدُّ مُتَعَاظِماً مُتَكَبِّراً،
وَبَوْسَعِ نَظَرِيَّتِهِ أَنْ تَخْتَرِقَ ظِلَامَ الْآتِي،
فَإِنَّهُ يَرَى الْمَوْتَ أَيْضاً وَعَلَيْهِ أَنْ يُوَاجِهَهُ وَحِيداً.

وَهُوَ يَحْمِلُ السَّلَاحَ، فِي قَلْقٍ دَائِمٍ،
ضِدَّ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَحْيَا وَتَتَحَرَّكُ فِي كِبْرِيَاءٍ؛
يَسْتَهْلِكُ نَفْسَهُ فِي النَّزَاعِ، وَنَادِراً مَا يُرْضِيهِ
الْإِزْهَارُ اللَّطِيفُ، إِزْهَارُ أَمْنِهِ.

أَوْ لَيْسَ الْإِنْسَانُ مُنْعَمًا، أَوْ لَيْسَ سَعِيداً
بِالْقِيَاسِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؟ لَكِنَّ الْقَدَرَ الْأَعْمَقَ،
الْقَدَرَ الْمَاحِقَ، يُحْكِمُ قَبْضَتَهُ عَلَى الْقَلْبِ الْمُلْتَهَبِ،
قَلْبِ ذَلِكَ الْقَوِيِّ، لِيَعْصِرَهُ.

أَنْشُودَةٌ هَايِّبِيرِيُون عَنْ الْقَدَرِ

أَيْتُهَا الْأَرْوَاحُ الْمُقَدَّسَةُ، تَخْطُرْنَ هُنَاكَ
فِي النُّورِ، عَلَى الْأَرْضِ النَّاعِمَةِ.
وَالنَّسَمَاتُ الْإِلَهِيَّةُ الْمُشْرِقَةُ
تَلْمِسُكُنَّ، تَلْمِسُكُنَّ بَرْقُ،
كَأَنَّهَا أَنْامِلُ عَازِفَةٌ
تُدَاعِبُ أَوْتَاراً مُقَدَّسَةً.

مِثْلَ أَطْفَالٍ نَائِمِينَ، تَتَنَفَّسُ
الْآلَهُةُ بِمَنْتَهَى الْعَفْوِيَّةِ،
تُوَاصِلُ الرُّوحَ فِي الْآلَهَةِ
إِزْهَارَهَا، تَصُونُهَا الْعَفَّةُ،
كَأَنَّهَا مَحْفُوظَةٌ فِي بُرْعَمٍ وَلِيدٍ،
وَتَشْخُصُ عَيُونُهَا الْمُقَدَّسَةُ،
تَشْخُصُ سَاكِنَةً،
فِي صَفَاءٍ أَبَدِيٍّ.

لَمْ نُوهَبْ مَكَانًا
فِيهِ نَسْتَرِيحُ.
الْبَشَرُ الْمُتَأَلِّمُونَ
يَأْفُكُونَ، يَتَسَاقُطُونَ هَذِرًا
كُلَّ لَحْظَةٍ،
كَأَنَّهُمْ مَاءٌ يُقَذَفُ
مِنْ جُرْفٍ إِلَى جُرْفٍ،
وَسَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ،
يَهْوُونَ نَحْوَ غِيَاهِبِ الْمَجْهُولِ.

[في أيام صباي ...]

في أيام صباي
غالباً ما كان إله يُنقذني
من صيحات البشر ومن عقابهم؛
وَكُنْتُ إِذْكَ أَلْعَبُ آمناً مُطمئنّاً
أُلاعِبُ أزهارَ البستانِ
وأنسامَ السماءِ
تُلاعِبُنِي .

وكما تُدخلُ المسرَّةَ
على قلوبِ النباتاتِ
إذْ تَمُدُّ نَحْوَكَ أذْرَعَهَا الرِّقِيقَةَ،
كَذَلِكَ أَدْخَلْتَ الْمَسْرَّةَ عَلَى قَلْبِي،
أَيُّهَا الْأَبُ هَلْ يُوسَ، ومثلَ إنديميونَ
كُنْتُ مَحْبُوبَكَ،
يَا لُونَا الْمُقَدَّسَةَ.

فَيَا كُلَّ الْإِلَهَةِ
الطَّيِّبَةِ الْمُخْلِصَةِ!
وَدِدْتُ لَوْ تَعْلَمِينَ
كَمْ أَحَبَّتْكَ عِنْدَئِذٍ رُوحِي.

صَحِيحٌ، لَمْ أَكُنْ أَتَذِ
أَسْتَخْصِرُكَ بِالْأَسْمَاءِ وَلَا كُنْتُ
بِالْأَسْمِ تُنَادِينِي، كَمَا يَفْعَلُ الْبَشَرُ،
وَكَأَنَّهَمْ مُتَعَارِفُونَ.

لَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُكَ أَفْضَلَ
مِمَّا عَرَفْتُ الْبَشَرَ.
وَكُنْتُ أَفْهَمُ صَمَتَ الْفَضَاءِ،
لَكِنِّي لَمْ أَفْهَمْ قَطُّ كَلَامَ الْبَشَرِ.

تَرَبَّيْتُ عَلَى عُذُوبَةٍ
خَفِيفِ الْأَيْكِ
وَتَعَلَّمْتُ أَنْ أَحَبَّ
وَسَطَ الزُّهُورِ.
نَشَأْتُ فِي أَحْضَانِ الْآلِهَةِ.

ذَوُ النِّزَوَاتِ

مَنْ بَعِيدٍ، دَعِينِي أَسْمِعْ أَنْغَامَ الْأَوْتَارِ وَالْأَنَاشِيدِ
فَسُرْعَانَ مَا تَمْلَأُ السَّكِينَةَ قَلْبِي - حِينَ أَشْكُو،
كَذَلِكَ يَعْتَرِينِي التَّحَوُّلُ
حِينَ تَتَجَلَّيْنِ لِي، أَيُّهَا الْكَرْمَةُ الْأَرْجَوَانِيَّةُ،

فِي ظِلِّ الْغَابَةِ حَيْثُ تَسْطَعُ بِرَفَقٍ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ
قَوِيَّةً عَالِيَةً، وَتَنْسَابُ فَوْقَ أَوْرَاقِ الصَّيْفِ؛
هُنَاكَ أَجْلِسُ هَادِئًا، مَعَ أَنِّي
كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ أَجُوبُ الْحَقُولَ

غَاضِبًا، مَحْزُونًا، مُسْتَاءً - ذَاكَ حَالِ شُعْرَائِكَ،
أَيُّهَا الطَّبِيعَةُ، مُدَلِّلُونَ، مُعَرِّضُونَ لِلثَّوَرَةِ،
مُهَيِّئُونَ لِلْحِدَادِ وَالْبُكَاءِ، مِثْلَ أَطْفَالِ
دَلَّلْتَهُمْ أُمَهَاتٍ شَغُوفَاتٍ لَا يَعْرِفْنَ الصَّرَامَةَ

مُتَقَلِّبُو المِزَاجِ أَبَدًا، ذَوُو غَطْرَسَةٍ وَعِندَادٍ،
مُشَاةٌ حِينَ يَرْضَوْنَ، لَكِنَّ أبْسَطَ الْأُمُورِ
قَدْ تُرَبِّكُهُمْ، فَيَجْمَعُونَ
وَيَجْنَحُونَ عَنْ طَرِيقِكَ الْقَوِيمِ.

لَكِنْ، مَا إِنْ تَلْمِسيهِمْ بِرَقَّتِكَ، أَيُّهَا الْوَلُوعَةُ،
حَتَّى يَغْدُوا طَيِّبِينَ وَدِيعِينَ، لِأَوَامِرِكَ مُطِيعِينَ؛
فَبُوسُوعِكَ - وَأَنْتِ رَبُّهُمْ - أَنْ تَقْوَدِيَهُمْ
بِأَعْنَتِكَ النَّاعِمَةِ أَنَّى تَشَائِنِ.

رُوح العَصْرِ

لِزَمَنْ طَوِيلَ تَحَكُّمَتَ هُنَاكَ عَالِيَاً فَوْقَ رَأْسِي،
وَكُنْتُ، يَا إِلَهَ الزَّمَانِ، مُتْلَفَعَاً بَغِيْمَةً مُرْعِدَةً!
وَهَاهِيَ الْأَرْضُ تَمْتَدُّ مُقْفِرَةً، مُقْفِرَةً هَيَّابَةً
وَكُلُّ مَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ يَتَرَنُّحُ وَيَتَحَطَّمُ.

وَأُطْرُقُ أَنَا مِثْلَ صَبِيٍّ،
وَمِنْكَ أَفِرُّ إِلَى غَارٍ عَمِيقٍ، وَأُبْحَثُ،
أَنَا الْمُسْكِينَ الْجَبَانَ، أُبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ
قَدْ تَكُونُ عَنْهُ غَائِبًا، يَا مُحْطَمٌ كُلِّ شَيْءٍ.

لَكِنْ، أَبِي، دَعْنِي أَقَابِلُ وَجْهَكَ أَخِيرًا
مَفْتُوحَ الْعَيْنَيْنِ! أَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ الَّذِي
وَهَبْتَنِي الْعَقْلَ، يَقْظًا، مِنْ شُعَاعِكَ،
وَبَجَلَالِكَ وَهَبْتَنِي الْحَيَاةَ، أَيُّهَا الْأَبُ؟ -

حَقًّا، نَحْنُ نَجْنِي عُنفواناً مُقَدَّساً مِنْ كُرومِك ؛
ففي اعتدالِ الرَّبيعِ، أو حينَ يَتَجَوَّلُ النَّاسُ
في سَكِينَةِ البساتينِ، سَيُلاقُونَ
إِلهاً مُشْرِقاً؛ لَكِنَّكَ، بِقُوَّةٍ تَمْتَدُّ فِي المَدَى،

تُوقِظُ أَرْواحَ الشَّبَابِ، وَتَمْنَحُ الشُّيُوخَ
فُنُوناً حَكِيمَةً؛ وَحَدُهُ الشَّرِيرُ يَزْدَادُ سُوءاً،
لَكِنِّي تَكُونُ نَهايَتُهُ عَاجِلَةً،
إِذْ تَقْبِضُ رُوحَهُ بِجَبَروتِكَ الَّذِي يَهْزُ العَالَمَ.

في الصَّبَاحِ

يَلْمَعُ المَرْجُ المُرْصَعُ بالَطَّلِ، وَيَزْدَادُ نَضَارَةً،
يَنْدَفِعُ الجَدُولُ يَقْظًا، وَتَشْنِي شَجَرَةُ الزَّانِ
رَأْسَهَا المَرْنَ، وَيُسْمَعُ فِي الأَوْرَاقِ
حَفِيفٌ، يَبْدَأُ فِي الظُّهُورِ أَلَقٌ، وَحَوْلَ

ضَفَافِ الغُيُومِ ثَمَّةٌ وَمِيضٌ مِنْ وَهَجِ أَحْمَرٍ،
يَتَلَألُ بِشَائِرٍ، يَتَمَاوَجُ وَيَلْعَبُ فِي صَمْتٍ؛
ذَلِكَ المُنْتَقِلُ أَبَدًا، كَالأَمْوَاجِ
عَلَى الشَّاطِئِ تَتَلَاظِمُ وَتَعْلُو.

تَعَالِ، آه تَعَالِ الآنَ، وَلَا تَكُنْ جَزَعًا،
أَيُّهَا النَّهَارُ الذَّهَبِيُّ، فَوْقَ قَمَمِ السَّمَاءِ أَسْرِعْ!
فَرُؤْيَايَ، أَيُّهَا السَّعِيدُ، تُحَلِّقُ نَحْوَكُ،
نَحْوَكُ تُحَلِّقُ بِأُلْفَةٍ وَانْفِتَاحِ

وَأَنْتَ فِي جَمَالِكَ الْفَتِيِّ شَاخِصٌ وَلَا يَزَالُ
بُؤْسَعِي أَنْ أَطِيقَ بَهَاءَكَ وَغُرُورَكَ وَضِيَاءَكَ.
وَبُؤْسَعِي أَنْ أَقُولَ لَكَ أَسْرِعْ كَمَا تَشَاءُ
فَلْيَتَنِّي أَمْضِي مَعَكَ أَيُّهَا الْجَوَّالُ الْإِلَهِيُّ !

لَكِنَّكَ الْآنَ تَبْسُمُ مُشْفِقًا عَلَى كِبْرِيَائِي الرَّضِيَّةِ،
ذَلِكَ بِكَ أُولَى، فَبَارِكْ، إِذَنْ، أَيُّهَا الْوَرْدُ الْمُتَعَرِّشُ،
بَارِكْ أَعْمَالِي الْفَاتِيَّةَ، وَأَنْزِرْ، فِي هَذَا الْيَوْمِ،
أَيُّهَا الرَّؤُوفُ، أَنْزِرْ دَرْبِي الصَّامِتَ.

المآين *

صَحِيحٌ أَنَّ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ بِلَاداً كَثِيرَةً
أَتَوَقُّ إِلَى رُؤْيَيْهَا، وَفَوْقَ التَّلَالِ أَحْيَانَا
يَفِرُّ مِنِّي قَلْبِي، وَتَشْرُدُ أُمْنِيَاتِي
نَحْوَ الْبَحْرِ، ثُمَّ إِلَى تِلْكَ الشَّوَاطِئِ الَّتِي نَالَتْ

مِنَ الْمَدِيحِ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَتْهُ كُلُّ الشَّوَاطِئِ الَّتِي أَعْرِفُهَا ؛
لَكِنْ لَا بِلَدَ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ أَعَزُّ عَلَيَّ
مِنْ بِلَدِ الْحَدَادِ، بِلَدِ الْهِيلِينِيِّينَ،
ذَلِكَ الَّذِي فِيهِ يَرْقُدُ أَبْنَاءُ الْأَلْهَةِ نَائِمِينَ .

آه، تَارَةً أَتَوَقُّ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ، عَلَى سَاحِلِ سُونِيُومَ ،
وَتَارَةً أَسْتَدِلُّ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى أَعْمَدَتِكَ، يَا أَوْلَمِپْيُونُ،
وَأَسْتَعْجِلُ قَبْلَ أَنْ تَطْمَرِكَ الرِّيحُ
الشَّمَالِيَّةُ أَنْتَ أَيْضاً فِي الْأَنْفَاضِ الْمَتَنَاثِرَةِ،

* Der Main نهر في ألمانيا، وهو واحد من أهم روافد نهر الراين.

أُنْقَاضَ مَعَابِدِ أَثِينَا، وَتَمَائِيلِ آلِهَتِهَا،
فَقَدْ صَمَدَتَ طَوِيلًا فِي وَحْشَةِ خَرَابِكَ،
يَا مَفْخَرَةَ عَوَالِمِ انْقِرَضَتْ ! آه يَا أَيْتُهَا
الْجَزَائِرُ الْاَيُونِيَّةُ الْبَهِيَّةُ، يَا مَنْ تُقْبَلُ النِّسَائِمُ ثَغْرَكَ

مَنْ عَرَاءِ الْبَحْرِ لَتُعْدَقَ الْاِعْتِدَالُ عَلَى دَفْءِ الشَّوَاطِئِ
بَيْنَمَا يَنْضِجُ الْكَزْمُ تَحْتَ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الْمُسْكِرَةِ،
فِيكَ، آه، فِيكَ الْخَرِيفُ الذَّهَبِيُّ مَا يَزَالُ
يُحِيلُ زَفَرَاتِ النَّاسِ أَغَانِي،

الآن يُغْوِيهِمْ، رَغَمَ هُمُومِهِمْ، بُسْتَانُ لِيْمُونِهِمْ،
وَتُغْوِيهِمْ شَجَرَةُ رَمَانِهِمْ الَّتِي أَثْقَلَتْهَا الثَّمَارُ الْأَرْجَوَانِيَّةُ،
وَتُغْوِيهِمْ خَمْرُهُمُ اللَّذِيذَةُ، وَيُغْوِيهِمْ إِيقَاعُ الطَّبْلِ، وَتُغْوِيهِمْ
أَنْغَامُ الْقَانُونِ، فَيَهْبُتُونَ لِيَرْقُصُوا رَقْصَةَ الْمَتَاهَةِ . . .

إِلَيْكَ، رَبِّمَا إِلَيْكَ أَيْتُهَا الْجَزْرُ، سَيَّاتِي
يَوْمًا مُغْنٍ شَرِيدٌ؛ فَالْقَدَرُ يَقُودُهُ
مِنْ غَرِيبٍ إِلَى غَرِيبٍ، وَالْأَرْضُ
الَّتِي لَا تُحَدُّ، أَسْفَاهُ، لَا بَدَّ أَنْ تَخْدِمَهُ

وَهُوَ طَوَالَ الْعُمُرِ بِلَا قَوْمٍ وَلَا وَطَنٍ،
وَحِينَ يَمُوتُ - لَكِنِّي، يَآنِهَرُ مَايْنُ الْبَهِيَجِ،
أَبْدًا لَنْ أُنْسَاكَ أَوْ أُنْسَى ضَفَافَكَ، فَأَنَا لَمْ أَرِ
مِثْلَهَا ضَفَافًا مُبَارَكَةً فِي كُلِّ أَسْفَارِي.

فَأَنْتَ، عَلَى كِبْرِيَاكَ، تَقَبَّلْتَنِي بِكَرَمٍ،
وَبِتَدْفُوقِكَ النَّاعِمِ وَهَبْتَ عَيْنَ الْغَرِيبِ الْأَلْقَى،
وَبَرَفَقَ عَلَّمْتَنِي الْأَغَانِي الْمُنْسَابَةَ،
وَعَلَّمْتَنِي الْقُوَّةَ الَّتِي فِي الصَّمْتِ تَحْيَا.

أَهْ، بِهُدُوءٍ كَمَا تُسَافِرُ النُّجُومُ،
تُسَافِرُ أَنْتَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ،
نَحْوَ شَقِيقِكَ الرَّائِنِ، ثُمَّ تُرَافِقُهُ
وَتَهْبِطَانِ فَرَحَيْنِ نَحْوَ الْمُحِيطِ الْأَعْظَمِ.

[اغْرُبِي، إِذْنُ، أَيُّهَا الشَّمْسُ الْجَمِيلَةُ ...]

اغْرُبِي، إِذْنُ، أَيُّهَا الشَّمْسُ الْجَمِيلَةُ، فَهُمْ لَمْ يُقَدِّرُوا
حَقَّ قَدْرِكَ، وَلَا عَرَفُوا، أَيُّهَا الْمَقْدَسَةُ، قِيَمَتِكَ
فَأَنْتِ كُنْتَ تُشْرِقِينَ هَادِئَةً دُونَ عَنَاءٍ
عَلَى قَوْمٍ كَانُوا أَبَدًا يَكْذَحُونَ.

لَكَنَّكَ بَكَرَمْتَ تُشْرِقِينَ عَلَيَّ وَعَنِّي تَغْرِبِينَ،
وَلَكِ، يَا نُورًا بَهِيًّا، تَسْتَجِيبُ بِالْبَرِيقِ عَيْنَايَ،
فَأَنَا تَعَلَّمْتُ الْإِجْلَالَ الْإِلَهِيَّ الصَّامِتَ
حِينَ هَدَّأْتَ ذِيوتَيْمَا نِيرَانِ سُعَارِي.

أَهْ لَكُمْ أَنْصَتُ - يَا رَسُولَةَ السَّمَاءِ - إِلَيْكَ،
أَنْصَتُ إِلَيْكَ، مُعَلِّمَتِي ! أَنْصَتُ يَا ذِيوتَيْمَا الْحَبِيبَةَ !
وَتَطَلَّعْتُ إِلَى النَّهَارِ الذَّهَبِيِّ هَاتَانِ الْعَيْنَانِ،
هَاتَانِ اللَّتَانِ اغْرُورَمَتَا امْتِنَانًا وَهُمَا إِلَيْكَ تَنْظُرَانِ

وَفَوْرًا بَدَأَتِ الْغُدْرَانُ بِالْعُنْفَوَانِ تُهَمِّمُهُمْ
بَدَأَتْ أَزْهَارُ الْأَرْضِ السَّودَاءِ تَبْشُّنِي بِمَحَبَّةٍ شَذَاهَا
وَأَطْلَتْ عَلَيَّ مِنْ خِلَالِ الْغُيُومِ الْفِضِّيَةِ سَمَاءٌ صَاقِيَّةٌ،
سَمَاءٌ بِاسْمَةٍ، سَمَاءٌ تُغْدِقُ مِنْ نِعْمَتِهَا عَلَيَّ.

نِكَارُ*

في وديانِكَ أَحَسَّ قلبي بالحياة،
كانتُ مويجاتك تلعبُ من حولي،
وكلُّ التلالِ الحبيبةِ التي تعرفُك،
أيها الهائمُ، لا أعرفُ أنا منها تلاً.

على قِمَمِها غالباً ما كان نَسِيمُ السَّماءِ
يُخلِّصُني من آلام العبودية ؛ ومن الوادي،
كانتِ المُوَيْجَةُ الفِضِيَّةُ المائلةُ إلى الزُّرْقَةِ تتلألُ،
كأنَّها الحياةُ تتلألُ من قَدَحِ البهجة.

كانتُ جداولُ الجبلِ تندفعُ هابطةً نحوك،
وكانَ قلبي أيضاً يرافُقُها، وكُنْتَ تأخذُنا معك
إلى الرّايِنِ الجليلِ الهادئِ،
فتمضي بنا إلى مُدُنِهِ وجزيراته المِرحَةِ.

* Der Neckar نهر يخترق مدينة تونينغن.

لَا يَزَالُ الْعَالَمُ يَبْدُو لِي رَائِعاً،
وَعَيْنَايَ تَهْرَبَانِ مِنِّي، تَوَاقَةً إِلَى مُغْرِيَاتِ الْأَرْضِ،
إِلَى پَاكْتُولُسِ الذَّهَبِيِّ، وَشَوَاطِئِ إِزْمِيرَ،
إِلَى غَابَاتِ طَرْوَادَةِ. وَغَالِباً مَا تَمَنِّيْتُ

أَنْ أَرْسُوَ بِالْقُرْبِ مِنْ سُونْيُومَ،
وَأَسْأَلَ الطَّرِيقَ الصَّامِتَةَ عَنْ أَغْمَدَتِكَ،
يَا أَوْلَمِپْيُونُ، قَبْلَ أَنْ تَطْمَرِكَ الْعَاصِفَةُ
وَيَطْمَرِكَ الزَّمَانُ تَحْتَ أَنْقَاضِ مَعَابِدِ أَثِينَا

وَتَمَاطِيلِ الْأَلْهَةِ؛ فَقَدْ ظَلَلْتَ مُتَتَصِباً
لِزَمَنِ طَوِيلٍ، يَا مَفْخَرَةَ الْعَالَمِ الْبَائِدِ.
وَأَنْتِ يَا جُزَرَ أَيُونِيَا الْجَمِيلَةِ،
حَيْثُ نَسِيمُ الْبَحْرِ يُنْعَشُ

الشَّوَاطِئُ الْحَارَّةُ وَيَنْفُثُ الْحَفِيفَ
فِي غَابَاتِ الْغَارِ، حِينَ تُدْفِئُ الشَّمْسُ
الْكُرُومَ، آهٍ، وَحَيْثُ الْخَرِيفُ الذَّهَبِيُّ
يُحِيلُ زَفَرَاتِ الْبُؤْسَاءِ غِنَاءً،

حِينَ تَيْنَعُ شَجَرَةُ الرُّمَانِ عِنْدَهُمْ،
حِينَ يَوْمِضُ الْبُرْتُقَالُ فِي لَيْلٍ أَخْضَرَ،
وَحِينَ تَتَقَاطَرُ صَمْنُغًا شَجَرَةُ الْمُصْطَلَكِيِّ، وَيَعْلُو
صَوْتُ الصَّنَجِ وَالطَّبْلِ لِتَبْدَأَ رَقْصَةُ الْمَتَاهَةِ.

إِلَيْكَ، أَيُّهَا الْجَزْرُ، قَدْ يَأْخُذْنِي الْإِلَهُ
الْحَارِسُ يَوْمًا؛ لَكِنَّ فِكْرِي آنْثِذِ لَنْ يَكُفَّ
عَنِ الْبَقَاءِ فِي نِيكَارِ الْحَبِيبِ ذِي الْمَرْوَجِ الْفَاتِنَةِ،
نِكَارِ الْمُحْفُوفِ بِأَشْجَارِ الصَّفْصَافِ.

الوداع

أَكُنَّا نَرْغَبُ إِذْنَ فِي الْفِرَاقِ؟ حَسِبْنَاهُ حِكْمَةً وَحَسِبْنَاهُ خَيْرًا؟
فَلَمَّاذَا، إِذَنْ، لَمَّاذَا صَدَمْنَا الْفِرَاقُ كَأَنَّهُ الْقَتْلُ؟
أَهْ مَا كُنَّا نَعْرِفُ أَنْفُسَنَا إِلَّا قَلِيلًا،
فَبِطَائِنِنَا إِلَهٌ مُتَحَكِّمٌ.

أَكَانَ مُخْطِئًا ذَلِكَ الْإِلَهَ؟ أَنْ أَخُونَهُ - وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ لَنَا
الْحَيَاةَ، وَالْمَعْنَى، وَكُلَّ مَا كُنَّا نَمْلِكُ، الَّذِي أَلْهَمَنَا وَأَحْيَانًا،
الَّذِي كَانَ يَخْمِي حُبَّنَا -
أَنْ أَخُونَهُ، بُوْسُعِي أَنْ أَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا هَذَا.

لَكِنَّ خَطِيئَةً أُخْرَى، عُبوديةً أُخْرَى
تَبْدِعُهَا الْآنَ بَدِيعَةُ الْعَالَمِ، تُهَدِّدُنَا بَنَوَامِيسَ أُخْرَى،
وَبِالْخُدَاعِ يَسْلُبُنَا الْعُرْفَ
يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ أَرْوَاحَنَا.

آه، كُنْتُ أَعْرِفُ هَذَا مِنْ قَبْلُ. مُنْذُ أَنْ فَرَّقَ
الْخَوْفُ الدَّمِيمُ، الْكَسِيحُ، الْمُتَجَذِّرُ، فَرَّقَ بَيْنَ الْفَانِينَ
وَالْهَةِ السَّمَاءِ، لَيْسَتْ رُضِيهَا بِسَفْكِ الدَّمَاءِ،
مُنْذُ صَارَ مَحْتَوماً أَنْ تُقَدَّمَ قُلُوبُ الْعُشَّاقِ قَرَابِينَ.

لَأُضْمِتَ الْآنَ! وَلَأَتَجَاهَلَ مِنْ الْآنَ هَذَا،
لَأَتَجَاهَلَ عَارِي الْفَتَّاكِ، حَتَّى أُخْفِيَ بِسَلَامٍ
نَفْسِي هُنَاكَ حَيْثُ الْوَحْشَةُ
وَحَيْثُ يَكُونُ الْفِرَاقُ (عَلَى الْأَقْل) فِرَاقَنَا.

نَاوَلِينِي الْكَاسَ إِذْنُ، بِيَدِكَ أَنْتِ، نَاوَلِينِي كَأْسَ السُّمِّ
الْمُقَدَّسِ الْمُنْقَذِ، نَاوَلِينِي الْجُرْعَةَ الْمُهِلِكَةَ
كَيْ أَشْرَبَ مَعَكَ أَنْتِ، الْأَشْيَاءَ كُلِّهَا،
الْحُبَّ وَالْكَرَاهِيَةَ، سَتَغِيبُ آنْتُذِ فِي النَّسْيَانِ.

أُمْنِيَّتِي أَنْ أَرْحَلَ، عَلَّانَا نَلْتَقِي يَوْمًا،
يَا ذِيوَيْمًا - هَاهُنَا، لَكِنَّ الشَّهْوَةَ عِنْدِي
سَتَكُونُ قَدْ نَضَبَتْ، وَفِي السَّكِينَةِ،
كَالْمُقَدَّسِينَ، وَكَالْغُرَبَاءِ،

سَنَشْرُدُ مَعًا، إِذْ تَقُودُنَا أَحَادِيثُنَا تَارَةً هُنَا وَتَارَةً هُنَاكَ،
مُتَرَدِّدِينَ، مُتَأَمِّلِينَ، لَكِنَّ الْغَافِلِينَ سَيْرِيَانِ أَتْنِذِ
الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ فِرَاقُهُمَا،
وَسَيَنْبَعُ الدَّفْءُ مَرَّةً أُخْرَى فِي قَلْبِنَا،

وَأَسْتَغْرِبُ إِذْ أَنْظَرُ إِلَيْكَ، وَأَسْمَعُ أَصْوَاتًا وَأَغَانِي عِذَابًا
تُذَكِّرُنِي بِعُهُودٍ بَعِيدَةٍ، وَأَسْمَعُ أَنْغَامَ الْأَوْتَارِ
وَأَرَى زَهْرَةَ الْبَنْفَسِجِ تُسْفَرُ عَنْ
عِطْرِهَا، أَرَاهَا عِنْدَ الْغَدِيرِ ذَهَبِيَّةً.

مَوْعِظَةٌ

يَا صَدَى السَّمَاءِ، أَيُّهَا الْقَلْبُ الْأَجُوفُ، لِمَاذَا،
لِمَاذَا تَصُمْتُ الْآنَ، مَعَ أَنَّكَ لَا تَزَالُ حَيًّا،
وَتَنَامُ، أَيُّهَا الطَّلِيْقُ، جَنَّبَ الْكُفَّارَ
الْمُنْفِيِّينَ أَبَدًا فِي زَنَايِنِ اللَّيْلِ الْعَمِيقِ .

أَوَلَيْسَ نَوْرُ السَّمَاءِ أَبَدًا يَقْظَا؟
وَالْأَرْضُ، أُمْنًا الْعَتِيقَةَ، هَلْ كَفَّتْ يَوْمًا عَنِ الْإِزْهَارِ؟
أَلَيْسَتْ رَوْحُ الْمَحَبَّةِ تَفْرِضُ أَبَدًا
هُنَا وَهَنَّاكَ شَرَائِعَهَا؟

لَسْتُ إِلَّا مُخَفِّقًا ! لَكِنَّ قُوَى السَّمَاءِ تَحْتُ،
وَتَعْمَلُ صَامِتَةً . أَنْفَاسُ الطَّبِيعَةِ
تَهْبُ عَلَىكَ كَأَنَّكَ حَقْلٌ حَصِيدٌ،
إِنَّهَا الْمَنِيرَةُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنَّهَا مُلْهِمَةُ الرُّوحِ .

قَرِيبًا، أَيُّهَا الْأَمَلُ، قَرِيبًا لَنْ تَتَغَنَّى
الْبَسَاتِينُ وَخُذَهَا بِمَدِيحِ الْحَيَاةِ، فَقَدْ أَنْ أَوَانُ
حُلُولِ هَذِهِ الرُّوحِ الْأَبْهَى
الَّتِي سَتُعْلَنُ بِأَفْوَاهِ الْفَانِينَ عَنْ قُدُومِهَا،

وَمَرَّةً أُخْرَى تَتَّحِدُ الْعَنَاصِرُ مَحَبَّةً مَعَ الْبَشَرِ
تَتَّحِدُ وَتَتَشَكَّلُ . أَرْضُنَا لَنْ تَكُونَ ثَرِيَّةً أَوْ مُكْتَمَلَةً
لَكِنْ، حِينَ يَشْكُرُهَا الْأَطْفَالُ الْوَرِعُونَ،
سَيَتَكَشَّفُ صَدْرُهَا بِلَا حُدُودٍ،

وَمَرَّةً أُخْرَى نَجِدُ أَيَّامَنَا الشَّبِيهَةَ بِالْأَزْهَارِ
حَيْثُ يَرَى هَلْيُوسُ السَّمَاءِ نُورَهُ إِذْ تُشَاطِرُهُ
الْكَائِنَاتُ بِسَكِينَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ، فَيَجِدُ
الْبَهْجَةَ فِي بَهْجَةِ هَذِهِ الْمَرَايَا الْفَانِيَةِ.

وَالْأَلُوْهِيَّةُ، تِلْكَ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي الْغَيْبِ
بِخُطَطِ سِرِّيَّةٍ، تِلْكَ الرُّوحُ الْمُقِيمَةُ
فِي كَلِمَاتِ الْبَشَرِ، مَرَّةً أُخْرَى سَتُخَاطَبُ
فِي الظَّهِيرَةِ الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ.

كَانَتِ الْآلَهِةُ...

كَانَتِ الْآلَهِةُ فِي مَا مَضَى تَسِيرُ وَسَطَ الْبَشَرِ،
وَكَانَتْ رَبَّاتُ الْإِلَهَامِ الْبَهِيَّةِ وَكَانَ أَبُولُو الْفَتَيِّ
كَانُوا يُلْهِمُونَنَا وَيَشْفُونَنَا، تَمَاماً كَمَا تَفْعَلِينَ أَنْتِ.
فَأَنْتِ تُحْيِيَنِي كَأَنَّكَ أَحَدُ أَوْلَثِكَ الْمُقَدَّسِينَ
الَّذِينَ أَرْسَلُونِي إِلَى الدُّنْيَا. وَطَيِّفُهَا،
طَيِّفُ حَبِيبَتِي لَا يُفَارِقُنِي،
وَحَيْثُمَا أَقَمْتُ وَكُلُّ مَا تَعَلَّمْتُ،
تَعَلَّمْتُهُ وَنَلِثْتُهُ مِنْهَا،
يَظَلُّ بِالْعَشْقِ مُتَّقِداً حَتَّى الْمَوْتِ.

فَلْتَدْعِينَا نَعِشْ، يَا مَنْ مَعَكَ أَتَعَذَّبُ،
وَلَيْكُنْ سَعِينَا وَجِدَانِيَا نَحْوِ عَصْرِ أَفْضَلِ،
عَصْرِ يَعُمُّهُ الْإِيمَانُ وَالْوَفَاءُ. فَنَحْنُ الْفَرِيدَانُ.
وَإِنْ يَذْكُرُنَا النَّاسُ مَعاً فِي عُصُورٍ قَادِمَةٍ،
حِينَمَا تَسْتَرِدُّ الرُّوحُ سُلْطَانَهَا،
فَسَيَقُولُونَ: هَذَانِ الْمُتَوَحِّدَانِ الْفَرِيدَانِ

خَلَقًا بِالْعَشْقِ عَالِمًا مَكْنُونًا، لَا يُدْرِكُهُ سِوَى الْإِلَهَةِ.
سَتَسْتَرِدُّ الْأَرْضُ أَوْلَئِكَ الْمُنْشَغِلِينَ
بِالْأُمُورِ الزَّائِلَةِ: وَسَيَصْعَدُ غَيْرُهُمْ إِلَى الْأَعَالِي،
سَيَصْعَدُ أَوْلَئِكَ الْأَوْفِيَاءُ لِلْعَشْقِ الْكَامِنِ فِي ذَوَاتِهِمْ،
سَيَصْعَدُونَ نَحْوَ النُّورِ الْأَثِيرِيِّ، نَحْوَ رُوحِ الْإِلَهَةِ.
هَكَذَا، بِالصَّبْرِ وَالْأَمَلِ وَالسَّكِينَةِ،
يُخْضِعُونَ الْقَدَرَ.

إِلَى رَبَّاتِ الْقَدَرِ

هَبِينِي صَنِيفاً واحداً فقط، أيتها المُتَحَكِّمَاتُ،
وَخَرِيفاً واحداً حَتَّى تَصِيرَ الْأَغَانِي يَانَعَةً،
حَتَّى يَهْلِكَ الْقَلْبُ مِنِّي، حَتَّى يَهْلِكَ بِطَوَاعِيَّةٍ،
حَتَّى يَهْلِكَ وَهُوَ مُفْعَمٌ بِتِلْكَ النَّعَمَاتِ الْعِذَابِ.

فَلَنْ تَرْتَاخَ الرُّوحُ هُنَاكَ فِي هَادِسٍ،
إِذَا حُرِّمَتْ وَهِيَ فِي الْحَيَاةِ مِيرَاثُهَا الْإِلَهِيِّ.
لَكِنْ، بَكَ أُرْحَبُ يَا عَالَمَ الصَّمْتِ وَالظُّلَالِ،
إِنْ لَمْ يَخْفِقْ ذَلِكَ الَّذِي أَقْدَسُهُ، بَكَ أُرْحَبُ

إِنْ تُفْلِحِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي تَسْتَقِرُّ الْآنَ فِي قَلْبِي .
سَأَكُونُ إِذَاكَ رَاضِياً، مَعَ أَنَّ الْقِيَارَةَ الَّتِي تُشِيعُنِي
نَحْوَ الْأَسْفَلِ لَيْسَتْ قِيَارَتِي. سَأَكُونُ قَدْ عِشْتُ
كَالْآلِهَةِ، وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ يَكْفِي.

كَيَوْمِ عِيدٍ

كَيَوْمِ عِيدٍ يَتَفَقَدُ فِيهِ فَلَاحُ
حُقُولِهِ، فِي الصَّبَاحِ،
بَعْدَ انْكَسَارِ الْبَرْقِ الْبَارِدِ فِي اللَّيْلِ الْقَائِظِ،
وَالرَّعْدُ لَا زَالَ يَتَرَدَّدُ فِي الْآفَاقِ الْبَعِيدَةِ،
وَالْجَدُولُ يَعُودُ إِلَى ضَفَّتَيْهِ،
وَالْأَرْضُ تَغْدُو خَضِرَاءَ صَافِيَّةً،
وَقَطْرَاتُ الْمَطَرِ الْبَهِيحِ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
لِتَسْتَقِرَّ عَلَى الْكُرُومِ، وَالْأَشْجَارِ فِي الْأَيْكِ
تَنْتَضِبُ لَامِعَةً فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ الْهَادِي.

يَقِفُ الشُّعْرَاءُ فِي الطَّقْسِ الْمُوَاتِي:
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا مُعَلِّمَ لَهُمْ سِوَى الطَّبِيعَةِ،
فَالطَّبِيعَةُ الْمُتَأَلِّهَةُ جَبَرُوتًا وَبَهَاءً،
الطَّبِيعَةُ ذَاتُ الْحُضُورِ الشَّامِلِ الرَّائِعِ،
تُعَلِّمُهُمْ فِي حُضْنِهَا الْحَنُونِ.

وَحِينَ تَبْدُو الطَّبِيعَةُ فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ نَائِمَةً،
فِي السَّمَاءِ أَوْ وَسَطَ النَّبَاتَاتِ أَوْ بَيْنَ الْأُمَمِ،
فَإِنَّ الشُّعْرَاءَ يَبْدُونُ أَيْضاً حَزَازِي.
يَبْدُونُ فِي عَزْلَةٍ، لَكِنَّ نُبُوءَتَهُمْ مُتَوَاصِلَةٌ.
فَالطَّبِيعَةُ ذَاتُهَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ حَتَّى فِي سُبَاتِهَا.

وَهَا هُوَ النَّهَارُ يَنْبَلِجُ الْآنَ! وَقَدْ انْتَضَرْتُ كَيْ أَرَاهُ يُقْبَلُ،
وَمَا رَأَيْتُ - كَلِمَاتِي تُوحِي بِالْقَدَاسَةِ!
فَالطَّبِيعَةُ، وَهِيَ أَقْدَمُ مِنَ الزَّمَنِ،
أَفَاقَتْ عَلَى صَوْتِ السَّلَاحِ،
وَكَانَتْ أَعْلَى مِنْ آلِهَةِ الشَّرْقِ وَمِنْ آلِهَةِ الْغَرْبِ.
الطَّبِيعَةُ الْخَالِيقَةُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تُحَسُّ ثَانِيَةً بِالْحِمَاسَةِ،
وَمِنْ أَعَالِي الْفَضَاءِ إِلَى قَرَارِ الْهََاوِيَّةِ،
عَدْتُ كَمَا كَانَتْ فِي الْبَدْءِ حِينَ تَوَلَّدَتْ،
حَسَبَ الْقَانُونِ الثَّابِتِ، مِنْ الْفَوْضَى الشَّامِلَةِ الْمُقَدَّسَةِ.

وَكَمَا تَتَوَهَّجُ النَّارُ فِي عَيْنِ شَخْصٍ
يُدْبِرُ أَمْرًا عَظِيمًا،

تَتَقَدُّ النَّارُ فِي أَذْهَانِ الشَّعْرَاءِ،
تُوقِدُهَا عَلَامَاتُ الْكَوْنِ وَمَآثِرُهُ.

ما حدث من قبل، ولم يكذب يدرك،
يَصِيرُ الْآنَ، وَلأَوَّلِ مَرَّةٍ، ظَاهِرًا لِلْعَيَانِ.
وَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَحْرُثُونَ حُقُولَنَا
مُتَّخِذِينَ هَيْئَةً كَادِحِينَ يَبْتَسِمُونَ لَنَا
أَدْرَكْنَا الْآنَ أَنَّهُمْ
قَوَى الْآلِهَةِ الْحَيَّةِ.

فَهَلْ تُشَكِّكُونَ فِيهِمْ؟ مُغَرَّدَةٌ تَطُوفُ رُوحُهُمْ،
مُنْبَثِقَةٌ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ وَدَفِ الْأَرْضِ،
وَمِنْ الْعَوَاصِفِ، عَوَاصِفِ الْفُضَاءِ،
وَعَوَاصِفَ غَيْرِهَا نَاشِئَةٍ، فِي أَعْمَاقِ الزَّمَنِ، مِنْ أَصْلٍ أَبْعَدَ.
هَآ نَحْنُ الْآنَ نُدْرِكُهُمْ وَنُحَسِّنُ فَهْمَهُمْ،
إِذْ يُحَلِّقُونَ مُنْسَابِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَوَسَطِ الْأُمَمِ.
إِنَّهُمْ خَوَاطِرُ الرُّوحِ الْمُشْتَرَكِ
تَسْتَقِرُّ هَادِئَةً فِي ذِهْنِ الشَّاعِرِ،

فِي ذِهْنٍ تَضَعُهُ الذِّكْرَى وَتُرْزِلُهُ،
لَأَلْفَتِهِ الْقَدِيمَةِ بِالْمُطْلَقِ.
وَإِذْ يَتَقَدُّ ذِهْنُ الشَّاعِرِ بِالإِشْعَاعِ الْمُقَدَّسِ،
يُجْدِعُ الأَنْشُودَةَ - ثَمَرَةَ الْحُبِّ،
إِبْدَاعَ الآلِهَةِ وَالْبَشَرِ،
الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهِمَا مَعًا.
هَكَذَا صَعَقَ الْبَرْقُ بَنِيَّتَ سِيمِيلِي لِأَنَّهَا،
كَمَا يَرُوي الشُّعْرَاءُ، أَرَادَتْ أَنْ تَخْتَلِي
بِالرَّبِّ وَتَرَاهُ. وَإِذْ يَضَعُهَا الرَّبُّ،
تُنَجِّبُ بِأُخُوسِ الْمُقَدَّسِ،
ثَمَرَةَ الصَّاعِقَةِ.

وَهَكَذَا يَرُشِفُ أَبْنَاءُ الأَرْضِ الْآنَ
نَارَ السَّمَاءِ دُونَ أَنْ يَهْلِكُوا.
وَوَاجِبُنَا، نَحْنُ الشُّعْرَاءُ، أَنْ نَقِفَ
حَاسِرِي الرُّؤُوسِ تَحْتَ عَوَاصِفِ الرَّبِّ،
مُتَمَسِّكِينَ بِأَيْدِينَا نَحْنُ
شِعَاعَ الأبِّ ذَاتِهِ،

وَاجِبُنَا أَنْ نُقَدِّمَ لِلنَّاسِ هِبَةَ السَّمَاءِ
مَلْفُوفَةً فِي الْقَصِيدِ.

فَإِنْ كَانَتْ قُلُوبُنَا كَالْأَطْفَالِ صَافِيَةً،
وَكَانَتْ أَيْدِينَا بَرِيئَةً،

فَلَنْ يَكُونَ إِشْعَاعُ الرَّبِّ الصَّافِي مُحْرِقًا،
وَسَيَتَحَمَّلُ الْقَلْبُ الْمَهْزُوزُ مِنَ الْأَعْمَاقِ
الْعَوَاصِفَ الْهُوجَاءَ، إِذْ يُشَاطِرُ آلَامَ
الرَّبِّ الْأَقْوَى حِينَ يَقْتَرِبُ.

[لَكِنْ، وَأَسْفَاهُ، لَيْتَ ...

أَسْفَاهُ!

لَوْ أَقُولُ الْآنَ...

لَقَدْ جِئْتُ لِأَرَى الْآلِهَةَ،

فَهِيَ ذَاتُهَا الَّتِي قَذَفَتْ بِي إِلَى الْأَحْيَاءِ،

أَنَا، الْكَاهِنُ الْكَاذِبُ، قَذَفَتْ بِي إِلَى الظُّلَامِ،

كَيْ أُنْشِدَ أَغْنِيَةً تُنْذِرُ مَنْ بُوْسَعَهُمْ أَنْ يَتَعَلَّمُوا .

هُنَاكَ -

[قَلْبِي يَنْزِفُ لِأَنَّنِي أَذْمَيْتُهُ، فَأَفْقَدُ السَّكِينَةَ،
وَأَفْقَدُ رِضَا النَّفْسِ الَّذِي اخْتَرْتُهُ بِمَحْضِ الْإِرَادَةِ،
وَحِينَ يَدْفَعُنِي الْقَلْقُ وَالْإِمْلَاقُ نَحْوَ تَرْفِ الْمَائِدَةِ فِي مَأْدَبَةِ الْآلِهَةِ،
حِينَ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِي يـ...]^(١)

١. هذه الأبيات مأخوذة من صيغة منشورة من أعمال الشاعر
Grosse Stuttgarter Ausgabe, Vol. II, pp. 669-70

وقد أوردت هنا في الجزء الثاني من طبعة شتوتغارت للأعمال الكاملة، محاولة لسد الفراغ المفاجئ في
هذه القصيدة.

الوَطَن

التُّوتِي عَلَى النَّهْرِ الصَّامِتِ يَعُودُ نَحْوِ الْوَطَنِ
يَعُودُ مَنْ جُزِرَ نَائِيَةً كَانَ يَجْنِي فِيهَا غِلَالَهُ،
أَشْتَهِي أَنْ أَعُودَ أَنَا أَيْضاً إِلَى الْوَطَنِ،
لَكِنْ مَاذَا جَنَيْتُ سِوَى الْأَسَى؟

أَيْتُهَا الضُّفَّافُ الَّتِي بِهَا تَرَعْرَعْتُ، هَلْ تَسْتَطِيعُ
أَنْ تُسَكِّنَ أَحْزَانَ الْعِشْقِ؟ آه، هَلْ تَسْتَطِيعُ
أَنْ تَمْنَحَنِي غَابَاتِ الطُّفُولَةِ حِينَ أُؤْوِبُ إِلَيْكَ؟
هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعِدَّنَ إِلَيَّ تِلْكَ السَّكِينَةَ؟

سَأَكُونُ هُنَاكَ قَرِيباً، جَنْبَ ذَلِكَ الْجُدُولِ الْبَارِدِ الَّذِي رَأَيْتُ
الْمُؤَيَّجَاتِ فَوْقَهُ تَلْعَبُ، جَنْبَ ذَلِكَ النَّهْرِ الَّذِي شَاهَدْتُ
الْمُرَاكِبَ عَلَيْهِ تَنْسَابُ؛ أَيْتُهَا الْجِبَالُ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا
طَوِيلًا، يَا جِبَالاً كَانَتْ فِي مَا مَضَى تَحْمِينِي،

يَا تُخَوِّمَ مَوْطِنِي الْجَلِيلَةَ الَّتِي لَا يَنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ،
سَأَنْعِمُ قَرِيباً بِعِنَاقِ الْأُخْتِ وَالْأَخِ الْحَبِيبَيْنِ؛
وَسَتَحْضُنُنِي يَا مَوْطِنِي حَتَّى يَنْعَمَ بِالشِّفَاءِ قَلْبِي،
كَأَنَّ حَضْنَكَ ضَمَّدَهُ،

أَنْتَ يَا مَنْ لَا تَزَالُ وَفِيّاً! لَكِنِّي أَعْرِفُ،
أَعْرِفُ أَنَّ قَرْحَ الْعِشْقِ يَعْسُرُ شِفَاؤُهُ،
فَمِنْ هَذَا الْقَرْحِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَشْفِيَ قَلْبِي
أَيُّ أُغْنِيَةٍ يُهْدِهُدُ بِهَا الْبَشَرُ صِغَارَهُمْ

فَالْآلِهَةُ، تِلْكَ الَّتِي أَعَارَتْنَا النَّارَ السَّمَاوِيَّةَ،
وَهَبَّتْنَا كَذَلِكَ الْحَزْنَ الْمُقَدَّسَ، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُهَا.
يَبْدُو أَنَّنِي وَاحِدٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَرْضِ:
وُلِدْتُ كَيْ أَعْشَقَ وَأَتَأَلَّمَ .

فُلُكَان

تَعَالَ الْآنَ يَا رُوحَ النَّارِ الْوَدُودَ، وَلُفَّ
الْعُقُولَ الْمَرْهَفَةَ، عَقُولَ النِّسَاءِ، فِي خِمَارٍ مِنْ غَمَامٍ،
لَفَّهَا فِي أَحْلَامٍ ذَهَبِيَّةٍ، وَاحْفَظْ هُنَاكَ
السَّلَامَ الْمَزْهَرَ، سَلَامَ الطَّيِّبِينَ أَبَدًا.

دَعِ الرَّجُلَ دَائِمَ الرِّضَا عَنْ تَأْمَلَاتِهِ،
عَنْ عَمَلِهِ، عَنْ نُورِ شَمْعَتِهِ وَعَنْ غَدِهِ،
وَلَا تُثْقِلَنَّ كَاهِلَهُ بِمَشَاكِلَ كَثِيرَةٍ تُرْبِكُهُ،
وَلَا بِهُمُومٍ تَافِهَةٍ، تَافِهَةٍ، حَقِيرَةٍ.

حِينَ يَهْجُمُ الْآنَ فِي اللَّيْلِ ذَلِكَ الثَّائِرُ دَائِمًا،
عَدُوِّي مِنْذُ الْمِيلَادِ، حِينَ يَهْجُمُ بوزيَّاسَ،
وَيَغْمُرُ الْأَرْضَ بِالْجَلِيدِ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ،
وَيَضْدَعُ - سَاخِرًا مِنَ النَّاسِ - بِنَشِيدِهِ الْحَرْبِيِّ

وَيَقْصِفُ أَسْوَارَ مَدِينَتِنَا وَيُحْطِمُ سِيَاجاً
كَدَحْنَا طَوِيلًا لِنُقِيمَهُ، وَيَعْصِفُ بِالْبُسْتَانِ الْهَادِي،
بَلْ يُشَوِّشُ عَلَى رُوحِي
إِذْ تَوَلَّفُ أَلْحَانَهَا، فَكُلُّ شَيْءٍ يَسْتَفْزُهُ،

وَإِذْ يُهَيِّجُهُ الْحِقْدُ يَصُبُّ عَلَى الْجَذُولِ الْوَدِيعَ
عَبَّاتٍ سَحَابِهِ السَّودَاءِ، إِلَى أَنْ يَفُورَ
الْوَادِي النَّائِي الْعَرِيضُ، وَتَهْوِي الصُّخُورُ الْعَظِيمَةُ
مِنْ جَوَانِبِ التَّلَالِ الْمُتَفَجِّرَةِ كَالْأَوْرَاقِ السَّاقِطَةِ.

الإنسان - يقيناً - أكثرُ ألوهيةً
من كُلِّ مَنْ يُقَاسِمُهُ الْحَيَاةَ، لَكِنَّهُ - إِذْ يُوَاجِهُهُ الْحَقْدُ بِالْخَارِجِ -
يَصِيرُ أَكْثَرَ إِنْسَانِيَّةً وَيَسْتَقِرُّ فِي كُوْحِهِ آمِنًا مُتَأَمِّلًا -
هَذَا الْفَانِي الَّذِي خُلِقَ حُرًّا.

وَهُنَاكَ - عَلَى الْأَقْلَ - رُوحٌ وَاحِدٌ رَءُوفٌ بِالْإِنْسَانِ،
لَا يَزَالُ يُسَاكِنُهُ هُنَاكَ بِمَسَرَّةٍ، لَا يَزَالُ يُبَارِكُهُ،
وَلَوْ قَدَّرَ لِكُلِّ الْأَرْوَاحِ الْأُخْرَى - كُلِّ الْقَوَى الضَّارِيَةِ
الْجَاهِلَةِ - أَنْ تَتَوَرَّ وَتَعْصِفَ، فَالْمَحَبَّةُ سَتَظِلُّ وَدُوداً حَنُونًا.

شَجَاعَةُ الشَّاعِرِ

أَلَيْسَ كُلُّ مَنْ هُوَ حَيٌّ قَرِيباً مِنْكَ وَذَا صِلَةٍ بِكَ،
أَلَيْسَتْ رَبَّةُ الْقَدَرِ نَفْسُهَا تَرَعَاكَ لِتَخْدَمَ أَهْدَافَهَا؟
وَاصِلٌ، إِذَنْ، سَفَرُكَ عَبْرَ الْحَيَاةِ
أَغْزَلَ، وَلَا تَخْشَ أَيَّ شَيْءٍ هُنَاكَ!

وَلْتَقَبَلْ وَتُبَارِكْ كُلُّ مَا يَحْدُثُ هُنَاكَ،
كُنْ بِالْبَهْجَةِ خَبيراً، أَهْنَاكَ أَيُّ شَيْءٍ
قَدْ يُؤْذِيكَ أَتِيهَا الْقَلْبُ، أَيُّ شَيْءٍ
قَدْ يَسُوؤُكَ هُنَاكَ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ تَذْهَبَ؟

فَكَمَا يُسَافِرُ السَّبَّاحُ الْوَاهِنُ هَادِئاً
بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّوَاطِئِ، أَوْ فِي السَّيْلِ الْهَادِرِ
مِنْ بَعِيدٍ، أَوْ فَوْقَ تِلْكَ الْأَعْمَاقِ الصَّامِتَةِ،
نُحِبُّ أَنْ نَكُونَ نَحْنُ أَيْضاً هُنَاكَ

حَيْثُ يَتَنَفَّسُ وَيَحْتَشِدُ أَوْلَئِكَ الْأَحْيَاءُ، أَقَارِبُنَا،
نَحْنُ شُعْرَاؤُهُمْ؛ وَإِذْ تَغْمُرُنَا الْمَسْرَةُ، نُغْدِقُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ مَوَدَّتَنَا، وَنُوَلِّيهُمْ جَمِيعاً ثِقَتَنَا، وَهَلْ مِنْ وَسِيلَةٍ غَيْرِ هَذِهِ
نَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ نَتَغَنَّى بِإِلَهِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ؟

وَمَعَ أَنَّ الْمَوْجَةَ الْمُدَاهِنَةَ قَدْ تَسْحَبُ أحياناً نَحْوَ الْأَعْمَاقِ
رَجُلًا شَجَاعاً كَهَذَا، حَيْثُ يَتَلَمَّسُ، يَقِينًا، طَرِيقَهُ وَاثِقًا،
وَيَهْوِي الْآنَ فِي الصَّمْتِ صَوْتُ الشَّادِي
إِذِ يَتَلَوَّنُ الْبَهْرُ بِالْأَزْرَقِ؛

فَإِنَّهُ يَمُوتُ مَسْرُورًا، وَلَا تَرَالُ بَسَاتِينُهُ مُوحِشَةً، تَنْدُبُهُ،
تَنْدُبُ هَذَا الَّذِي كَانَتْ قَدْ أَحَبَّتْهُ وَفَقَدَتْهُ، رَغِمَ أَنَّهُ غَرِقَ مُبْتَهَجًا؛
غَالِبًا مَا سَتَسْمَعُ عَذْرَاءُ
أَنْشُودَتَهُ الرَّقِيقَةَ فِي الْغُصُونِ الْبَعِيدَةِ.

وَحِينَ يُخَيِّمُ اللَّيْلُ سَيَمُرُّ رَجُلٌ مِثْلُهُ، وَاحِدٌ مِنْ رَهْطِنَا،
بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانَ قَدْ غَرِقَ فِيهِ، وَسَيُثِيرُ فِيهِ هَذَا الْمَكَانُ
الْمُنْذِرُ خَوَاطِرَ وَأَشْجَانًا كَثِيرَةً،
ثُمَّ يُوَاصِلُ، فِي صَمْتِ سَيْرِهِ، وَقَدْ صَارَ آمِنًا.

هَلَع

أَوَلَيْسَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَحْيَاءِ مَعْرُوفاً لَدَيْكَ؟
أَوَلَيْسَتْ قَدَمَاكَ تَطَّانِ الْحَقَّ كَمَا تَطَّانِ السَّجَّادَ؟
اِفْتَحِمْ إِذَنْ جَسُوراً، يَا عَزِيزِي الْعَبْقَرِيَّ،
اِفْتَحِمْ تَوَّاً خِصَمَّ الْحَيَاةِ!

وَلْتَتَقَبَّلْ كُلَّ مَا يَحْدُثُ هُنَاكَ، وَعُدَّهُ نِعْمَةً عَلَيْكَ!
تَهَيَّأْ لِأَنْ تُحَسَّ بِالْبَهْجَةِ، أَهْنَاكَ أَيُّ شَيْءٍ
قَدْ يُؤْذِيكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ، أَيُّ شَيْءٍ
قَدْ يُهِينُكَ هُنَاكَ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ تَذْهَبَ؟

فَمُنْذُ أَنْ صَارَ الْآلَهُةُ مِثْلَ الْبَشَرِ، مُنْعَزِلِينَ كَوُحُوشِ الْغَابِ،
وَمُنْذُ أَنْ أَعَادَتِ الْأَغْنِيَةُ وَالتَّرْتِيلُ الْبَاذِخُ، كُلُّ بَأْسُلُوبِهِ،
أَعَادَتِ الْإِلَهِيَّ مُشَخَّصاً إِلَى الْأَرْضِ،
وَنَحْنُ أَيْضاً، نَحْنُ أَلْسِنَةُ النَّاسِ،

نُحِبُّ أَنْ نَعِيشَ فِي صُحْبَتِهِمْ،
حَيْثُ تَتَّحِدُ كُلُّ الْأَنْوَاعِ، سَوَاسِيَةً، وَمُتَفَتِّحَةً
عَلَى الْجَمِيعِ، تَغْمُرُهَا الْبَهْجَةُ -
فَكَذَلِكَ أَبُونَا، رَبُّ السَّمَاءِ،

الَّذِي يَمْنَحُ الْغَنَى وَالْفَقِيرَ يَوْمَ الشُّكْرَانِ،
وَعِنْدَ انْعِطَافِ الزَّمَنِ يَحْمِلُنَا، نَحْنُ النَّائِمِينَ،
بِأَوْتَارِهِ الذَّهَبِيَّةِ كَمَا يُحْمَلُ الرَّضِيعُ
فَنَظْلُ مُسْتَقِيمِينَ.

نَحْنُ أَيْضاً نَخْدُمُ شَخْصاً مَّا، نُفِيدُ بِشَكْلِ مَّا، نُبْعَثُ
حِينَ نَأْتِي، بِبَرَاعَتِنَا، وَنُخْضِرُ مَعَنَا
طَاقَةَ مِنَ الطَّاقَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. لَكِنَّ الْأَيْدِي
الْخَبِيرَةَ الْمَاهِرَةَ أَيْدِينَا نَحْنُ.

النَّهْرُ الْمَغْلُولُ

لَمَّاذَا تَنَامُ وَتَحْلُمُ، مُنْطَوِيًّا عَلَى نَفْسِكَ،
وَتَتَبَاطَأُ عِنْدَ الضَّفَّةِ الْبَارِدَةِ، أَيُّهَا الْفَتَى الصَّابِرُ،
وَلَا تُبَالِي بِأَضْلِكَ،
يَا ابْنَ أَوْفِيَانُوسَ الْعَظِيمِ، صَدِيقَ الْجَبَابِرَةِ التَّيْتَانِ!

تِلْكَ الرُّسُلُ، رُسُلُ الْمَحَبَّةِ الَّتِي يَبْعُثُهَا أَبُوكَ،
أَلَسْتَ تَعْرِفُهَا، تِلْكَ الرِّيَاحُ الَّتِي تَنْفُخُ فِيكَ الْحَيَاةَ؟
أَلَمْ تُنَبِّهْكَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يَبْعُثُهَا
مَنْ الْأَعَالِي ذَلِكَ الرَّبُّ السَّنِيُّ الْمُتَحَفِّزُ؟

لَكِنَّهَا الْآنَ، الْآنَ تَتَصَادَى فِيهِ،
تَنْبَجِسُ لِأَجْلِهِ كَمَا انْبَجَسَتْ حِينَ
كَانَ يَلْعَبُ فِي كَنْفِ الصُّخُورِ،
فَيَتَذَكَّرُ قُوَّتَهُ، يَتَذَكَّرُ غُنْفَوَانِ فُتُوَّتِهِ الْآنَ، وَيَنْدَفِعُ،

يَنْدَفِعُ الْمُتَلَكِّيُّ، وَيَضْحَكُ مِنْ أَغْلَالِهِ الْآنَ،
وَيَنْقَضُ عَلَى الْأَغْلَالِ يُكْسِرُهَا وَيَقْذِفُهَا،
غَاضِبًا، وَهُوَ يَلْعَبُ هُنَا وَهُنَاكَ
عَلَى ضِفَافٍ تُرْجِعُ الصَّدى، وَلدى سَمَاعِ صَوْتِ

سَلِيلِ الْآلِهَةِ تَسْتَيْقِظُ كُلُّ الْجِبَالِ مِنْ حَوْلِهِ،
وَتَتَحَرَّكُ الْغَابَاتُ، بُوْسَعِ الْوَهَادِ أَنْ تَسْمَعَ
الْمُنَادِي الْبَعِيدَ، وَهَاهِي الْبَهْجَةُ تَهْتَاجُ
إِذْ تُشِيرُهَا رَعْشَةُ فِي حُضْنِ الْأَرْضِ.

يُقْبِلُ الرَّبِيعُ، تَتَأَلَّقُ خُضْرَةٌ جَدِيدَةٌ، فَجَرُّ مِنَ الْأَوْرَاقِ؛
لَكِنَّهُ يَرَحُلُ بَعِيدًا، إِلَى قَرِيْبِهِ الْخَالِدُ؛
فَلَيْسَ بُوْسَعِهِ أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي أَيِّ مَكَانٍ
إِلَّا حَيْثُ يَسْتَقْبِلُهُ حُضْنُ أَبِيهِ.

جنيميد

لماذا تنأم، يا ابنَ الجبال، لماذا ترقدُ هنا مُلتويًا، مُكدَّرَ المزاج،
وتتجمدُ على ضفاف عاريّة، عاريّة، أيها الصّابر؟
أو لستَ تذكُرُ اللّطفَ يتنزّلُ
حينَ كانتِ الموائدُ الإلهيّةُ ظامئةً؟

أما تعرّفتَ هناك في الغورِ على رُسلِ أبيك،
أو على الأنسامِ تُمنعُن في عبثها هناك بين الشُّقوق؟
أو لم تُنبّهك الكلمةُ التي يبعثها إليك
الآنَ مُسافرٌ مليئةٌ بالروحِ العتيق،

لكنّ الكلمةَ تتردّدُ الآنَ عميقةً في قلبه،
تنبّجسُ في باطنه كما انبجست من قُبُل،
حينَ غفا هناك في الأعالي بين الصُّخور،
ها هو المغلولُ الغاضبُ يطهرُ نفسه ويندفعُ،

هَآ هَوَ الْأَخْرَقُ يَنْدْفَعُ الْآنَ، يَضَحْكُ مَنْ الْأَغْلَالُ،
يَتَنَاوَلُهَا وَيُكَسِّرُهَا وَيَقْدِفُهَا أَرْضًا،
يُعْرِبِدُ غَاضِبًا، وَيَلْهُو هُنَا وَهُنَاكَ
عَلَى ضِفَافٍ تَرْقُبُهُ، وَإِذْ يُسْمَعُ الصَّوْتُ الْفَرِيدُ

صَوْتُ الْغَرِيبِ، تَهْبُّ قُطْعَانٌ كَانَتْ تَسْتَرِيخُ،
تَسْتَيْقِظُ الْغَابَاتُ، وَبَعِيدًا تَسْمَعُ كُلُّ الْأَرْجَاءِ
إِلَهَ النَّهْرِ، وَتَرْتَعِشُ الرُّوحُ
إِذْ تُهَيِّجُ الْآنَ عِنْدَ سُرَّةِ الْأَرْضِ.

يُقْبَلُ الرَّبِيعُ. وَكُلُّ الْأَشْيَاءِ فِي طَرِيقِهِ تُزْهَرُ.
لَكِنَّهُ الْآنَ بَعِيدٌ، لَمْ يَعُدْ مَوْجُودًا هُنَا.
لَقَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ؛ فَالْجَنُّ مُفْرَطُونَ فِي الطَّيْبِيَّةِ،
وَلَهُ الْآنَ أَنْ يُنَاجِيَ الْآلِهَةَ.

الأرخيل

هَلْ تَعُودُ الْغَرَانِيقُ إِلَيْكَ، وَهَلِ الْمَرَائِبُ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ
إِلَى سَوَاحِلِكَ؟ هَلِ النَّسَمَاتُ الَّتِي طَالَ تَوَقُّكَ إِلَيْهَا تَسْرِي الْآنَ
حَوْلَ أَمْوَهِكَ الْهَادِثَةِ؟ وَهَلْ يُدْفِئُ الدَّلْفِينُ، إِذْ يُسْتَدْرَجُ
مِنْ تَحْتِ الْيَمِّ، هَلْ يُدْفِئُ ظَهْرَهُ فِي الشُّعَاعِ الْوَلِيدِ؟
هَلْ أَيُونِيَا مُزْهِرَةٌ؟ أَهَذَا مَوْسَمُ الْإِزْهَارِ؟ أَنَا دَائِمًا أَزُورُكَ فِي الرَّبِيعِ
حِينَ تُجَدِّدُ قُلُوبَ الْأَحْيَاءِ ذَاتَهَا، وَيَعُودُ الْعَصْرُ الذَّهَبِيُّ إِلَى الذِّكْرِ،
وَيَعُودُ إِلَى وَعْيِ الْإِنْسَانِ حُبَّهُ الْأَوَّلُ. فِي الرَّبِيعِ أَزُورُكَ دَائِمًا،
يَا إِلَهَ الْبَحْرِ، وَأَحْيَيْكَ، أَحْيَيْكَ فِي هُدُوثِكَ، أَيُّهَا الْإِلَهُ الْعَتِيقُ.

لَا تَزَالُ كَعَهْدِكَ حَيًّا، أَيُّهَا الْعَظِيمُ الْخَالِدُ،
تَسْتَرِيحُ فِي ظِلِّ جِبَالِكَ؛ كَعَهْدِكَ حِينَ كَانَتْ
ذِرَاعَاكَ الْفَتَيَّتَانِ تُعَانِقَانِ أَرْضَكَ الْجَمِيلَةَ.
وَمِنْ بَنَاتِكَ، أَيُّهَا الْأَبُ، مِنْ جَزَائِرِكَ الْمُزْهِرَةِ، لَمْ تُسَلِّبْ جَزِيرَةً.
هَاهِي كُرَيْتُ كَعَهْدِهَا ثَابِتَةٌ، وَهَا سَلَامِيْسُ تَخْضَرُ مُطَوَّقَةً
بِدُكْنَةِ الْغَارِ، وَهَا دِيلُوسُ تُطَوِّقُهَا، فِي سَاعَةِ الشُّرُوقِ، أَشِعَّةُ مُزْهِرَةٍ؛

ها هي الآن ترفع رأسها النشوان. وتؤوس وكيوس لا تزالان
تطرحان بسخاء ثمارهما الأرجوانية، وها هي الخمر القبرصية
تتدفق من جوانب التلال الثملة، بينما تندفع من كالورنيا،
كما كانت من قبل، غدران فضية لتصب في رحاب الأب العتيقة.
كل واحدة منها، كل واحدة من تلك الجزائر، أمهات الأبطال،
تحيا مزهرة عاماً بعد عام، وإن يطلق الرعد الخفي أحياناً
من لججه الأولى، إن يسلط لهب الليل على تلك
الجزائر الحبيبة، ينتزع واحدة منها، فتغرق محتضرة في حجرك.
لكنك تحملت فخلدت، أيها الإلهي، فقد رأيت أشياء كثيرة
تصعد، ورأيت أشياء كثيرة تهبط، فوق أعماقك الكئيبة.

السمايون أيضاً، قوى الأعالي، القوى الصامتة،
أولئك الذين يحضرون النهار المشرق من بعيد،
ويسلطون النعاس العذب والهواجس على رؤوس
الأشخاص المرهفين، لأن سلطانهم لا يحد، أولئك أيضاً،
أقرانك في اللعب، لا يزالون، كما كانوا من قبل،
يقيمون معك. وعند حلول الليل الوامض، حيث يُقبل
نور القمر المقدس من جبال آسيا، وتتلاقى النجوم

فِي أُمُوجِكَ، غَالِباً مَا تُشْرِقُ أَنْتَ بِإِشْعَاعِ إِلَهِي،
 وَكَمَا يَتَغَيَّرُ أَوْلُتَكَ السَّمَاوِيُّونَ تَتَغَيَّرُ مِيَاهُكَ،
 وَيَجِدُ لَحْنُ إِخْوَتِكَ السَّمَاوِيِّينَ، وَغِنَاؤُهُمُ اللَّيْلِي،
 صَدَاةٌ فِي قَلْبِكَ. وَبَعْدَئِذٍ، حِينَ تُقْبَلُ تِلْكَ الَّتِي تُضْفِي
 عَلَى الْكَائِنَاتِ هَالَاتِ الْجَلَالِ، حِينَ تُقْبَلُ
 طِفْلَةُ الْمَشْرِقِ، شَمْسُ النَّهَارِ، صَانِعَةُ الْمُعْجَزَاتِ،
 حِينَ يَدْخُلُ كُلُّ الْأَحْيَاءِ مَرَّةً أُخْرَى فِي حُلْمٍ ذَهَبِي تَمْنَحُهُمْ إِيَّاهُ
 الشَّمْسُ الشَّاعِرَةُ كُلَّ صَبَاحٍ، أَنْتِذِ، تُرْسِلُ إِلَيْكَ، يَا إِلَهَ الْحِدَادِ،
 فَتَنَةً أَشَدَّ إِسْعَاداً، أَمَّا نُورُهَا اللَّطِيفُ فَلَا يُضَاهِي
 جَمَالَ عُرْبُونِ حُبِّهَا، وَعُرْبُونُ حُبِّهَا إِكْلِيلٌ تَجْدُلُهُ
 حَوْلَ ذَوَابَتِكَ الشَّائِبَةِ، وَهِيَ بِكَ أَبَدًا مُعْتَنِيَةٌ.
 أَوَلَا يُعَانِقُكَ الْأَثِيرُ؟ أَوَلَا تَعُودُ الْغِنِمَاتُ، وَهِيَ رُسُلُكَ،
 مِنَ الْأَعَالِي بِالْهَبَةِ الْإِلَهِيَّةِ، صَعْقَةِ الرَّعْدِ؟ ثُمَّ تُرْسِلُهَا أَنْتَ
 إِلَى الْأَرْجَاءِ لِكَيْ تَهْدَرَ وَتَنْدَفِعَ جَيَاشَةٌ مِثْلَكَ تِلْكَ الْغَابَاتُ
 الَّتِي أَسْكَرْتَهَا الْعَوَاصِفُ عَلَى الشَّوَاطِئِ الْحَارَّةِ الرَّطْبِيَّةِ،
 وَلِكَيْ يَعُودَ الْمِيَانْدُرُ فَوْرًا، مِثْلَ ابْنِ ضَالٍ إِذْ يُنَادِيهِ أَبُوهُ،
 يَعُودُ مُسْتَعْجِلاً مِنْ تَيْهِهِ وَمَعَهُ آلَفُ السُّيُولِ،
 وَمِنْ سُهُولِ كَايْسْتَرٍ، يَجْرِي مُتَهَلِّلاً لِإِلَاقِكَ، وَهَا هُوَ

الْوَلِيدُ الْأَوَّلُ، ذَلِكَ الْعَرِيقُ، ذَلِكَ الَّذِي أَخْفَى نَفْسَهُ طَوِيلًا،
نَيْلُكَ الْعَظِيمِ، هَا هُوَ يُقْبَلُ مِنْ أَعَالِي الْجِبَالِ الْبَعِيدَةِ ظَافِرًا،
مُحْدَثًا أَصْوَاتًا كَصَلِيلِ السَّلَاحِ، يَمُدُّ إِلَيْكَ ذِرَاعِيهِ مُرَحَّبًا.

لَكِنَّكَ تَحَسَّبُ نَفْسَكَ وَحِيدًا مَهْجُورًا؛ وَفِي سُكُونِ اللَّيْلِ يَسْمَعُ
الصَّخْرُ مَنَاحَتَكَ، وَغَالِبًا مَا تَفِرُّ مَوْجُتُكَ الْمَجْنَحَةُ مِنَ الْأَنَامِ غَضَبِي
وَتَصْعَدُ نَحْوَ السَّمَاءِ. فَأَحْبَبَاؤُكَ النَّبَلَاءُ لَمْ يَعُودُوا يُقِيمُونَ مَعَكَ،
أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يُجْلُونَكَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّجُوا بِالْمَعَابِدِ
وَبِالْمُدُنِ الْبَدِيعَةِ سِوَا حَلِّكَ، لَكِنَّهُمْ يَسْعُونَ أَبَدًا دُونَ أَنْ يُصِيبُوا،
وَكَمَا يَتَوَقَّ الْأَبْطَالُ إِلَى الْأَكَالِيلِ، تَرَى الْعُنَاصِرَ الْجَوْفَاءَ
أَبَدًا تَتَوَقَّ إِلَى أَنْ تُحَسَّ الْقُلُوبُ الْمُرْهَفَةُ بِمَجْدِهَا وَتُخْلَدُهُ.

وَالآنَ أَخْبِرْ نِي أَيْنَ أَثِينَا؟ هَلْ تَفْتَتُّ مَدِينَتَكَ كُلَّهَا،
هَلْ تَفْتَتُّ فِي مِزْهَرِيَاتِ الْفَنَّانِينَ الْعِظَامِ أَحَبُّ الْمَدَائِنِ إِلَيْكَ،
فَعَدْتُ عَلَى شَوَاطِئِكَ غُبَارًا، يَا إِلَهَ الْحَدَادِ؟ أَوْ أَنَّ ثَمَّةَ أَثَرٍ مِنْهَا
لَا يَزَالُ هُنَاكَ، أَثَرًا لَا يَزَالُ يُمَكِّنُ بَحَارًا عَابِرًا مِنْ أَنْ يَذْكَرَ اسْمُهَا،
مِنْ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى الْمَوْقِعِ وَيَتَذَكَّرَهَا؟ أَوَلَمْ تَنْتَصِبِ الْأَعْمَدَةُ هَا هُنَا؟
أَوَلَمْ تُشْرِقْ تَمَاثِيلُ الْآلِهَةِ عَلَى النَّاسِ مِنْ سَقْفِ الْقَلْعَةِ هُنَاكَ؟

أَوَلَمْ يَصْدَعْ مِنْ حَلْبَةِ الصَّرَاعِ صَوْتُ الْقَوْمِ الْمُتَّقِدِينَ
مِثْلَ غَابَاتٍ تَجَلِّدُهَا الْعَوَاصِفُ، أَوَلَمْ تَنْدَفِعِ الشَّوَارِعُ
مِنَ الْأَبْوَابِ الْمُبْتَهِجَةِ نَحْوَ مَرْفِئِكَ الْمَزْدَهَرِ لِتُتْلَقِكَ؟
انْظُرْ! هَا هُوَ التَّاجِرُ الْمَاكِرُ يَفُكُ مِرْسَاةَ سَفِينَتِهِ هُنَاكَ،
إِنَّهُ سَعِيدٌ لِأَنَّ السَّمَاتِ اللَّوَاتِي يَهْبِنُ الْجَنَاحَ
يَهْبِنُنَ لِأَجْلِهِ أَيْضًا، الْآلِهَةُ تُحِبُّهُ كَمَا أَحَبَّتِ الشَّاعِرُ،
لَأَنَّهُ وَزَعَ بِالْقِسْطِ هِبَاتِ الْأَرْضِ الطَّيْبَةِ
وَوَصَلَ الْقَرِيبَ بِالْبَعِيدِ. بَعِيدًا، بَعِيدًا يُبْحِرُ
نَحْوَ قُبْرَصَ، بَعِيدًا يُبْحِرُ نَحْوَ صُورَ، وَيُجْهِدُ نَفْسَهُ
لِيَبْلُغَ كُولَكَيْسَ، ثُمَّ يَمْضِي نَحْوَ مِضْرَ الْعَتِيقَةِ، لِكَيْ يَجْلِبَ
إِلَى مَدِينَتِهِ الْخَمَرَ وَالطَّلَاءَ الْأَرْجَوَانِيَّ وَالْقَمْحَ وَالْأَصُوفَ؛
وِغَالِبًا مَا يَتَجَاوَزُ أَعْمَدَةَ هَرَقْلَ الْجَسُورَ، تَحْمِلُهُ أَمَالُهُ
وَأَجْنَحُهُ سَفِينِهِ إِلَى جُزُرٍ مُبَارَكَةٍ جَدِيدَةٍ،
بَيْنَمَا يَتَسَكَّعُ هُنَا فَتَى مُتَوَحِّدٍ، تُحَرِّكُهُ دَوَافِعُ مُخْتَلِفَةٍ،
يَتَسَكَّعُ عَلَى شَوَاطِئِ الْمَدِينَةِ، مُسْتَمِعًا إِلَى الْأَمْوَاجِ،
مُتَأَمِّلًا إِحْسَاسًا بَاطِنِيًّا بِالْعِظْمَةِ، وَهُوَ جَالِسٌ
يُضْغِي عِنْدَ أَقْدَامِ السَّيِّدِ الْمُزْلَزِلِ الْأَرْضَ؛
وَلَمْ تَكُنْ سُدًى تِلْكَ التَّعَالِيمُ الَّتِي تَلْقَاهَا مِنْ إِلَهِ الْبَحْرِ.

وَهَـا هُوَ عَدُوُّ النُّبُوغِ، الْحَاكِمُ الْفَارِسِيُّ الَّذِي بَسَطَ عَلَى الْأَصْقَاعِ حُكْمَهُ،
 وَالَّذِي قَضَىٰ أَعْوَامًا كَثِيرَةً يُخَصِّي أَسْلِحَتَهُ الْوَفِيرَةَ وَيُخَصِّي تَعْدَادَ جُنْدِهِ،
 سَاخِرًا مِنْ بِلَادِ الْإِغْرِيقِ وَجُزُرِهَا الصَّغِيرَةِ الْقَلِيلَةِ، الَّتِي بَدَتْ لَهُ تَافَهُةٌ.
 لَكِنَّهُ رَأَى، كَمَا يَرَى الْحَالِمُ، شَغَبَ هَذِهِ الْبِلَادِ تُلْهَمُهُ رُوحُ الْآلِهَةِ.
 وَفَوْرًا أَصْدَرَ أَمْرَهُ بِاسْتِهَانَةٍ، فَبَدَأَ كَأَنَّ سَيْلَ الْحَمَمِ الْجَبَلِيِّ
 الْمُتَدَفِّقِ مُرَوَّعًا مِنْ إِتْنَا يَفْوَرُ إِذْ يَغْمُرُ كُلَّ الْأَنْحَاءِ
 فَيَذْفُنْ بِطُوفَانِهِ الْقُرْمُزِيَّ الْمَدَنَ وَالْحَدَائِقَ الْمَزْهَرَةَ،
 وَيَمْضِي فِي طَرِيقِهِ مُخْرَقًا إِلَى أَنْ يَنْطَفِئَ فِي الْبَحْرِ الْمُقَدَّسِ؛
 هَكَذَا بَدَأَ ذَلِكَ الْمَلِكُ، مُنْذُ أَنْ انْطَلَقَ مِنْ هَمْدَانَ
 قَائِدًا حَشْدَهُ الْعَظِيمَ، يُخَرَّبُ وَيُشْعَلُ الْحَرَائِقَ وَيَطْمَسُ الْمَدَنَ؛
 فَسَقَطَتْ، يَا لِلْوَيْلِ، أَثِينَا الْعَظِيمَةُ. حَقًّا، هَـا هُمْ الرِّجَالُ الْمُسْتَوْنَ
 الَّذِينَ لَاذُوا بِالْفَرَارِ يَنْظُرُونَ، مِنَ الْجِبَالِ حَيْثُ تَسْمَعُ الْوَحُوشُ
 الضَّارِيَةَ صِيَاحَهُمْ، لِيَرَوْا بُيُوتَهُمْ، وَيَرَوْا مَعَابِدَ يَتَصَاعَدُ مِنْهَا
 الدُّخَانُ، فَيَحَاوِلُونَ جَاهِدِينَ أَنْ يَعُودُوا هُنَاكَ.
 لَكِنَّ صَلَوَاتِ أَبْنَائِهِمْ مَا عَادَتْ تُوقِظُ الْأَطْلَالَ الْمُقَدَّسَةَ؛
 فَقَدْ حَلَّ الْمَوْتُ بِالْوَادِي، وَهَـا هِيَ غِيْمَةُ الْحَرِيقِ الْهَائِلِ
 تَشْرُدُ فِي السَّمَاءِ. وَهَـا هُوَ الْفَارِسِيُّ، تُلْهَمُهُ جَرِيمَتُهُ، يَتَقَدَّمُ
 وَمَعَهُ غَنَائِمُهُ، لِيَخْصُدَ الْمَزِيدَ مِنَ الْغَنَائِمِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ.

لَكُنْ عَلَى شَوَاطِئِ سَلَامِيسَ، يَا لَيَوْمَ عَلَى شَوَاطِئِ سَلَامِيسَ!
تَقِفُ نِسَاءُ أَثِينَا بَانْتَظَارِ النَّهْيَاةِ. تَقِفُ الْعَذَارَى،
وَتَقِفُ الْأُمّهَاتُ يُهْذِهِنَّ صَغَارًا أَنْقَذْنَهُمْ مِنَ الْمَجْزَرَةِ؛
لَكِنَّ صَوْتَ إِلَهِ الْبَحْرِ يَصْعَدُ مِنَ الْأَعْمَاقِ لِيَبْلُغَ
هَؤُلَاءِ الْمُصْغِيَاتِ، وَيُبَشِّرَ بِالْخَلَاصِ، وَيَتَفَرَّجَ أَرْبَابُ
السَّمَاءِ مِنْ عَلَيَائِهِمْ يَتَأَمَّلُونَ وَيُصْدِرُونَ الْأَحْكَامَ،
فَهَنَّاكَ عَلَى الشَّوَاطِئِ، بِدَأْتِ الْمَعْرَكَةَ، مُنْذَ الْفَجْرِ، تَنْقَلِبُ،
فَبَدَتْ مِثْلَ عَاصِفَةٍ رَغْدِيَّةٍ كَانَتْ تَتَجَمَّعُ هُنَاكَ بِيْطَاءَ فَوْقَ
الْأَمْوَاهِ الْمَزْبُودَةِ، لَتَتَقَدَّ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ فَوْقَ رُؤُوسِ مُقَاتِلِينَ
مَنْعَتَهُمْ شَرَّاسَتُهُمْ مَنْ أَنْ يَنْتَبَهُوا إِلَيْهَا. لَكِنَّ رِجَالَ الْقَوْمِ،
أَحْفَادَ الْأَبْطَالِ، يُكَافِحُونَ الْآنَ بَعِيُونَ أَضْفَى؛
إِنَّهُمْ أَحِبَّاءُ الْآلِهَةِ، وَهَاهُمْ يَتَذَكَّرُونَ نَضْرًا كَانَ قَدْ قُدِّرَ لَهُمْ،
وَلَمْ يَعُدْ أَبْنَاءُ الْإِلَهِ أَثِينَا يُرَوِّضُونَ نُبُوغَهُمْ الَّذِي يَحْتَقِرُ الْمَوْتَ.
فَكَمَا يَنْهَضُ وَحْشُ الْفَلَاةِ الضَّارِي، مُسْتَقْفِيًا بِدَمِهِ الدَّافِقُ،
وَيَتَّخِذُ مَرَّةً أُخْرَى هَيْئَةً حَوْلَهَا هَالَةٌ مِنَ الْجَلَالِ، وَيَصِيرُ بِقُوَّتِهِ
أَقْرَبَ إِلَى نَفْسِهِ النَّبِيلَةِ، فَيَفْزِعُ الصَّيَّادُ، كَذَلِكَ يَسْتَعِيدُ الْمُقَاتِلُونَ
الشَّرْسُونَ، عِنْدَ وَمِيزِ الْأَسْلِحَةِ وَسَطِ الْهَلَاكِ، يَسْتَعِيدُونَ،
عِنْدَ تَلْقَئِ أَوَامِرِ قَادَتِهِمْ، رُوحَهُمُ الَّتِي أَنْهَكَهَا مَا بَدَّلُوهُ مِنْ

جُهِدَ رَهيب. وتَحْتَدُمُ المعركة؛ تَتَشَابِكُ السُّفُنُ، مثلُ المُصَارَعَيْنِ،
تَمْتَطِي الدَّفَّةُ صَهْوَةً المَوْجِ، وَيَتَحَطَّمُ تَحْتَ أَقْدَامِ المِقَاتِلِينَ
ظَهَرُ المَرْكَبِ، فَتَغْرَقُ السَّفِينَةُ وَيَهْوِي المَلَّاحُ إِلَى القَرَارِ.

لَكِنَّ المَلِكَ يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ، وَقَدْ هَذَهْدُهُ غِنَاءُ ذَلِكَ اليَوْمِ
فَعَاصَ فِي حُلْمٍ مُشَوَّشٍ؛ كَانَ يَبْتَسِمُ وَاهِمًا لِمَالِ المعركة،
يَتَوَعَّدُ، وَيَتَوَسَّلُ، وَيَتَهَلَّلُ، وَيَبْعَثُ رُسُلَهُ بِسُرْعَةِ البَرْقِ.
لَكِنْ عَبَثًا، فَلَا رَسُولَ مِنْهُمْ عَادَ إِلَيْهِ.

رُسُلٌ نَازِفَةٌ، وَجُنُودٌ مَذْبُوحَةٌ، وَشَطَايَا لَا تُحْصَى
لِسَفَائِنَ مُنْشَطِرَةٍ يَلْفُظُهَا المَوْجُ المُرْعَدُ المُنْتَقِمُ
أَمَامَ عَرْشِهِ، حَيْثُ يَجْلِسُ الشَّقِيُّ مُرْتَعِدًا
عَلَى الشَّاطِئِ؛ وَهَذَا هُوَ يَرَى رِجَالَهُ يَلُودُونَ بِالفِرَارِ،
وَيَرَى أُسْطُولَهُ الشَّارِدَ فِي عَرْضِ البَحْرِ
يَجْرُفُهُ الإِلَهُ الذِي حَطَّمَ بَازِدِرَاءَ بَهْرَجِهِ العَقِيمِ،
وَنَفَذَ إِلَى الضَّعِيفِ خَلْفَ الدَّرْعِ المُخِيفِ.

لَكِنَّ شَعْبَ أَثِينَا يَعُودُ شَغُوفًا إِلَى النَّهْرِ المُتَبَاطِئِ المَتَوَحِّدِ،
وَمِنَ الجِبَالِ انْدَفَعَ الحَشْدُ فَرَحًا نَحْوَ الوَادِي المَهْجُورِ؛

أَسْفَاهُ، فَمَثَلَ أُمَّ عَجُوزٍ يَعُودُ إِلَى صَدْرِهَا ابْنُهَا الْمَفْقُودُ
بَعْدَ سِنَوَاتٍ طَوَالَ يَثُتْ خِلَالَهَا مِنْ عَوْدَتِهِ،
يَعُودُ شَابًّا نَاضِجًا، لَكِنَّ رُوحَهَا كَانَتْ قَدْ ذُبِلَتْ حُزْنًا عَلَيْهِ،
فَجَاءَهَا الْفَرْحُ مُتَأَخِّرًا بَعْدَ أَنْ أَنْهَكَتْهَا الْآمَالُ،
وَأَجْهَدَتْ نَفْسَهَا لِتَسْتَوْعِبَ مَا يَتَلَفَّظُ بِهِ ابْنُهَا الْحَبِيبُ
مِنْ عِرْفَانٍ وَامْتِنَانٍ، كَذَلِكَ بَدَتْ تُرْبَةُ الْوَطَنِ
لِأُولَئِكَ الْعَائِدِينَ. عِبْنَا يَلْتَمِسُ الْوَرِعُونَ بَسَاتِينَهُمْ،
فَالْبَوَابُ الطَّيِّبَةُ لَا تَسْتَقْبِلُ الْمُتَصَرِّينَ،
كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْتَقْبِلَ الْمَسَافِرَ حِينَ يَعُودُ مَسْرُورًا
مِنَ الْجُزُرِ فَيَلْوُحُ لَهُ الْحِصْنُ الْمُبَارَكُ، حِصْنُ الْأُمِّ أَثِينَا،
مُشْرِقًا فِي الْأَعَالِي فَوْقَ هَامَتِهِ الْمَشُوقَةِ.
عَلَى أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الشَّوَارِعِ الْمُهْجُورَةِ وَالْحَدَائِقِ الْمَحْزُونَةِ
مَعْرُوفَةٌ تَمَامًا لَدَى الْعَائِدِينَ، وَعَلَى الْحَلَبَةِ،
تَهَاوَتِ الْآنَ أَعْمَدَةُ الرُّوَاقِ وَسَقَطَتْ تَمَائِيلُ
الْآلِهَةِ، فَأَثَرَتْ فِي أَرْوَاحِهِمْ،
وَإِذْ يَبْتَهِجُونَ بِإِيْمَانِهِمْ، تَتَشَابَكُ أَيْدِيهِمْ
تَعْبِيرًا عَنْ انْتِمَائِهِمْ لِلْجَمَاعَةِ.
يَبْحَثُ رَجُلٌ عَنْ مَوْقِعِ مَنْزِلِهِ

فَيَعِثُّرُ عَلَيْهِ فَوْرًا تَحْتَ الْأُنْقَاضِ؛
وَإِذْ تَذَكَّرُ زَوْجَتَهُ الْمَكَانَ الْمَأْلُوفَ الَّذِي كَانَا يَنَامَانِ فِيهِ،
تَبْكِي وَتُعَانِقُهُ، وَيَتَسَاءَلُ أَطْفَالُهُ عَنْ مَائِدَةٍ
كَانُوا يَتَحَلَّقُونَ حَوْلَهَا وَالْأَسْلَافُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ،
وَالْهَيْئَةُ الْأُسْرَةُ تَبْتَسِمُ لَهُمْ.
لَكِنَّ الْقَوْمَ أَقَامُوا الْخِيَامَ، فَالْتَأَمَ شَمْلُ الْجِيرَانِ؛
وَوَفَّقًا لِعَادَاتِ الْقَلْبِ، أَنْشِثَ الْمَسَاكِينَ مَرَّةً أُخْرَى
عَلَى التَّلَالِ. وَهَاهُمْ الْآنَ يَخْيَوْنَ، كَمَا كَانُوا مِنْ قَبْلُ،
حَيَاةَ حُرَّةٍ كَرِيمَةٍ، وَاثْقِينَ مِنْ قَوَّتِهِمْ وَمِنْ مُسْتَقْبَلِهِمْ،
يَخْيَوْنَ مِثْلَ الطَّيُورِ الشَّادِيَةِ الْمَهَاجِرَةِ مِنْ جَبَلٍ إِلَى جَبَلٍ،
يَخْيَوْنَ مِثْلَ أَمْرَاءِ الْغَابَةِ وَالنَّهْرِ الْمُتَعَرِّجِ مِنْ بَعِيدٍ.
لَكِنَّ الْأَرْضَ الْمَخْلُصَةَ الرَّؤُومَ لَا تَزَالُ تُعَانِقُ
شَعْبَهَا النَّبِيلَ، وَتَحْتَ السَّمَاءِ الْمُقَدَّسَةِ،
يَسْتَرِيحُونَ الْآنَ، كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ قَبْلُ،
حِينَ كَانَتْ تَنْفُحُهُمُ النَّسَمَاتُ اللَّطِيفَةُ وَهُمْ نِيَامُ،
وَمِنْ أَشْجَارِ السَّهْلِ يَتَنَاهَى إِلَيْهِمْ هَمْسُ الْيَسُوسِ،
وَإِذْ يُبَشِّرُهُمْ بِأَيَّامٍ جَدِيدَةٍ، وَيَحْضُرُهُمْ عَلَى أَفْعَالٍ جَدِيدَةٍ،
يَهْدُرُ مِنْ بَعِيدٍ فِي اللَّيْلِ مَوْجُ إِلَهِ الْبَحْرِ

وَيُرْسَلُ إِلَى أَحِبَّائِهِ أَحْلَاماً سَعِيدَةً.
هَآ هِيَ الْمَحَاصِيلُ الذَّهَبِيَّةُ فِي أَوَانِهَا تَنْمُو وَتُزْهِرُ،
وَهَآ هِيَ أَشْجَارُ الزَّيْتُونِ الَّتِي رَعَتْهَا الْأَيْدِي الْوَرِعَةُ تَخْضِرُ،
وَهَآ هِيَ الْخُيُولُ الْأَثِينِيَّةُ ، كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ،
تَرَعَى أَمَنَةً فِي سُهُولٍ كُؤُلُونُوسَ.

لَكِنْ، إِكْرَاماً لِلْأَمِّ الْأَرْضِ وَلِلَّهِ الْبَحْرِ، تَنْبَعُثُ الْمَدِينَةُ وَتُزْهِرُ،
تَنْشَأُ صَرَخاً مَجِيداً رَاسِخَ الْبُنْيَانِ مِثْلَ النُّجُومِ، إِنَّهَا ثَمَرَةُ نُبُوغِهِمَا،
فَهُوَ الْفَاعِلُ أَبَداً يُحِبُّ أَنْ يَصُوغَ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ أَغْلَالَ الْمَحَبَّةِ،
لِكَيْ يُقِيمَ، بَعْدَ رَحِيلِهِ، فِي هَذِهِ الْأَشْكَالِ الَّتِي أَنْشَأَهَا لِنَفْسِهِ،
وَيَتَوَاصَلَ بِقَاوُؤُهُ. انْظُرْ! هَآ هِيَ الْغَابَةُ تَخْدُمُ هَذَا الْخَالِقَ، وَيَتَقَرَّبُ
إِلَيْهِ بِالتَّبَرُّ وَالرَّخَامِ يُؤْنَتِيلُوسَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْجِبَالِ الْقَرِيبَةِ،
لَكِنْ، لِأَنَّهُ حَيٌّ وَمُشْرِقٌ وَمَسْرُورٌ، تَتَدَفَّقُ الْأَشْكَالُ مِنْ يَدَيْهِ
فَيُنْجِزُ بَيْسَرُ، كَمَا الشَّمْسُ، أَعْمَالَهُ. تَنْبَجِسُ الْيَنَابِيعُ
فَتَنْقُلُهَا الْقَنَوَاتُ الصَّافِيَةُ عَبْرَ التَّلَالِ، وَيَنْدَفِعُ الْجَذُولُ
مُسْرِعاً نَحْوَ الْحَوْضِ الْمُتَلَالِي، وَحَوْلَهُمَا تَتَعَنَّقُ الْبُيُوتُ،
مِثْلَ الْأَبْطَالِ الْمَرَحِينَ حَوْلَ قَدَحِ الْقُرْبَانِ،
وَتُومَضُ صَفَاً صَفَاً. الرِّوَاقُ الْهَرِيتَانِيُّ يَتَعَالَى،

الملاعبُ مفتوحةٌ، المعابدُ أنشئتُ لأجلِ الآلهة،
 ومن البُستانِ المقدسِ تصعدُ نحوَ الفضاءِ خاطرةٌ،
 خاطرةٌ مقدسةٌ وجريئةٌ في نفسِ الآن،
 قريبةٌ منِ خواطرِ الفنانين، لكنَّها منِ خواطرِ
 فيزوس الأولمبيِّ، وتعلو أزوقةً سماويةً أخرى لأجلِك،
 أيتها الأمُّ أثينا، ولأجلِك أيضاً، نهضَ من البلوى
 بفخرٍ تلكَ العَظيمُ، وظلَّ لوقتٍ طويلٍ مُزهِراً
 لأجلِك ولأجلِ إلهِ الموج، وتجمَّعَ أحبابُك فرحين،
 وغالباً ما كانوا يترنُّمون، على الجبالِ الدُّنيا، بالشُّكرِ لك.

آه، يا لأطفالِ البَهجة، أولئك الإلهيَّين!
 هل يشرُدون الآنَ بعيداً، بعيداً، وآباؤهم في البيوت،
 غافلينَ عن الأيامِ المَشْؤومةِ على الضَّفةِ الأخرى ليلي؟
 ألنَّ يُعيدَهم التَّوقُ إليَّ؟ ألنَّ تَراهُمُ أبداً عِناي؟
 أسفاه، ألنَّ يَراهُمُ الباحثُ أبداً على آلافِ الدُّروب،
 دُروبِ الأرضِ الخضراءِ، أيتها الكائناتُ الشبيهةُ بالآلهة؟
 أَلِهَذَا كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ لُغَتَكُمْ؟ أَكَانَ هَذَا مُصْدِرَ الأسطورةِ
 التي تُروى عنكم؟ أَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَهْرَبَ مِنِّي أبداً،

قَبْلَ الْآوَانِ، رُوحِي الْمَخْزُونَةُ لِتَلْتَحَقَ بِأَشْبَاحِكُمْ؟
 لَكِنْ، قَرِيباً مِنْكُمْ، حَيْثُ لَا تَزَالُ تُزْهَرُ بِسَاتِيْنُكُمْ،
 حَيْثُ لَا يَزَالُ الْجَبَلُ الْمُقَدَّسُ يَخْجُبُ رَأْسَهُ الْجَمِيلَ
 بِمَا فَوْقَهُ مِنْ غُيُومٍ، سَأَمْضِي أَنَا إِلَى پَارَنَسُوسِ،
 وَحِينَ يَلُوحُ لِي نَبْعٌ كَاسْتِيلِيَا لَامِعاً وَسَطَ أَشْجَارِ السَّنْدِيَانِ،
 وَمِنْ الْقَدَحِ الْمُطَوَّقِ بِعَطْرِ الْأَزَاهِيرِ فَوْقَ خُضْرَةٍ تَنْبُثُ مِنْهَا
 الْبَرَاعِمُ، سَأَسْكُبُ الْمَاءَ مَمْزُوجاً بِالْذَّمُوعِ، كَيْ أَقْدِمَ إِلَيْكُمْ
 جَمِيعاً، شَرَاباً جَنَائِزِيّاً، أَيُّهَا الرَّاقِدُونَ. هُنَاكَ، فِي الْوَادِي
 الصَّامِتِ، قُرْبَ صُخُورِ تَمْپِي الشَّاهِقَةِ؛
 سَأُظِلُّ مَعَكُمْ مُقِيماً، وَسَأُسْتَحْضِرُكُمْ فِي اللَّيْلِ كَثِيراً،
 أَيُّهَا الْأَسْمَاءُ الْمَجِيدَةُ، وَحِينَ تُبْدِينَ الْغَضَبَ لِأَنَّ مُحَرَّاتاً
 انْتَهَكَ قُدْسِيَةَ الْقُبُورِ، سَأُظِلُّ أَسْتَرْضِيَكُمْ، أَيُّهَا الْأَرْوَاحُ
 الْمُقَدَّسَةُ، بِصَوْتِ الْفُؤَادِ وَبِأَنْشُودَةِ الْوَرَعِ، إِلَى أَنْ تَأْلَفَ
 رُوحِي مُسَاكِنَتَكُمْ . آتَنُذِ، أَيُّهَا الْأَمْوَاتُ، سَيُسْأَلُكُمْ
 الْمُقَدَّسُونَ كَثِيراً، وَسَيُسْأَلُونَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ،
 يَا قَوَى السَّمَاءِ الْمَجِيدَةِ، حِينَ تَمْرُونَ وَأَنْتُمْ مُسْنُونَ
 عَلَى هَذِهِ الْأَنْقَاضِ، يَا أَهْلَ الطَّرِيقِ السَّالِكَةِ!
 فَتَحَتِ النُّجُومُ غَالِباً مَا تَسْتَوْلِي الْحَيْرَةُ عَلَى قَلْبِي

كأنها رِيحٌ مُخِيفَةٌ، فَأَبْحَثُ مِنْ حَوْلِي عَنْ مَشُورَةٍ،
 وَلَمْ يَمِضِ الْآنَ وَقْتُ طَوِيلٌ مِنْذُ أَنْ أَنْعَمْتُ عَلَى بِكَلِمَاتِ
 السُّلُوانِ بِسَاتَيْنِ دُودُونَا النَّبَوِيَّةُ ؛ لَكِنَّ إِلَهَ دِلْفِي صَامِتٌ،
 وَهَذِهِ الدُّرُوبُ ظَلَّتْ لَزَمْنَ طَوِيلَ خَرَبَةِ مَهْجُورَةٍ،
 وَهِيَ الَّتِي صَعَدَ مِنْهَا يَوْمًا نَحْوَ بَلَدَةِ الْعَرَافِ الصَّادِقِ
 رَجُلٌ مُتَسَائِلٌ تَقْوُذُهُ بِالسَّكِينَةِ الْآمَالُ.
 لَكِنَّ النُّورَ الْعُلُويَّ لَا يَزَالُ يُخَاطَبُ الْفَانِينَ. وَهَآ هُوَ
 صَوْتُ الْمُرْعَدِ الْعَظِيمِ، مُفْعَمًا بِالْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ، يُنَادِي :
 أَلَا تَزَالُونَ تَذْكُرُونَنِي؟ فَيُرَجِّعُ صَدَاهُ صَوْتُ الْمَوْجِ الْهَادِرِ،
 صَوْتُ إِلَهِ الْبَحْرِ: أَلَسْتُمْ تَذْكُرُونَنِي الْآنَ أَبَدًا،
 كَمَا كُنْتُمْ فِيمَا مَضَى تَفْعَلُونَ؟ فَالسَّمَاوِيَّاتُ يُحِبُّونَ
 أَنْ يَرُقِدُوا عَلَى قَلْبِ مُرْهَفٍ؛ وَلَأَنَّهُمْ قُوَى مُبْهَجَةٌ حَدَّ النَّشْوَةِ،
 فَهُمْ يُحِبُّونَ أَبَدًا أَنْ يَخْرُسُوا الرَّجُلَ التَّوَّاقَ، وَفَوْقَ تِلَالِ مَوْطِنِهِ،
 لَا يَزَالُ الْأَثِيرُ الْمَوْجُودُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، يُقِيمُ وَيَحْكُمُ، وَيَسْتَرِيحُ،
 لَكِنِّي يَكُونُ شَعْبٌ وَدُودٌ، يَضُمُّهُ الْأَبُّ إِلَى حَضْنِهِ، كَمَا كَانَ دَائِمًا،
 فَرَحًا، وَيُشَاطِرُ الْجَمِيعَ نَفْسَ الرُّوحِ. لَكِنَّ جَنْسَنَا، يَا لِلْوَيْلِ،
 يَهِيمُ لَيْلًا، وَيَظِلُّ كَمَا فِي أَوْرُكُوسَ، مُنْفَصِلًا عَنْ كُلِّ مَا هُوَ إِلَهِي.
 كُلُّ شَخْصٍ مِنْهُمْ فِي عَمَلِهِ فَحْشُبٌ، وَفِي صَخَبِ الْمُحْتَرَفِ

الذي يَصُمُّ الآذَانَ، لَا يَسْمَعُ إِلَّا نَفْسَهُ؛ وَيُسْرِفُ هَؤُلَاءِ الْمُتَوَحِّشُونَ
 فِي الْكَدِّ، سَوَاعِدُهُمْ قَوِيَّةٌ، لَا يَكْفُونَ، لَكِنَّ كَدَّ الْأَشْقِيَاءِ،
 مِثْلَ سَعْيِ الْأَرْوَاحِ الْمُتَقَمِّمَةِ، يَظِلُّ عَقِيمًا، إِلَى أَنْ يَتِمَّ إِيقَاطُ
 هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ مِنْ كَابُوسِهِمْ فَيُحْسِنُونَ، مَرَّةً أُخْرَى،
 بِرُوحِهِمْ، كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ، فَتِيَّةٌ رَضِيَّةٌ، وَمَرَّةً أُخْرَى،
 يَهْبُ نَفْسُ الْمَحَبَّةِ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ الْجَدِيدِ،
 كَمَا كَانَ يَهْبُ عَلَى هِيَلَسٍ فَيَتَنَعَّمُ بِالْإِزْهَارِ أَبْنَاؤُهَا؛
 وَعَلَى جِبَاهِنَا الَّتِي تَخَفَّفَتْ مِنَ الْهُمُومِ، تَهْبُ رُوحُ الطَّبِيعَةِ
 الَّتِي تُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ، وَمَرَّةً أُخْرَى يَتَجَلَّى الْإِلَهُ
 فِي الْغَيْمِ الْمُذْهَبِ ثَابِتًا أَبَدِيًّا. وَهُمْ، أَلَا يَزَالُونَ، أَيُّهَا النَّهَارُ،
 يُوَاصِلُونَ إِقَامَتَهُمْ فِي وَخْشَةِ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، كَأَنَّهُمْ يُقِيمُونَ
 فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ، مَعَ أَنَّهُمْ مِنْ سُلَالَةِ الْآلِهَةِ، بَيْنَمَا يَتَلَأَلُ
 الرَّبِيعُ الدَّائِمُ مُتَلَاشِيًا فَوْقَ رُؤُوسِ أَوْلَئِكَ الرَّاقِدِينَ؟
 لَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ وَلَّى الْآنَ! فَهَذَا أَتَدْرِي عَلَى الْبُعْدِ أَسْمَعُ أَغْنِيَةَ
 جَوْقَةِ الْعِيدِ فَوْقَ الْجِبَالِ الْخَضِرَاءِ، وَأَسْمَعُ صَدَاهَا يَتَرَدَّدُ
 فِي الْأَيْكِ، حَيْثُ تَنْفَرُجُ صُدُورُ الْفَتَيَانِ وَتُشَارِكُ رُوحَ الْقَوْمِ
 فِي الْغِنَاءِ الْمُنْطَلِقِ، وَهُمْ يَمْدَحُونَ الْإِلَهَ الَّذِي يَبْسُطُ مُلْكَهُ
 عَلَى الْأَعَالِي؛ لَكِنَّ الْوِذْيَانَ أَيْضًا مُقَدَّسَةً؛ فَحَيْثُمَا يَنْدْفَعُ النَّهْرُ

مُخْتَرَقًا غَزَارَةَ الْعُنْفُوانِ وَالنَّمَاءِ وَسَطَ أَزْهَارِ الرَّيْفِ،
وَحَيْثُمَا يَنْضَجُ الْقَمْحُ النَّبِيلُ وَتَنْضَجُ الْبَسَاتِينُ عَلَى الشُّهُولِ
الْمُشْمَسَةِ، يُحِبُّ الْوَرْعُونَ أَنْ يَتَزَيَّنُوا بِالْأَكَالِيلِ لِلْإِحْتِفَالِ،
وَعَلَى تَلِّ الْمَدِينَةِ يُومَضُ رِوَاقُ الْبَهْجَةِ الْإِلَهِيِّ، كَمَا تُومَضُ
مَنَازِلُ الْبَشَرِ. فَالْحَيَاةُ الْآنَ قَدْ امْتَلَأَتْ بِالْمَعْنَى الْإِلَهِيِّ،
وَأَنْتِ أَيُّهَا الطَّبِيعَةُ، يَا مَنْ لَا تَكُفِّينَ أَبَدًا عَنِ التَّهْذِيبِ،
تَتَبَدَّلِينَ مَرَّةً أُخْرَى لِأَبْنَائِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ وَتَتَدَفَّقُ النِّعَمُ
مِنْ هَذَا الْمَكَانِ عَلَى رُوحِ الشَّعْبِ الْمُزْهَرَةِ، كَأَنَّهَا تَتَرَقَّرُقُ
عَلَى جِبَالِ يُزَيْنُهَا وَشَيْ الْيُنَايِيعِ. آتْنَدِ، آه، آتْنَدِ، يَا أَفْرَاحَ أَثِينَا،
وَيَا مُنْجِزَاتِ سَبَرَطَا، وَيَا مُوسِمَ الرَّبِّيعِ الْعَذْبِ
فِي بِلَادِ الْإِغْرِيقِ، حِينَ يَحُلُّ خَرِيفُنَا، حِينَ تَعُودُونَ جَمِيعًا،
وَقَدْ نَضَجْتُمْ، يَا أَرْوَاحَ الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، فَتَرُونَ اكْتِمَالَ
الْعَامِ يَقْتَرِبُ - آتْنَدِ، أَدْعُو أَنْ يَحْفَظَكَ يَوْمَ الْعِيدِ،
أَنْتِ أَيْضًا، أَيُّهَا الْآيَّامُ الْخَوَالِي، أَدْعُو أَنْ يَنْظُرَ النَّاسُ
إِلَى هِيَلَسَ، وَإِذْ يُقَدِّمُونَ الشُّكْرَ وَالْدَّمَعَ قَرَابِينَ،
يُلَطِّفُونَ بِالذِّكْرِ يَوْمَ النَّصْرِ الَّذِي بِهِ يَعْتَزُّونَ.

لَكِنْ، فِي انْتِظَارِ ذَلِكَ، لَا تَكُفِّي عَنِ التَّفَتُّحِ،
إِلَى أَنْ يَبْدَأَ إِثْمَارُنَا، وَاصِلِي التَّفَتُّحِ، يَا حَدَائِقَ إِيُونِيَا،
وَأَنْتِ أَيْتُهُا الْحَدَائِقُ الَّتِي تَخْضَرُ قُرْبَ
أَنْقَاضِ أَثِينَا، اخْجُبْنَ عَنْ نَاضِرِ النَّهَارِ حُزْنَهَا،
أَيْتُهَا الْعَزِيزَاتُ ! وَيَا غَابَاتِ الْغَارِ، يَا مَنْ تُورِقْنَ
أَبَدًا، كَلَلْنَ تَلَالَ مَوْتَاكُنَّ فِي كُلِّ مَكَانٍ،
هَنَّاكَ قُرْبَ مَارَاثُونَ حَيْثُ قَضَى فِتْيَانُكَ وَهُمْ
غَازُونَ، وَهَنَّاكَ، آه، عَلَى سُهُولِ كَارُونِيَا
حَيْثُ انْدَفَعَ آخِرُ الْأَثِينِيِّينَ، وَأُسْلِحَتْهُمْ بِالْدَّمِ مَغْمُورَةٌ،
انْدَفَعُوا فَارِّينَ مِنْ يَوْمِ الْعَارِ، وَهَنَّاكَ، أَيْتُهُا الْمِيَاهُ الشَّارِدَةُ،
مَنْ الْجِبَالِ حَتَّى وَادِي الْقِتَالِ، نُوحِي فِي كُلِّ يَوْمٍ،
وَمَنْ قَمَمِ ائْتِاسَ غَنِّي أُغْنِيَةَ الْقَدَرِ!
لَكِنْ أَنْتِ أَيُّهَا الْخَالِدُ - مَعَ أَنْ أَغَانِي الْإِغْرِيقَ
لَا تَحْتَفِي الْآنَ بِكَ كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ - يَا إِلَهَ الْبَحْرِ،
دَعْ رُوحِي تَتَشَرَّبُ أَلْحَانًا غَالِبًا مَا تَعْرِفُهَا أَمْوَاكُكَ
لَكِنِّي يُمَارِسُ ذَهْنِي الْوَقَّادُ، مِثْلَ السَّبَّاحِ، بِلَا خَوْفٍ،
بِهَيْجَةِ الْأَقْوِيَاءِ الَّتِي تَبْعُثُ الْحَيَاةَ، وَيَتَعَلَّمُ اللُّغَةَ الْإِلَهِيَّةَ:
لُغَةُ التَّغْيِيرِ وَالصَّيْرُورَةِ؛ وَإِنْ يَنْتَزِعِ الزَّمَانُ بِجَبْرُوتِهِ

رَأْسِي، وَتُحَطِّمِ الْحَاجَةَ وَالتَّشْرُدُ وَسَطَ الْفَانِينَ حَيَاتِي
الْفَانِيَّةَ، فَدَعْ ذَهْنِي يُقِيمُ فِي سُكُونِ أَعْمَاقِكَ.

مَرثَاةٌ مُنُونٌ لَدَيُوتِيمَا

.1

أُخْرِجُ كُلَّ يَوْمٍ، وَأَبْحُثُ دَائِمًا عَنْ دَرْبِ آخَرَ، مَعَ أَنَّنِي سَأَلْتُهَا جَمِيعًا
مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ: كُلُّ دُرُوبِ الْأَرْضِ؛ تِلْكَ الْقِمَمَ الْعَالِيَةَ
الَّتِي تُتَمَعَّنُ فِي الْبُرُودَةِ؛ سَأَلْتُ كُلَّ الْأَمَاكِنِ الظِّلِيلَةِ الَّتِي أَزُورُهَا،
وَسَأَلْتُ كُلَّ الْمَنَابِعِ؛ تَشْرُدُ رُوحِي إِلَى الْأَعَالِي، ثُمَّ تَهْوِي إِلَى
الْقَرَارِ، ائْتِمَاسًا لِلرَّاحَةِ؛ هَكَذَا يَفِرُّ إِلَى الْغَابَاتِ أَيْلٌ مُصَابٌ،
إِلَى غَابَاتِ كَانَ مِنْ قَبْلِ يَسْتَرِيحُ، فِي الظَّهِيرَةِ، فِي ظُلُمَاتِهَا
لَكِنَّ مَلَجَاهُ الْأَخْضَرَ لَمْ يَعُدْ الْآنَ يُنْعَشُ قَلْبُهُ،
بَلْ يَجْعَلُهُ الشَّوْكُ قَلَقًا، أَرْقًا، نَائِحًا، لَا يَسْتَقِرُّ فِي أَيِّ مَكَانٍ؛
لَا دَفْءُ الضُّوءِ يُسْعِفُ وَلَا بَرُودَةُ اللَّيْلِ،
عَبَثًا يَغْمَسُ فِي مُوَيِّجَاتِ النَّهْرِ جُرُوحَهُ.
وَكَمَا تَغْرُضُ الْأَرْضُ سُدَى أَغْشَابِهَا الشَّافِيَةَ الْمُبْهَجَةَ،
وَلَا نَسْمَةَ مِنَ التَّسْمَاتِ تُهْدِي دَمَهَا الْمُهْتَاجَ،
كَذَلِكَ، أَيُّهَا الْأَعْزَاءُ، يَبْدُو حَالِي وَلَيْسَ بِوَسْعِ أَحَدٍ
أَنْ يَرْفَعَ عَنِّي جَبِينِي عَبَاءَ هَذَا الْحُلْمِ الْحَزِينِ؟

لَا جَدْوَى حَقًّا، يَا إِلَاهَاتِ الْمَوْتِ، حِينَ تُمَسِّكْنَ الرَّجُلَ الْمَهْزُومَ مَرَّةً
 وَتُقَيِّدُنَهُ بِإِحْكَامٍ، حِينَ تَحْمِلُنَهُ أَثِيثًا الشَّرِيرَاتِ وَتُنْزِلُنَهُ إِلَى
 اللَّيْلِ الرَّهِيْبِ، لَا جَدْوَى حِينَئِذٍ فِي أَنْ يَتَضَرَّعَ الْمَرْءُ وَيَتَوَسَّلَ
 إِلَيْكَ أَوْ يَغْضَبَ مِنْكَ، بَلْ وَلَا فِي أَنْ يَظْلَّ رَهِيْنًا ذَلِكَ
 الْقَيْدَ الْمُخِيفِ، وَيَبْتَسِمَ إِذْ يَسْمَعُكَ تَرَنُّمًا بِالْأَغْنِيَةِ الْوَقُورِ.
 إِنْ كَانَ لَا بُدَّ، فَانْسِينِ رِفَاهُكَ وَنَمْنِ صَامِتَاتِ.
 لَكِنْ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ بِالذَّاتِ، يَجِيْشُ مِنْ صَدْرِكَ صَوْتُ أَمَلٍ،
 وَلَنْ تَسْتَطِيعِي، يَا رُوحِي، لَنْ تَسْتَطِيعِي، حَتَّى فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ،
 أَنْ تَتَقَبَّلِيهِ، وَلَا تَزَالِيْنَ، بِفَعْلِ الْعَادَةِ، تَحْلِمِيْنَ فِي عَمَقِ نَوْمِكَ الْبَارِدِ !
 وَقْتُ الْإِحْتِفَالِ لَيْسَ لِأَجْلِي، لَكِنِّي بِالْأَكَالِيلِ أَتْرِيْنَ،
 أَوْ لَسْتُ مَنْعَزَلًا وَحِيدًا؟ لَكِنَّ شَيْئًا رَحِيمًا
 لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ، عَلَى الْبُعْدِ، قَرِيبًا مِنِّي، وَعَلَيَّ الْآنَ
 أَنْ أَبْتَسِمَ وَأُسْتَغْرِبَ إِذْ أَدْرِكُ أَيْضًا مَا أَحْسُّ بِهِ،
 وَأَنَا فِي غَمْرَةِ الْحَزَنِ، مِنْ نَعِيمٍ .

يَا نُورَ الْحَبِّ الذَّهَبِيِّ، هَلْ أَنْتَ تُشْرِقُ حَتَّى عَلَى الْمَوْتَى؟
وَيَا رُؤَى الْأَيَّامِ الْأَسْطَعِ، هَلْ تُنِيرِينَ لِيْلِي؟
يَا حَدَائِقَ، وَيَا جِبَالاً تُلَوْنُهَا حُمْرَةُ الشَّفَقِ، بِكَ أَرْحُبُ،
وَبِكَ يَا دُرُوبَ الْبُسْتَانِ الصَّامِتَةِ، يَا مَنْ شَاهَدْتَ النِّعَمَ
السَّمَاوِيِّ؛ وَأَنْتِ أَيْتُهَا النُّجُومُ الْمُحَدِّقَاتُ فِي الْأَعَالِي،
يَا مَنْ كَثِيراً مَا مَنْحَتْنِي نِظَرَاتٍ مُبَارَكَةٍ. وَأَنْتُمْ أَيْضاً
أَيْتُهَا الْعُشَّاقُ، يَا أَطْفَالَ الرَّبِّيعِ وَالْجَمَالِ، يَا وَرُوداً
تَنْعَمُ بِالسَّكِينَةِ، وَأَنْتِ أَيْتُهَا الزَّنَابِقُ، غَالِباً مَا أَنَادِيكُمْ .
مَوَاسِمُ الرَّبِّيعِ تَمْضِي حَقّاً، الْعَامُ يَجْتَثُّ الْعَامَ،
وَالزَّمَنُ الْمُحَارِبُ الْمُتَغَيِّرُ يَهْدُرُ فِي الْأَعَالِي، فَوْقَ رُؤُوسِنَا،
نَحْنُ الْفَانِينَ، لَكِنَّهُ خَافَ عَنْ عِيُونِ الْمُنْعَمِينَ؛
وَالْعُشَّاقُ أَيْضاً وَهَبُوا حَيَاةً مُخْتَلِفَةً . لِأَجْلِ كُلِّ هَؤُلَاءِ،
يَا دِيُوتِيمَا، كَانَتْ أَيَّامُ النُّجُومِ وَأَعْوَامُهَا
تَتَنَاغَمُ مَعًا تَنَاغُماً حَمِيماً، تَنَاغُماً أَبَدِيّاً.

لكننا سافرنَا فوقَ هذه الأرضِ، سُعداءَ في وِصَالِنَا
سعادةً طُيور التَّم حينَ تَسْتريحُ جَنبَ البُحيرةِ،
أو حينَ تَتَّخِذُ المَوجَاتِ مَهْدًا فتَنظُرُ إلى المَاءِ تَحْتَهَا
حيثُ تنعكسُ الغُيومُ الفُضِيَّةُ وَيَتَمَوَّجُ اللَّازُورْدِيُّ
وَسَطَ سَفَائِنِ المَسَافِرِينَ. وَمَعَ أَنَّ بَورِيَّاسَ، عَدُوَّ العُشَاقِ،
هَدَدَ نَاشِرًا نَوَاحَهُ في كُلِّ اتِّجَاهٍ، وَمَعَ أَنَّ الأَوْرَاقَ مِنَ الغُصُونِ
تَسَاقَطَتْ، وَمَعَ أَنَّ المَطَرَ تَطَايرَ مَعَ الرِّيحِ، فَإِنَّا كُنَّا
نَبْتَسِمُ في هُدُوءٍ، مُسْتَشْعِرِينَ حُضُورَ إلهِنَا في طَيَّاتِ
حَوَارِنَا الحَمِيمِ، في أَغْنِيَةِ رُوحِنَا الفَرِيدَةِ، رَاضِيَيْنَ عَن نَفْسِنَا
كُلَّ الرِّضَى، فَرَحَيْنَ كَالأَطْفَالِ وَوَحِيدَيْنِ. لَكِنَّ بَيْتِي الآنَ
مَهْجُورٌ، وَقَدْ سَلَبُوا عَيْنِي، وَبِفُقْدَانِ حَبِيبَتِي فَقَدْتُ نَفْسِي.
وَلِهَذَا تَرَانِي شَارِدًا، وَأَخْشَى أَنَّ عَلَيَّ الآنَ
أَنْ أَعِيشَ كَمَا تَعِيشُ أَشْبَاحُ المَوْتَى.
وَمِنذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ، بَدَأَ لِي كُلُّ شَيْءٍ عَبَثًا.

أريدُ أن أحتفلَ، لكنَ بِمَاذَا؟ وأريدُ أن أغنيَ مع الآخرينَ،
لكنَ ينقُصني كلُّ ما هو إلهيٌّ في هذه الوحشة الشاملة .
هو ذا، أعرفُ أن هذا هو إخفاقي، ولهذا تُعطَلُ
لعنةُ قوّتي، وتُطيحُ بي أنى انطلقتُ،
فأجلسُ طوال اليوم دُونَ إحساسٍ،
صامتاً كالأطفال. من حينٍ لآخرَ تَزَحَفُ
من عيني دَمْعَةٌ باردةٌ، تُحزْنُني أغراسُ الحقلِ،
ويُحزْنُني غناءُ الطيورِ، لأنّها،
إذَ تَحْمِلُ الأفراحَ، تَحْمِلُ النِّدَائِرَ الإلهيّة أيضاً، لكنني،
في فراغي المرتعشِ، أرى الشَّمْسَ المُلهمة تُشرقُ عليَّ
كأنّها أشعةُ الليلِ، وأرى السّماواتِ، آه، مثلَ جُدرانِ
السّجنِ عقيمةٍ كئيبةٍ، تتدلَّى من فوق رأسي عبثاً يرهقني.

أَيُّهَا الشَّبَابُ، كُنْتُ فِي مَا مَضَى أَعْرِفُكَ بِقَنَاعٍ آخَرَ!
 أَلَنْ تُعِيدَكَ إِلَيَّ أَبَدًا تَوْسُلَاتِي؟ أَيْكُونُ حَالِي حَالُ
 الْكُفَّارِ الَّذِينَ جَلَسُوا يَوْمًا، وَعُيُونُهُمْ مُشْرِقَةٌ،
 حَوْلَ خَوَانِ الْمَادُّبَةِ الْإِلَهِيَّةِ، لَكِنَّ الطَّعَامَ سُرْعَانَ مَا
 اتَّخَمَهُمْ، غَشِيَ الصَّمْتُ الْآنَ هَؤُلَاءِ الضُّيُوفَ الْحَمَقَى،
 وَهَاهُمْ الْآنَ تَحْتَ أَغْنِيَةِ النَّسِيمِ، تَحْتَ الْأَرْضِ الْمُزْهَرَةِ
 رَاقِدُونَ، هُنَا سَيَظْلُونَ إِلَى أَنْ تُجْبِرَهُمْ يَوْمًا قُوَّةٌ مُعْجِزَةٌ،
 تُجْبِرَ هَؤُلَاءِ الْمَغْمُورِينَ فِي الْأَعْمَاقِ، عَلَى أَنْ يَعُودُوا لِيَسِيرُوا
 مَرَّةً أُخْرَى عَلَى أَرْضِ تَعْمُرُهَا الْخُضْرَةُ وَتَتَفَتَّقُ فِيهَا الْبِرَاعَةُ -
 النَّفْسُ الْمُقَدَّسُ يَخْتَرِقُ الشَّكْلَ الْمُتَوَهَّجَ اخْتِرَاقًا رَبَّانِيًّا،
 حِينَ تُلْهِمُ الْمَادُّبَةَ رُوحًا مِنَ الْأَرْوَاحِ، وَتَنْطَلِقُ جَدَاوِلُ الْمَحَبَّةِ،
 وَيَهْدِرُ النَّهْرُ الَّذِي تَمْلُؤُهُ السَّمَاءُ، وَتُسْمَعُ الذَّمْدَمَةُ
 فِي الْقَرَارِ، وَيُقَدِّمُ اللَّيْلُ كُنُوزَهُ، وَيَتَعَالَى بَرِيْقُ
 الذَّهَبِ الْمَطْمُورِ مِنْ أَسِرَّةِ الْأَنْهَارِ ..

لَكَنَّكَ، أَنْتِ الَّتِي كُنْتُ أَنْتِزِدُ قَدْ بَلَغْتَ مُلْتَقَى طُرُقِ الْفِرَاقِ حِينَ
وَقَعْتُ أَنَا عِنْدَ قَدَمَيْكَ، أَشْرْتُ مُوَاسِيَةً إِلَى أُمُورٍ أَفْضَلَ يَنْبَغِي
السَّعْيُ إِلَيْهَا، أَنْتِ الَّتِي عَلَّمْتَنِي أَنْ أَرَى مَا هُوَ عَظِيمٌ، وَعَلَّمْتَنِي أَنْ
أَتَغْنَى مَرِحاً بِالْأَلْهَةِ، فَهِيَ، عَلَى صِمَّتِهَا، سَاكِنَةٌ، بِالنَّشْوَةِ مُفْعَمَةٌ؛
هَلْ تَتَجَلَّيْنَ لِي مَرَّةً أُخْرَى، يَا طِفْلَةَ الْآلِهَةِ، وَتُحْيِيَنِي كَمَا كُنْتُ
مَنْ قَبْلُ تَفْعَلِينَ، وَتُحَدِّثِينَ مَرَّةً أُخْرَى عَنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ السَّامِيَةِ؟
أَنْظُرِي، أَنَا مُضْطَرٌّ لِأَنْ أَبْكِيَ وَأَنْوَحَ فِي حَضْرَتِكَ، مَعَ أَنَّ رُوحِي
تُحِسُّ بِالْحِزْزِ إِذْ تَتَذَكَّرُ عَهْدًا أَثْبَلَ. فَقَدْ مَضَى زَمَنٌ طَوِيلٌ،
مَضَى الْآنَ زَمَنٌ طَوِيلٌ، وَأَنَا عَلَى دُرُوبِ الْأَرْضِ الْمَرَهَقَةِ، أَلْفُتُكَ،
وَبَحِثْتُ عَنْكَ فِي الْبَرَارِيِّ، أَيُّهَا الرُّوحُ الْحَارِسَةُ، أَيُّهَا الرُّوحُ
الْبَهِيجَةُ! لَكِنَّ سَعْيِي كَانَ سُدًى، وَهِيَ الْأَعْوَامُ قَدْ ذَابَتْ
وَعَدْتُ عَدَمًا مِنْذُ أَنْ رَأَيْنَا تِلْكَ الْأَمَاسِي تَتَوَهَّجُ حَوْلَنَا مُنْذَرَةً.

أنت وحدك، أيتها البطلة، نورك يُثبت النور، وصبرك،
 أيتها الحنون، يُقوّيك في المحبة؛ بل لست حتى وحيدة،
 فثمة ما يكفي من أقران يُلاعبونك هناك حيث تُزهرين
 وتُسكنين وسط أزهار الموسم، والأب نفسه،
 يُرسل إليك مع ربّات الإلهام اللواتي يتتَفَسّن الرّقة
 تلك الأغاني الرقيقة لتُنيّمك.
 أجل، ما زالت هي هي! لا زالت الأثنية،
 بكلّ جوارحها، تسير صامتة نحوي، تحوم أمام ناظري!
 وحين تتنزّل المباركة والنور المبين من جبينك الحزين،
 أيتها الروح الحنون، آنشد، أرني البرهان،
 وأخبريني، كي أبلغ الآخرين، فهناك أيضاً
 آخرون لا يؤمنون بأنّ الفرّح في النهاية
 يدوم أكثر من الغم والغضب،
 وأنّ نهاراً ذهبياً سيشرق في النهاية رغم كل شيء.

لِذَلِكَ، سَأَشْكُرُكَ أَنْتِ أَيْضاً، يَا قُوَى السَّمَاءِ، وَفِي النِّهَايَةِ سَتَنْبَعِثُ
 مَرَّةً أُخْرَى ابْتِهَالَاتِ الْمُنْشِدِ مُنْسَابَةً مِنْ صَدْرِهِ الْمُنْشَرَحِ. وَكَمَا
 وَقَفْتُ مَعَهَا مَرَّةً عَلَى رَأْسِ التَّلِّ الْمَشْمُسِ، يُخَاطِبُنِي الْآنَ مَرَّةً أُخْرَى،
 مَنْ هَيْكَلِ الْبَاطِنِ، إِلَهَ وَاهِبٍ لِلْحَيَاةِ. فَلأَخِي، إِذَنْ، مَرَّةً أُخْرَى!
 هَا قَدْ اخْضَرَ كُلُّ شَيْءٍ! وَهِيَ النَّعْمَاتُ تُقْبَلُ مِنْ قِيَارَةِ
 مُقَدَّسَةٍ فِي قَمَمِ أَتُولُو الْفَضِيَّةَ. تَعَالَى إِذَنْ!
 مَا أَشْبَهَ الْأَمَرَ كُلَّهُ بِحُلُمٍ مِنَ الْأَحْلَامِ! أَجْنَحْتُكَ الْمَلَطَّخَةَ
 بِالْدَّمِ تَعَافَتْ، وَكُلُّ آمَالِكَ تُبْعَثُ مِنْ جَدِيدٍ. كَثِيرٌ أَنْ يَعُثَرَ الْمَرْءُ
 عَلَى مَا هُوَ عَظِيمٌ، لَكِنَّ الْكَثِيرَ يَبْقَى، وَمَنْ أَحَبَّ هَكَذَا
 سَيَتَّبِعُ الطَّرِيقَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَى الْآلِهَةِ، لَا بُدَّ أَنْ يَتَّبِعَهَا.
 فَلْتُرَافِقِينَا، إِذَنْ، أَيُّهَا السَّاعَاتُ الْمُقَدَّسَةُ،
 أَيُّهَا الْوَقُورَاتُ، الْفَتِيَّةُ! لَا تَهْجُرِينَا أَبَدًا،
 يَا أَحَاسِيسَ الْفُؤَادِ، وَيَا أَيُّهَا التَّوَسَّلَاتُ الْوَرَعَةُ،
 وَأَنْتِ، يَا وَمَضَاتِ الْإِلْهَامِ، وَيَا كُلَّ الْأَزْوَاجِ الْخَيْرَةِ الَّتِي تُحِبُّ
 أَنْ تُعَاشَرَ الْعُشَّاقَ. لَا تُفَارِقِينَا نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ إِلَى أَنْ نَبْلُغَ الْأَرْضَ
 الْمُشْتَرَكَةَ، حَيْثُ يَتَهَيَّأُ كُلُّ الْمُنْعَمِينَ لِلنَّزُولِ

مرةً أخرى، حيثُ تُوجدُ النُّسورُ، وعَناقيدُ النُّجومِ، ورُسلُ الأبِّ،
حيثُ تُوجدُ ربَّاتُ الإلهامِ، مَوطِنُ العُشَّاقِ والأبطالِ،
لا تُفارقينا إلى أنْ نبلُغَ ذلكَ المَكانَ، أو ربَّما هذا المَكانَ،
حيثُ نلتقي في جَزيرةِ نديَّةٍ، حيثُ أغانينا مُخلِصةٌ ستُكونُ،
إذ تَجتمعُ في حَدائقِ تَزهَرُ في النِّهايةِ معاً في نفسِ الآنِ،
ويَمتدُّ بهاءُ الرِّبيعِ، يَبْدأُ منْ أعوامِ رُوحِنا عَامٌ جَديدٌ.

المحبة

قَدْ يَغْفِرُ لَكُمْ الرَّبُّ ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ،
إِنْ أَنْتُمْ نَسِيتُمْ أَصْدِقَاءَكُمْ ، أَوْ أَصَاتِمُ إِلَيْهِمْ جَمِيعاً ،
وَقَدْ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ أَصَاتِمُ إِلَى شُعْرَائِكُمْ ؛ لَكِنَّهُ
لَنْ يَصْفَحَ أَبَداً عَنْكُمْ إِنْ أَنْتَهَكْتُمْ حُرْمَةَ رُوحِ الْمُحِبِّينَ .

فَفِي أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ ، خَبِّرُونِي ، يُوَاصِلُ الْبَشَرُ
حَيَاتِهِمْ ، وَقَدْ بَسَطَ الْهَمُّ الْخَنُوعَ سُلْطَانَهُ عَلَى
كُلِّ الْأَشْيَاءِ ؟ لِذَلِكَ أَيْضاً تَرَفَّعَ الرَّبُّ مِنْذُ زَمَنِ
طَوِيلٍ ، وَبَاتَ هُنَاكَ فِي الْأَعَالِي غَيْرَ عَابِيٍّ بَنًا .

لَكِنْ ، أَيَّامًا كَانَتْ بُرُودَةُ الْعَامِ ، فِي هَذَا الْمَوْسَمِ
الْمُقَدَّرِ عَلَيْنَا ، وَأَيَّامًا كَانَتْ كَابَتُهُ ، فَإِنَّ أَوْرَاقَ
النَّبَاتَاتِ الْخَضِرَاءِ سَتَنْمُو ، سَتَنْمُو فِي هَذَا
الْحَقْلِ الْأَبْيَضِ ، وَسَيَتَرَنَّ طَائِرٌ مُتَوَحِّدٌ ،

حِينَ تَتَمَطَّى الْغَابَاتُ رُويْدًا، رُويْدًا،
يَتَحَرَّكُ النَّهْرُ، تُقْبَلُ، فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ،
تُقْبَلُ النَّسْمَةُ اللَّطِيفَةُ نَاعِمَةً مِنَ الْجَنُوبِ،
حِينَ تَنْبَشِقُ هُنَاكَ بَشَارَةً بِعَصْرِ أَرْهَى،

بَشَارَةً نُؤْمِنُ بِهَا، بَشَارَةً مُكَتَفِيَةً بِذَاتِهَا،
بَشَارَةً فَرِيدَةً فِي وَرَعِهَا وَنُبْلِهَا،
حِينَ تَنْبَشِقُ الْمَحَبَّةُ، ابْنَةُ الرَّبِّ،
تَنْبَشِقُ مِنْهُ وَخَدَهُ، فَتَغْمُرُ التُّرْبَةَ النَّحَاسِيَّةَ.

دَعِينِي أُبَارِكُكَ، إِذْ أَنْتِ أَيْتُهَا النَّبْتَةُ السَّمَاوِيَّةُ،
دَعِينِي أَرْعَاكِ بِنَشِيدِي، حِينَ تُغَذِّبُكِ
الطَّاقَةُ الْأَثِيرِيَّةُ الْمُسْتَمِدَّةُ مِنْ رَحِيقِ الْأَلْهَةِ،
وَيَكُونُ الشُّعَاعُ الْمُبْدَعُ قَدْ أَنْضَجَكَ.

تَرْغَرِعِي وَصِيرِي غَابَةً! صِيرِي عَالَمًا يَكُونُ
بِالرُّوحِ أَشَدَّ امْتِلَاءً، عَالَمًا يَكُونُ بِالْإِزْهَارِ أَغْزَرَ وَأَوْفَرَ،
وَأَنْتِ يَا لُغَةَ الْمَحِبِّينِ كُونِي لِسَانَ كُلِّ الْأَرْضِ!
وَيَا رُوحَ الْمَحِبِّينِ أَلْهِمِي النَّاسَ بِهَجَةِ الرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ!

خُبْرٌ وَخَمْرٌ

إلى هاينسه

.1

السُّكُونُ يُطَوِّقُ الْمَدِينَةَ. الرُّفَاقُ الْمُنِيرُ يَهْدُ
وَالْعَرَبَاتُ، مُزَيَّنَةٌ بِالْقَنَادِيلِ، تَتَبَعُ مَخْلَفَةً دُخَانًا يَتَلَاشَى.
الرَّجَالُ، مُتَرَعِّينَ بِلَذَّاتِ النَّهَارِ، يَعُودُونَ لِيَسْتَرِيحُوا فِي الْبُيُوتِ؛
وَالْأَذْهَانُ الْمَشْغَلَةُ عَادَتْ إِلَى الْبُيُوتِ قَانِعَةً بِحَسَابِ
الرَّيْحِ وَالْخَسَارَةِ. الشُّوقُ الْمَكْتَنَّةُ يَسُودُهَا السُّكُونُ،
إِنَّهَا الْآنَ خَالِيَةٌ مِنَ الزُّهُورِ، خَالِيَةٌ مِنَ الْأَغْنَابِ، خَالِيَةٌ مِمَّا صَنَعَتْهُ الْأَيْدِي.
لَكِنَّ أَنْغَامَ الْأُوتَارِ تَتَعَالَى بَعِيدَةً فِي الْحَدَائِقِ:
لَعَلَّ الْعُشَّاقَ هُنَاكَ يَمْرَحُونَ، وَقَدْ يَتَذَكَّرُ رَجُلٌ مُنْعَزِلٌ
أَصْدِقَاءَهُ الْبَعِيدِينَ، أَوْ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَيَّامَ شَبَابِهِ.
الْيَنَابِيعُ الْمُنْسَابَةُ تَتَدَفَّقُ شَادِيَةً جَنْبَ أَحْوَاضِ الزُّهُورِ
الْفَوَّاحَةِ، وَالْأَجْرَاسُ تَرْنُ نَاعِمَةً فِي أَجْوَاءِ الْغَسَقِ،
وَالْحَارِسُ، حَرِيصًا عَلَى الْوَقْتِ، يُؤْذِنُ بِالسَّاعَةِ.

تتعالى الآن نَسْمَةٌ وتَلْمِسُ أعالي الأيكة -
أنظر، هاهو القمر، طيفُ أرضنا الظليل،
إنَّه يتعالى بدوره خلسة! وها هو ليلُ الأحلام يُقبلُ
زاخراً بالنُّجوم، وَلَعَلَّهُ لا يَعْبَأُ بنا -
تشرقُ الليلةُ الباهرة، تُشرقُ غريبةً وسطَ البَشَرِ،
تُطلُّ ببهائها حَزِينَةً من أعالي الجبال.

2.

لُطْفُ هذه الليلة المجيدة رائعٌ، ما من أحدٍ
يَعْلَمُ من أينَ أَقْبَلَتْ، أو يعرفُ ما سينشأ عنها.
هكذا تتحكم في العالم، وتُحركُ أرواحَ البشرِ المُفْعَمَةِ بالأملِ:
حتى الحكيمُ لا يعرفُ ما تنوي.
فهذه مَشِيئَةُ الرَّبِّ الأعلى الذي يُغْدِقُ عليك مَحَبَّتَهُ،
ولهذا فأنتِ تُؤثِّرُ النهارَ العاقلَ على اللَّيْلِ الجامِحِ.
لكنَّ العينَ الصَّافِيَةَ ذاتها قد تُحبُّ الظُّلالَ أيضاً،
وتُحاولُ أن تَغفوَ لمجرَّدِ المتعة، قبلَ أن يصيرَ النومُ مَحْتُوماً،

وحتى الشخصُ الشجاع يحب أن يُحدّق مباشرةً في الليل .
لا ريب أن الليلَ جديرٌ بأن يُهدى الأكاليلَ ويُهدى الأناشيدَ ،
فالليلُ مُقدسٌ لدى الموتى ، والليلُ مُقدسٌ لدى المجانين ،
مع أن جوهرَ وجوده ، أبداً ، حريةٌ مُطلقةٌ ،
لكن لا بُدَّ لليل أن يمنحنا النسيانَ ويمحنا السُّكرَ المقدسَ .
كي يكونَ لدينا شيءٌ نعتصمُ به
في فترةِ الحيرةِ تلكَ ، نعتصمُ به في ذلكَ الظلامِ .
لا بُدَّ لليل أن يمنحنا كلماتٍ مُناسبةً ، كلماتٍ تَأرقُ
كما يَأرقُ العشاقُ ، ويمنحنا كأساً مُثرعةً وحياةً أشدَّ جسارةً ،
وymنحنا الذكرى المقدسةَ أيضاً كي نَظُلَّ طوالَ الليلِ سَاهرينَ .

3.

إننا ، مُعلِّمينَ كُنَّا أو مُتعلِّمينَ ، نُخفي عبثاً
ما في أفئدتنا ، ونكبحُ دونَ علّةٍ حماستنا .
فمن يستطيعُ أن يضعَ حداً لحماسنا ، من يستطيعُ من البهجة أن يحرّمنا ؟
نارُ الآلهةِ تدفعنا إلى أن نَنطلقَ في رحلتنا نهاراً

وَتَدْفَعُنَا إِلَى أَنْ نَنْطَلِقَ لَيْلًا. فَهَيَّا، إِذَنْ، نَنْظُرْ إِلَى الْعَرَاءِ،
 وَلْنَسْعَ فِي الْبَحْثِ عَنْ مَا هُوَ لَنَا، مَهْمَا كَانَ بَعِيدًا بَعِيدًا!
 فَهَنَّاكَ يَقِينٌ وَاحِدٌ، هَنَّاكَ يَقِينٌ وَحِيدٌ: ثَمَّةٌ مَعْيَارٌ دَائِمٌ،
 فِي الظَّهْبَةِ أَوْ فِي مُتَنَصِفِ اللَّيْلِ، مَعْيَارٌ نَتَقَاسُمُهُ جَمِيعًا.
 لَكِنْ، لِكُلِّ شَخْصٍ مَنَّا هَبَّةٌ خَاصَّةٌ بِهِ؛
 كُلُّ شَخْصٍ مَنَّا يَذْهَبُ حَيْثُ يَسْتَطِيعُ وَيَأْتِي مِنْ حَيْثُ يَسْتَطِيعُ.
 هَكَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْخَرَ الْجَنُونَ الْعَابِثُ مِنَ السُّخْرِيَةِ ذَاتِهَا،
 إِذْ يَتَنَابَّ الْمُنْشِدِينَ بَغْتَةً فِي اللَّيْلَةِ الْمُقَدَّسَةِ.
 فَلْنَنْطَلِقْ إِذَنْ إِلَى إِسْثْمُوسَ ⁽¹⁾! هَنَّاكَ، حَيْثُ
 الْبَحْرُ الشَّاسِعُ هَادِرٌ عِنْدَ سَفْحِ بَارْنَاثُوسَ ⁽²⁾،
 هَنَّاكَ حَيْثُ الثَّلُوجُ مُشْرِقَةٌ عَلَى أَجْرَافِ دَلْفِي ⁽³⁾
 هَنَّاكَ فِي بِلَادِ الْأُولِبِ، عَلَى قِمَّةِ سِيذَارُون ⁽⁴⁾.
 تَحْتَ أَشْجَارِ الصَّنُوبَرِ، وَسَطَ الْكُرومِ، حَيْثُ تَقْهَقُهُ
 طَيْبَةُ وَتَقْهَقُهُ أَسْمُنُوسَ ⁽⁵⁾ فِي بِلَادِ قُدْمُوسَ .
 فَمِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ يُقْبَلُ الْإِلَهُ الْمُقْتَرَبُ وَإِلَيْهَا يُومَى.

1. Isthmus
 2. Parnassus
 3. Delphi
 4. Cithaeron
 5. Ismenos

أَيُّهَا الْبِلَادُ الْمُقَدَّسَةُ، يَا بِلَادَ الْإِغْرِيقِ! يَا مَوْطِنَ كُلِّ آلِهَةٍ -
 أَصْحِيحْ إِذْنِ، أَصْحِيحْ مَا سَمِعْنَاهُ مَرَّةً حِينَ كُنَّا شُبَّانًا؟
 يَا لَهَا مِنْ رَذَاهُ لِلَاخْتِفَالِ! أَرْضِيَّتُهَا الْمَحِيطُ وَمَوَائِدُهَا الْجِبَالُ -
 شِيدَتْ لَغَرَضٍ وَاحِدٍ فِي سَالِفِ الْعُصُورِ.
 لَكِنْ أَيْنَ الْعُرُوشُ؟ أَيْنَ الْمَعَابِدُ، أَيْنَ الْأَنَاشِيدُ،
 أَيْنَ الْمِزْهَرِيَّاتُ بِالرَّحِيقِ مَلِيئَةٌ كَيْ تَنْتَشِي الْآلِهَةُ؟
 أَيْنَ مَنَازِلُ الْوَحْيِ تَوْمَضُ أَلْقَاً عَلَى بُعْدِ أُمِّيَالٍ وَأُمِّيَالٍ؟
 تَغْفُو دَلْفِي، فَأَيْنَ يَتَرَدَّدُ صَدَى الْقَدَرِ الْجَبَّازِ؟
 أَيْنَ الْقَدَرُ الْهَادِرُ بَغْتَةً مُتْرَعًا بِالْبَهْجَةِ تَعُمُّ كُلَّ مَكَانٍ،
 فِي صَفَاءِ الْفَضَاءِ يُرْعَدُ وَيُبْرِقُ فَتَعْشَى مِنَّا الْعُيُونُ؟
 أَبَانَا! أَيُّهَا الْأَثِيرِيُّ! نَادَى الْقَدَرُ، فَطَارَ النَّدَاءُ آلَافَ الْمَرَّاتِ
 مِنْ لِسَانِ اللَّسَانِ، فَمَا كَانَ هُنَاكَ أَحَدٌ مُلْزَمًا بِأَنْ يَتَحَمَّلَ
 وَحْدَهُ الْحَيَاةَ. قَدَرٌ مُشْتَرِكٌ كَهَذَا بِهَجَّةٍ، بِهَجَّةٍ يَتَبَادَلُهَا الْغُرَبَاءُ،
 بِهَجَّةٍ تَغْدُو مُتَهَلِّلَةً. يَتَعَاطَمُ فِي النَّوْمِ سُلْطَانُ الْكَلَامِ :
 أَيُّهَا الْأَبُ! يَا أَيُّهَا الْبَهِيْجُ! تُدَوِّي الْإِشَارَةُ الْعَتِيقَةُ حَتَّى يَبْلُغَ
 الدَّوْيُ مَدَاهُ، تَتَوَارِثُهَا الْأَجْيَالُ، فَتُشِيرُ الدَّهْشَةُ وَتَبْعُثُ

عَلَى الْخَلْقِ. هَكَذَا تَقْتَحِمُ الْآلَهُةُ الْمَشْهَدَ، هَكَذَا يَبْزُغُ نَهَارُ الْآلَهُةِ
مِنْ عَالَمِ الظَّلَالِ فَيُشْرِقُ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَيَهْزُهُ مِنَ الْأَعْمَاقِ.

.5

فِي الْبَدْءِ، يَقْبَلُ الْآلَهُةُ دُونَ أَنْ يُحَسَّ بِهِمْ أَحَدٌ. يَحَاوِلُ الْأَطْفَالُ
الاقْتِرَابَ مِنْهُمْ. لَكِنَّ عَظَمَتَهُمْ بَاهِرَةٌ تُثِيرُ الرَّهْبَةَ
وَتُغْمِي الْعْيُونَ. ثَمَّةُ نِصْفِ إِلَهٍ يَتَذَكَّرُ بِصُعُوبَةِ أَسْمَاءِ مَنْ
يَقْتَرِبُونَ الْآنَ مِنْهُ وَهُمْ يَحْمِلُونَ إِلَيْهِ الْهَبَاتِ.
لَكِنَّ شَجَاعَتَهُمْ عَظِيمَةٌ. تَغْمُرُ قَلْبَهُ بِهِجَتُهُمْ فَلَا يَكَادُ
يَعْرِفُ مَا يَفْعَلُ بِقَرَابِيِّنِهِمْ. يَشْغَلُ نَفْسَهُ
وَيَغْدُو مُسْرِفًا، فَتَكَادُ الْمَدَنِّسَاتُ تُصِيرُ مُقَدَّسَاتُ.
يَلْمِسُهَا بِيَدِ مُبَارَكَةٍ، يَلْمِسُهَا بِجُنُونٍ عَطُوفٍ.
تَسْمَحُ الْآلَهُةُ بِكُلِّ هَذَا مَا اسْتَطَاعَتْ، ثُمَّ تَظْهَرُ
هِيَ بِذَاتِهَا فِي تَجَلِّيَاتِهَا الْحَقِيقَةِ. فَيَأْلَفُ النَّاسُ
هَذَا الْيُمْنِ، وَيَأْلَفُونَ النَّهَارَ، وَيَأْلَفُونَ الْآلَهُةَ الْمُتَجَلِّيةَ.
وُجُوهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ سَالِفًا «الوَاحِدَ وَالْكُلَّ»

تُسَبِّغُ الطَّمَأْنِينَةَ الْقُصُوى عَلَى كُلِّ فُؤَادٍ صَامِتٍ ، وَتُرْضِي
وَحْدَهَا فَوْراً كُلَّ الشَّهَوَاتِ . هَذَا شَأْنُ الْبَشَرِ . حِينَ يَتَجَلَّى
الْخَيْرُ فِي شَيْءٍ مَا ، وَحَتَّى حِينَ يَتَجَلَّى إِلَهَا يَفْضَلُ عَلَيْهِم بِالْهَبَاتِ ،
لَا يَرَوْنَ الْخَيْرَ وَلَا يُدْرِكُونَهُ . عَلَيْهِمْ أَوَّلًا أَنْ يَأْلَفُوهُ ؛
ثُمَّ يَعْتَبِرُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَحَبَّ مَا يَمْلِكُونَ .
أَنْتِذِ فَقَطْ تَتَنَامَى ، كَمَا تَتَنَامَى الزُّهُورُ ، كَلِمَاتُ الْمَدِيحِ .

.6

وَهَا هُمْ الْآنَ يَسْتَعِدُّونَ بِإِخْلَاصٍ لِتَكْرِيمِ الْآلِهَةِ .
فَلَا بُدَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَنْ يَجْهَرَ بِمَدِيحِهِمْ حَقًّا وَصِدْقًا .
لَا يَنْبَغِي لِأَيِّ شَيْءٍ تَسَاءٌ مِنْهُ الْآلِهَةُ الْمُتَعَالِيَةُ أَنْ يَرَى النُّورَ .
فَالْمَسَاعِي التَّافِهَةُ لَا تَلِيقُ بِالْأَثِيرِ الْمَشْرِقِ .
لِهَذَا تَنْهَضُ الْأُمَمُ فِي نِظَامٍ بَدِيعٍ حَتَّى تَكُونَ
جَدِيرَةً بِالْمَثُولِ أَمَامَ حَضْرَةِ الْآلِهَةِ ،
فَتَنْشَأُ الْمَعَابِدُ وَالْمَدَائِنُ الْجَمِيلَةُ ، تَنْشَأُ مَتِينَةٌ نَبِيلَةٌ ،
عَالِيَةٌ عَلَى الضُّفَافِ مُشْرِفَةٌ عَلَى الْمِيَاهِ . لَكِنْ أَيْنَ هِيَ الْآنَ ؟

أَيْنَ المَدَنُ الْمُتَرْفَةُ الشَّهِيرَةُ تُتَوَّجُ المَهْرَجَانُ؟
أَيْنَا وَطِيبةُ تَتَلَاشِيَان. أَلَيْسَ يُسْمَعُ صَلِيلُ الأَسْلَحَةِ
فِي الأَوْلَبِ، أَلَيْسَ يُسْمَعُ صَخْبُ العَرَبَاتِ فِي الأَلْعَابِ؟
أَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ أَكَالِيلُ تُزَيِّنُ سَفَائِنَ كُورْنِيثُ؟
لِمَاذَا تَظَلُّ المَسَارِخُ المَقْدَّسَةُ العَتِيقَةُ صَامِتَةً؟
أَيْنَ الرَّقَصَاتُ الاِخْتِفَالِيَّةُ البَهِيجَةُ؟
لِمَاذَا لَا يَظْهَرُ الإِلَاهُ - كَمَا عَهْدَنَاهُ - فَيَسِمُ بِعَلَامَتِهِ
جَبِينًا بَشْرِيًّا مَخْلُفًا هُنَاكَ خَاتَمَهُ عَلَى مَنْ يَضَعُوه؟
أَوْ يَحْضُرُ هُوَ نَفْسَهُ مُوَاسِيًّا، مُتَخَذًا - كَمَا اعْتَادَ -
هَيْئَةً بَشَرِيًّا، ثُمَّ يُعْلِنُ، نَاعِيًّا، نِهَآيَةَ أَعْيَادِ الأِلَهِةِ.

.7

لَكُنَّا، يَا صَدِيقِي، وَصَلْنَا مُتَأَخِّرِينَ. صَحِيحٌ أَنَّ الأِلَهِةَ مُوجُودَةٌ،
لَكِنَّهَا تَقْطُنُ هُنَاكَ فِي الأَعَالِي فَوْقَ رُؤُوسِنَا، هُنَاكَ
فِي عَالَمٍ مُخْتَلَفٍ، لَا تَكْفُ هُنَاكَ عَنِ الحَرَكَةِ، وَيَبْدُو أَنَّهَا لَا تَكْتَرِثُ
أَنْ نَحْيَا أَوْ نَمُوتَ، هَكَذَا تُمَعِنُ الأِلَهِةُ فِي تَجَاهُلِنَا .

الوعاء الهش لا يقدر على احتوائها إلى الأبد ؛ والبشر
 لا يقدرُونَ على تحمُّل اكتمال الآلهة إلَّاماً .
 هكذا تصبح الحياة حُلماً يكتظُّ بها . لكنَّ الحيرة تُعيننا
 والنوم يُعيننا : تشتدَّ المِحنةُ ويذلِّهم الليلُ ،
 إلى أن ينشأ في المهدِّ ما يكفي من الأبطال ،
 أبطال ذوي قلوبٍ قويَّةٍ كما كانت قلوبُ الآلهة .
 مُرَّعدين ينهضون . وأرى أنا ، في ذاتِ الوقت ،
 أنَّ النَّوم أجدى من العيشِ دونَ رفاق ، أجدى من أن نُنفقَ أيَّامنا
 مُنتظرين ؛ لست أدري ماذا بوسَّعنا أن نقوله أو نفعله ونحنُ ننتظرُ .
 ما جدوى الشعراءِ في الزَّمنِ الشَّحيح ؟
 لكنَّكَ ستقولُ إنَّهم يُشبِّهون الكهنةَ المقدَّسين ، كهنةَ إلهِ الخمرِ ،
 ينتقلون في اللَّيلة المقدَّسة من بلدٍ إلى بلدٍ .

مُنْذُ زَمَنٍ وَلَّى - وَيَبْدُو لَنَا أَنَّهُ وَلَّى مِنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ -
 صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ كُلُّ أُولَئِكَ الَّذِينَ جَعَلُوا حَيَاتَنَا سَعِيدَةً.
 أَشَاحَ الْأَبُ بَوَجْهَهُ عَنِ الْبَشَرِ،
 فَانْهَالَ الْحَزْنَ عَلَى الْأَرْضِ.
 أَخِيرًا، ظَهَرَ عَبْقَرِيٌّ هَادِيٌّ، يُوَاسِي
 كَمَا تُوَاسِي الْآلِهَةُ، أَعْلَنَ مَوْتَ التَّهَارِ ثُمَّ اخْتَفَى.
 جَوْقَةُ الْآلِهَةِ خَلَفَتْ بَعْضَ الْهَبَّاتِ، تَرَكْتُهَا عَلَامَةً عَلَى أَنَّهَا
 كَانَتْ هُنَا وَأَنَّهَا سَتَعُودُ ثَانِيَةً. وَقَدْ نَعَبَّرُ بِأَسْلُوبِنَا،
 نَحْنُ الْبَشَرُ، كَمَا تَعَوَّدْنَا أَنْ نَفْعَلَ، عَنْ امْتِنَانِنَا لِتِلْكَ الْعَلَامَةِ.
 صَارَ كُلُّ مَا هُوَ سَامٍ أَعْظَمَ مِنَ الْمَتْعَةِ الرُّوحِيَّةِ،
 وَلَمْ يُوجَدْ حَتَّى الْآنَ مِنَ يَقْوَى عَلَى تِلْكَ الْبَهْجَةِ الَّتِي هِيَ
 أَسْمَى، مَعَ أَنَّ بَعْضَ الْامْتِنَانِ لَا يَزَالُ كَامِنًا وَسَطَ الْبَشَرِ.
 الْخُبْزُ ثَمَرَةُ الْأَرْضِ، لَكِنَّ النُّورَ أَيْضًا يُبَارِكُ الْخُبْزَ.
 لَذَّةُ الْخَمْرِ مَصْدَرُهَا الْإِلَهُ الْمُرْعِدُ.
 لِذَلِكَ نَتَذَكَّرُ الْآلِهَةَ، تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ مِنْ قَبْلُ مَعَنَا،
 تِلْكَ الَّتِي سَتَعُودُ حِينَ يَكُونُ الْوَقْتُ مُلَائِمًا.

هَكَذَا يَتَغَنَّى الْمُغَنُّونَ بِآلِهِ الْخَمْرُ، يَتَرْمُونَ مُخْلِصِينَ،
وَلَمْ يَكْ عِبْنَا نَظْمُهُمُ الْمَدَائِحَ الرَّنَّانَةَ فِي الْإِلَهِ الْقَدِيمِ.

.9

أَجَلْ، هَا هُمْ يَقُولُونَ، وَهُمْ مُحَقَّقُونَ، إِنَّهُ يُصَالِحُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ،
وَيُحَرِّكُ نَجْمَ السَّمَاءِ أَبَدًا، مُتَحَكِّمًا فِي أَفْوَلِهَا وَبُزْوَعِهَا -
وَهُوَ دَائِمُ الْفَرَحِ، نَضِرُ كَالْأَغْصَانِ الَّتِي يُحِبُّهَا، نَضِرُ كَأَغْصَانِ
الصَّنوبرِ الْخَضِرَاءِ دَوْمًا، نَضِرُ كَأَكْلِيلِ الزَّهْرِ الَّذِي خَلَعَهُ عَلَى
اللِّبْلَابِ، لَأَنَّ اللَّبْلَابَ لَا يَذْوِي، وَلِأَنَّهُ يُوحِي بِآثَارِ الْإِلَهِ الْهَارِبَةِ،
الْإِلَهِ الَّتِي فَرَّتْ وَغَاصَتْ فِي ظِلَامِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَحْيَوْنَ
فِي غِيَابِهَا. تَأَمَّلُوا بُعْدَ الْأَقْدَمِينَ بِأَنْشُودَةِ ذُرِّيَةِ الرَّبِّ :
انظُرُوا ! هِيَ ذِي ثَمَرَةٍ هَسْطِيرِيَا ! فِي كَيُونِهَا تَذُوبٌ كَيُونُنَا.
إِنَّهَا تَتَحَقَّقُ فِي أَبْنَاءِ الْبَشَرِ تَحَقُّقًا تَامًا مُعْجَزًا؛
فَلْيُؤْمِنِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَحَقَّقُوا مِنَ الْأَمْرِ. لَكِنْ لَا شَيْءَ يُفْلِحُ،
مَعَ أَنَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا تُكْفَى عَنْ الْحُدُوثِ : إِنَّنَا نَظَلُّ شَبِيهِينَ
بِالظَّلَالِ الْجَوْفَاءِ، إِلَى أَنْ يُدْرِكَنَا الْأَبُ الْأَثِيرِيُّ فَيَصِيرُ لَنَا جَمِيعًا

مِلْكَا مُشْتَرَكًا. فِي أَنْتِظَارِ ذَلِكَ، يَنْزِلُ الْإِبْنُ، يَنْزِلُ السُّورِيُّ، يَنْزِلُ
فَيَسِيرُ هُنَا بَيْنَ الظَّلَالِ، حَامِلًا مِشْعَلَ الرَّبِّ الْأَعْلَى.
فَيَا أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ الْمُقَدَّسُونَ، تَأَمَّلُوا؛ هَا هِيَ بِسْمَةُ تُشْرِقُ
مِنَ الرُّوحِ الْحَبِيسَةِ؛ وَهَا هِيَ عَيْنُهَا الْجَامِدَةُ فِي النُّورِ تَذُوبُ.
الْجَابِرَةُ النَّائِمُونَ فِي أَحْضَانِ الْأَرْضِ يَحْلُمُونَ أَحْلَامًا أَنْعَمَ -
وَسَرِيرُوسُ^(١) الْيَقْظَانُ نَفْسُهُ يَشْرَبُ فِيَهْوِي إِلَى قَرَارَةِ الْغَفْوَةِ.

الْعَوْدَةُ إِلَى الْوَطَنِ

إلى أهلي

.1

مَا زَالَ اللَّيْلُ فِي جِبَالِ الْأَلْبِ سَاطِعاً وَالْغَيْمَةُ،
إِذْ تُدَوِّنُ أَنْشُودَةَ بِهِجَةٍ، تُغَطِّي الْوَادِي الْمُتَثَائِبُ.
نَسَمَاتُ الْجِبَلِ اللَّعُوبُ تَنْدَفِعُ وَتَتَوَائِبُ،
وَفَجْأَةً يُومِضُ صَافِياً شُعَاعٌ مِنْ خِلَالِ أَشْجَارِ التَّنُوبِ ثُمَّ يَخْتَفِي،
تَنْدَفِعُ الْفَوْضَى الشَّامِلَةُ مَرْتَعِشَةً فَرَحاً، نَحْوَ الْمَعْرَكَةِ تَنْدَفِعُ عَجَلَى بَطِيئَةً؛
فَتِيَّةُ الْهَيْئَةِ، لَكِنَّهَا جَبَّارَةٌ، تَحْتَفِلُ وَسَطَ الْأَجْرَافِ
بِالْخَصَامِ الْوَدُودِ. تَهْتَاجُ وَتَهْتَزُّ فِي حُدُودِهَا الْأَبَدِيَّةِ،
فَالصَّبْحُ مِنْ بَاطِنِهَا يُقْبَلُ مُسْرِعاً، مُنْتَشِياً، رَاقِصاً.
الْعَامُ هُنَاكَ يُبْدُو بِلَا نِهَايَةٍ، السَّاعَاتُ الْمُقَدَّسَةُ،
وَالْأَيَّامُ، تُخْشَدُ وَتُنْظَمُ بِجُرْأَةٍ أَشَدَّ.
لَكِنَّ طَائِرَ الرَّغْدِ يَضْبُطُ الْوَقْتَ، يَظَلُّ بَيْنَ الْجِبَالِ
فِي الْفَضَاءِ عَالِياً، لِيُعْلَنَ قُدُومَ النَّهَارِ.
الآنَ تَسْتَيْقِظُ الْقَرْيَةُ الصَّغِيرَةُ عِنْدَ السَّفْحِ.

وَلَأُلْفَتِهَا لِلْقَمَمِ تَتَطَلَّعُ بِلا خَوْفٍ إِلَى مَا وَرَاءَ أَعَالِي الْأَشْجَارِ.
تَأْنَسُ الْقَرْيَةُ نُمُوًّا، فَالْجَدَاوِلُ الْعَتِيقَةُ تَسَاقُطُ كَالْبَرْقِ،
وَالْأَرْضُ تُنْجَبُ، تَحْتَ وَطْأَةِ الشَّلَالِ، ضَبَابًا خَافِتًا.
يَتَرَدَّدُ الصَّدَى وَيَثْنِي هَذَا الْوَرْشُ الشَّاسِعُ ذِرَاعَهُ،
مُغْدِقًا هَبَاتِهِ فِي النَّهَارِ وَاللَّيْلِ.

2.

قِمَمُ الْفِضَّةِ تَلْمَعُ صَامِتَةً هُنَاكَ فِي الْأَعَالِي.
وَالثَلْجُ الْمَتَلَالِيُّ مَلِيءٌ بِالْوُرُودِ.
وَفَوْقَ النُّورِ فِي أَعْلَى الْأَعَالِي يَقْطُنُ الرَّبُّ،
طَاهِرًا، مُسْتَمْتِعًا بِلَهْوِ الْأَشْعَةِ الْمُقَدَّسَةِ.
يَقْطُنُ هُنَاكَ فِي هُدُوءِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ: نَيِّرَةٌ، صَافِيَةٌ طُلَعَتْهُ.
وَلَأَنَّهُ مُرْتَاخٌ فِي الْفَضَاءِ الْأَثِيرِي، فَإِنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لَأَنْ يَهْبَ الْحَيَاةَ
وَيُنْشِئَ بَهْجَةً يُنْعِمُ بِهَا عَلَيْنَا. وَرُويْدًا رُويْدًا يُرْسِلُ مُقْتَصِدًا،
إِذْ يَتَذَكَّرُ ضَرُورَةَ الْإِعْتِدَالِ وَيَتَذَكَّرُ حَاجَاتِ الْأَحْيَاءِ،
يُرْسِلُ السَّعَادَةَ الْحَقَّ إِلَى الْمَدَنِ وَيُرْسِلُهَا إِلَى الْبُيُوتِ،

وَيُرْسِلُ الْأَمْطَارَ اللَّطِيفَةَ لِتُثِيرَ التُّرْبَةَ عَلَى عَرَاءِ الْأُزْيَافِ،
وَيُرْسِلُ الْأَنْسَامَ النَّاعِمَةَ، وَالْغَيُومَ الْحَاضِنَةَ، وَمَوَاسِمَ الرَّبِيعِ اللَّطِيفَةَ.
بِيدٍ حَنُونٍ يُحْيِي الْحَزَانِي،
يُعِيدُ، وَهُوَ الْخَالِقُ، خَلَقَ الْمَوَاسِمَ،
يَلْمَسُ قُلُوبَ الْمُسْنِينَ الْهَادِثَةَ وَيُنْعِشُهَا.
عَمِيقاً إِلَى الْقَرَارِ يَمْتَدُّ تَأْثِيرُهُ :
يُلْهِمُ وَيُنِيرُ، تَمَاماً كَمَا يَشَاءُ.
وَالْآنَ تَبْدَأُ الْحَيَاةُ ثَانِيَةً.
يُزْهِرُ اللَّطْفُ كَمَا كَانَ مُزْهِراً مِنْ قَبْلُ،
تَحْضُرُ الرُّوحُ وَتَقْتَرِبُ
وَيَمْلَأُ الْأَجْنَحَةَ طَبْعٌ بِهِيْجٌ.

كَانَ بُوْسُعِي أَنْ أَقُولَ لَهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، فَكُلُّ مَا يَخْطُرُ لِلشَّعْرَاءِ
وَكُلُّ مَا يَتَغَنَّوْنَ بِهِ مُوجَّهٌ إِلَيْهِ وَإِلَى مَلَائِكَتِهِ.

طَلَبْتُ مِنْهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، لِأَجْلِ وَطْنِي،

طَلَبْتُ مِنْهُ الْكَثِيرَ لِكَيْ لَا تَطْلُبَ الرُّوحُ مَا لَيْسَ يُطْلَبُ.

صَلَّيْتُ كَثِيرًا مِنْ أَجْلِكُمْ أَيْضًا، يَا أَبْنَاءَ وَطْنِي، يَا مَنْ لَدَيْكُمْ

مَنْ تَهْتَمُّونَ بِهِ هُنَاكَ دَاخِلَ الْوَطَنِ: يَا مَنْ إِلَيْكُمْ يُعِيدُ الْعُرْفَانَ الْمُقَدَّسَ

الْمَنْفِيِّينَ، يُعِيدُهُمْ مَبْتَسِمًا. وَكَانَتِ الْبُحَيْرَةُ فِي نَفْسِ الْآنِ تُهْزِدُ قَارِبِي،

وَالنُّوتِيُّ يَجْلِسُ هَادئًا وَيَتَغَنَّى مَا دَحَا تِلْكَ الرَّحْلَةَ.

بَعِيدًا عَلَى صَفْحَةِ الْبُحَيْرَةِ كَانَتِ الْأَمْوَاجُ الْجَذَلَى تَجِيْشُ تَحْتَ الْأَشْرَعَةِ،

وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ إِذْ ذَاكَ تَنْهَضُ لَمَاعَةً فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ،

وَأَقْبَلَ مَرَكُبُنَا مِنْ جِبَالِ الْأَلْبِ الظَّلِيلَةِ وَسَيَقَ بِمَهَارَةٍ

لِيَرْسُوَ فِي الْمَرْفَأِ. الشَّاطِئُ دَافِئٌ هُنَا

وَالْوُدَيَانُ الْفَسِيحَةُ وَدُودَةٌ، تُزَيِّنُهَا

الدُّرُوبُ الْجَمِيلَةُ، دُرُوبٌ مُزَخْرَفَةٌ تُشْرِقُ فِي اتِّجَاهِي.

كَانَتِ الْحَدَائِقُ تَمْتَدُّ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، وَالْبَرَاعِمُ تَتَفَتَّحُ، وَأَنَاشِيدُ الطُّيُورِ

تُرَحِّبُ بِالْمَسَافِرِ الشَّارِدِ. بَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ مَالُوفًا؛

حَتَّى الْعَابِرُونَ كَانُوا يَتَبَادَلُونَ التَّحَايَا كَأَنَّهُمْ أَصْدِقَاءُ،
وَكَانَ كُلُّ وَجْهِ يَبْدُو ذَا قَرَابَةٍ.

.4

وَهَا هِيَ حَقًّا أَرْضُ مَوْلِدِكَ، هَا هِيَ تُرْبَةُ بَلَدِكَ .
مَا تَبَحُّثُ عَنْهُ لَمْ يَعُدْ بَعِيداً وَسَوْفَ يَظْهَرُ لِيِلَاقِيكَ .
وَلَيْسَ عَبَثًا أَنْ يَقِفَ هَذَا الْمَسَافِرُ أَمَامَكَ ،
يَا لِنَدَاوِ السَّعِيدَةِ، أَيُّهَا الْمَحَاطَةُ بِالْأَمْوَاجِ الشَّادِيَّةِ، كَأَنَّهُ ابْنُكَ
يَقِفُ عِنْدَ بَوَابِكَ وَيَتَغَنَّى مُتَوَدِّدًا بِمَحَاسِنِكَ .
هَا هِيَ بَوَابَةُ الْأُمَّةِ الْمُرَحَّبَةِ، تَدْعُوكَ . تَدْعُوكَ أَنْ تُسَافَرَ
وَتَمْضِيَ فِي الْأَفُقِ الْوَاعِدِ الْبَعِيدِ حَيْثُ تَتَنَاسَلُ
الْخَوَارِقُ، حَيْثُ يَشْقُ الرَّاينَ طَرِيقَهُ مِثْلَ حَيَوَانٍ أُسْطُورِيِّ
وَيَهْبِطُ، يَهْبِطُ، يَهْبِطُ، يَهْبِطُ نَحْوَ الشُّهُولِ،
لِيَنْحَتَ الْوَادِي الْمُتَهَلِّلَ فِي الصَّخُورِ وَيَعْبِرَ الْجِبَالَ السَّاطِعَةَ
مَاضِيًا نَحْوَ بُحَيْرَةِ كُومُو، أَوْ فِي اتِّجَاهِ الشَّمْسِ الْغَارِبَةِ
نَحْوَ الْبَحْرِ الْوَاسِعِ . لَكِنَّ قَوْسَ الْبَوَابَةِ الْمُقَدَّسِ

يَحُثُّنِي عَلَى مُوَاصَلَةِ رَحْلَةِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْوَطَنِ،
 حَيْثُ الطُّرُقُ لَدَيَّ مَأْلُوفَةٌ،
 لِأَزُورَ الْأَرْيَافَ وَأَزُورَ الْوُدَيَانَ الْبَدِيعَةَ،
 وَدِيَانَ نِكَارَ، وَأَزُورَ الْغَابَاتِ، حَيْثُ تَحْتَشِدُ أَشْجَارُ الزَّانِ،
 وَأَشْجَارُ الْبَتُولِ الصَّامِتَةِ، وَأَشْجَارُ الْبُلُوطِ الشَّبِيهَةِ بِالْآلِهَةِ،
 وَأَزُورُ بُقْعَةَ جَبَلِيَّةَ هُنَاكَ لَا تَزَالُ تَأْسِرُنِي.

.5

الْأَصْدِقَاءُ الْأَعْزَاءُ يَنْتَظِرُونَ هُنَاكَ لِيَسْتَقْبِلُونِي.
 صَوْتُ الْمَدِينَةِ، يَا صَوْتِ أُمِّي!
 هَا أَنْتَ تَجُسُّسُنِي فَتُوقِظُ مَا تَعَلَّمْتُهُ مُنْذُ زَمَنٍ سَحِيقٍ!
 الْحَقُّ أَنَّ الشَّمْسَ وَالْبَهْجَةَ مَعَا يُشْرِقَانِ لِأَجْلِكُمْ،
 أَيُّهَا الْأَعْزَاءُ، وَيُوشِكَانِ أَنْ يَكُونَا فِي عِيُونِكُمْ أَشَدَّ الْقَاءِ.
 أَجَلٌ، لَا تَزَالُ الْأَشْيَاءُ عَلَى حَالِهَا. تَنْمُو وَتَنْضَجُ،
 فَلَيْسَ مِنْ بَيْنِ كَائِنَاتٍ تَحْيَا وَتَعْشَقُ مَنْ يَتَخَلَّى عَنِ الْوَفَاءِ.
 وَأَفْضَلُ الْأُمُورِ أَنَّ هَذَا الْكَنْزَ الرَّاقِدَ تَحْتَ قَوْسِ الْأَمْنِ

المقدس، قَوْسُ قُزَح، كَنْزٌ مَحْفُوظٌ لِلشُّبَّانِ، وَمَحْفُوظٌ لِلشُّيُوخِ.
ها أَنَذَا أَتَكَلَّمُ كَالْأَحْمَقِ. إِنَّهُ مَحْضُ الْفَرَحِ. لَكِنْ، غَدًا،

حِينَ نَخْرُجُ وَنَرَى الْحُقُولَ الْحَيَّةَ،

غَدًا، حِينَ تَزْهَرُ الْأَشْجَارُ فِي أَغْيَادِ الرَّبِّيعِ،

سَأُخَاطِبُكُمْ وَأُشَاطِرُكُمْ آمَالِي، أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ.

لَقَدْ سَمِعْتُ الْكَثِيرَ عَنْ أَبِينَا الْعَظِيمِ، لَكِنِّي لَمْ أَقُلْ

عَنْهُ شَيْئًا. إِنَّهُ هُنَاكَ فِي الْأَعَالِي يُجَدِّدُ الْوَقْتَ الشَّارِدَ،

وَيَبْسُطُ سَطْوَتَهُ عَلَى الْجِبَالِ. قَرِيبًا، سَيَمْنَحُنَا هِبَاتِهِ السَّمَاويةَ،

سَيَدْعُونَا إِلَى بَهْجَةِ النَّشِيدِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْنَا مِنَ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ أَسْرَابًا.

فِيَا أَيُّهَا السَّدَنَةُ، تَعَالَوْا ! يَا مَلَائِكَةَ الْعَامِ، لَا تَتَأَخَّرِي ! وَأَنْتِ،

.6

يَا مَلَائِكَةَ الْبَيْتِ، تَعَالِي ! لَتَمْتَدَّ سُلْطَةُ السَّمَاءِ

وَلَتَسْرَ فِي عُروْقِ الْحَيَاةِ، وَلَتُوْزِعَ الْفَرَحَ

وَلَتُنْعِشَهُ وَلَتُعَزِّزَهُ ! كَيْ تَخْدُمَ الْمَلَائِكَةُ الْجَدَلَى

طَوَالَ الْوَقْتِ طَيِّبَةَ الْبَشَرِ، كَيْ يُكْرَسَ

مِثْلُ هَذَا الْفَرَحِ الَّذِي أَحْسُّ بِهِ الْآنَ،
 حِينَ يَلْتَمِسُ شَمْلُ الْأَخْبَابِ.
 مَنْ أُنَادِي، حِينَ نُبَارِكُ الْوَجْبَةَ،
 وَكَيْفَ أَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ، أَخْبِرْنِي،
 حِينَ نَرْتَاخُ مِنْ تَعَبِ النَّهَارِ؟ هَلْ أُنَادِي الرَّبَّ الْأَعْلَى بِاسْمِهِ؟
 الرَّبُّ لَا يُقْبَلُ التَّطَاوُلَ. وَفَرَحْنَا أَوْهَنُ مَنْ أَنْ يُعَانِقَهُ.
 يَنْبَغِي أَنْ نَظْلَّ صَامَتِينَ أَغْلَبَ الْوَقْتُ،
 فَالْأَسْمَاءُ الْمُقَدَّسَةُ مَفْقُودَةٌ - وَمَعَ أَنَّ الْقُلُوبَ تَخْفِقُ،
 فَإِنَّ الْكَلَامَ يَسْتَعْصِي. لَكِنَّ دَتْدَنَةَ الْأَوْتَارِ
 لَا تَكْفُ عَنْ التَّصَادِي، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَسُرُّ
 الْآلِهَةَ الْمُقْتَرِبَةَ. اغْزِفُوا الْأَنْغَامَ،
 تَخْتَفِ الْهُمُومُ، تَخْتَفِ هُمُومُ تَزْعِجُ أَفْرَاحَنَا
 حِينَ يَغِيبُ النَّعْمُ. بِهِذِهِ الْأُمُورَ، لَا بَغِيرَهَا،
 يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَنِي الْمُنْشِدُونَ - شَاءُوا أَمْ أَبَوْا.

رسالة الشاعر

ضفافُ الغانجِ سَمِعَتْ أناشيدَ إلهِ
البهجةِ الظَّافِرِ، حينَ أَقْبَلَ باخوسُ
من إندوسَ، بعدَ أنْ أخضعَ كلَّ البلادِ،
يُوقِظُ الناسَ من نومهم بالخمرِ المقدَّسةِ.

وأنتَ يا ملاكَ النهارِ، ألنْ تُوقِظهم، ألنْ تُوقِظُ
أولئك الذين لا يزالون نياماً؟ هَبْنَا الشرائعَ،
هَبْنَا الحياةَ، كُنْ، أيها السيّدُ، ظافراً. فلكَ، أنتَ
وحدَكَ، الحقُّ في أنْ تغزوَ مثلما يغزو باخوسُ.

لَسْتُ أَتحدَّثُ عَنْ هَمِّ الإنسانِ و مَهَارَتِهِ، وَهُوَ
أَنْبَلُ مِنَ الوَحْشِ المُفْتَرَسِ، حينَ يَكْدُ في البيتِ
وَتَحْتَ السَّمَاءِ السَّخِيَةِ لِيَكْسِبَ قُوَّتَهُ -
بلْ أعني هُنا شيئاً آخرَ، مُهمّةً عَهدَ بها

إلى عناية الشاعر ومهارته!
فنحن مُكْرَسُونَ لخدمة الأسمى فحسبُ،
لكي يُدركهُ القلبُ المُهيأ، حينَ يُدركهُ،
قريباً وممدوحاً أبداً بمدائح جديدة .

وأنتم أيضاً، يا كلَّ السّماويين، ويا كلَّ المنابع
والضّفافِ والبساتين والتّلال، حيثُ تعجّبنا
في البدءِ حينَ أمسكتم بنا من شعور
نواصينا، فتملّكتنا، من حيثُ لا ندري،

تلك العبقرية السّماوية الخلاقّة،
أذهلت حواسّنا وعقولنا، وتركتنا
منخطفين كأنّ البرقَ صَعَقنا فأصابَ
منا عظاماً كانت لا تزالُ ترتجفُ،

وأنتِ أيتها الأفعالُ القلقةُ في عالمٍ واسعٍ لا يُحدُّ!
أيتها الأيامُ المشؤومة، أيتها الجارفة، فيك يَمْضِي الإلهُ
بهدوءٍ متأملاً، يمضي إلى حيثُ تحمله خيولُ
عملاقة، خيولُ أفقدها الغيظُ الصّوابُ ...

أَيُنْبَغِي أَنْ لَا نَتَحَدَّثَ عَنْكَ، وَحِينَ يَتَرَدَّدُ فِينَا
النَّعْمُ الْمُطْرَبُ، نَعْمُ الْعَامِ الْهَادِي الْمُخْلِصِ،
أَيُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ شَبِيهَاً بِعِزِّهِ طِفْلٌ بِذِيءٍ
تَتَحَكَّمُ فِيهِ النَّزَوَاتُ، كَسَلَانٍ يَعْبَثُ هَازِئاً

بِأَوْتَارِ قِيثَارَةِ الْمُعَلِّمِ الْمُقَدَّسَةِ الطَّاهِرَةِ؟
أَلْأَجَلَ هَذَا، أَيُّهَا الشَّاعِرُ، سَمِعْتَ أَنْبِيَاءَ
الشَّرْقِ الْعِظَامِ، سَمِعْتَ غِنَاءَ الْإِغْرِيْقِ، وَأَخِيراً
سَمِعْتَ الرِّغْدَ الْإِلَهِيَّ يَصْدَعُ؟ أَلْأَجَلَ هَذَا۔

أَلِكُنِّي تَفَرُّضَ عَلَى الرُّوحِ حِرْفَةٍ حَقِيرَةٍ، وَتَسْتَبِقَ
الْحَضْرَةَ الرَّحِيمَةَ، مُسْتَهْزِئاً، وَتُنْكِرَ الْبَسَاطَةَ بِقَسْوَةٍ
لِتَسْوِقَهَا وَتَسْتَعْرِضَهَا أَمَامَ الدَّهْمَاءِ كَمَا يُسْتَعْرِضُ
حَيَوَانٌ أَسِيرٌ مُقَابِلَ قُرُوشٍ مَعْدُودَةٍ؟

إِلَى أَنْ تَصْرُخَ هَذِهِ الرُّوحُ، وَقَدْ اسْتُفْزِزَتْ
حَتَّى اسْتَشَاطَتْ غَيْظاً، إِذْ تَتَذَكَّرُ مَنْشَأَهَا،
وَيُقْبَلُ السَّيِّدُ لِيَرْمِكَ بِسَهَامِهِ الْحَارِقَةِ
وَيَتَرَكُكَ مُنْطَرِحاً عَلَى الْأَرْضِ، رَوْحاً مُطْفَأَةً.

اسْتُغْلِتِ الْأُمُورُ الْإِلَهِيَّةُ لَزَمَنَ طَوِيلٌ،
كَانَتِ الْقُوَى السَّمَاوِيَّةُ تَعْبُثُ بَعِيداً،
وَكَانَتِ النَّعْمُ تُهْدَرُ تَسْلِيَةً،
جِيلٌ مِّنَ الْمُخْتَالِينَ، مُتَطَاوِلٌ، جُحُودٌ،

وَحِينَ يَفْلَحُ الرَّبُّ الْأَجَلَ حُقُولَهُمْ،
يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ ضَوْءَ النَّهَارِ وَيَعْرِفُونَ
الْمُرْعَدَ، الْمَنْظَارُ الْمُقَرَّبُ يَكْشِفُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ،
يُخْصِيهَا وَيُعْطِي الْأَسْمَاءَ نُجُومَ السَّمَاءِ.

لَكِنَّ الْأَبَّ سَيُغْطِي بِاللَّيْلِ الْمُقَدَّسَ
عُيُونَنَا، لَكِنِّي لَا نَفْنَى. فَهُوَ لَا يُحِبُّ
الْإِسْرَافَ الْجَارِفَ. وَالسَّمَاءُ
لَنْ تُخْضَعَ أَبَداً بِالْقُوَّةِ الْغَاشِمَةِ.

وَلَيْسَ الْإِسْرَافُ فِي الْحِكْمَةِ أَيْضاً مُسْتَحَبّاً .
فَالْعِرْفَانُ مَعْرِفَةٌ بِالسَّمَاءِ . لَكِنِّي يَعْسُرُ عَلَى الشَّاعِرِ
أَنْ يَكْتُمَهُ فِي نَفْسِهِ، فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَسْعَى إِلَى
مُعَاشَرَةِ الْآخَرِينَ، لَكِنِّي يُسَاعِدُوهُ عَلَى أَنْ يَفْهَمَ .

لكن، إن كان لا بُدَّ، يَظَلُّ الإنسانُ أمامَ الربِّ
دُونَ وَجَلٍ، فالبراءَةُ تَحْفَظُهُ، وهو ليسَ في حاجةٍ
إلى أسلِحَةٍ ولا إلى حِيلٍ، يَظَلُّ هُناكَ إلى أنْ
يَحْضُرَ غِيابُ الربِّ لِكَي يُنْجِذَهُ.

أَغْنِيَّةٌ تُشَدُّ عِنْدَ سُفُوحِ الْأَلْبِ

أَيُّهَا الْبَرَاءَةُ الْمُقَدَّسَةُ، أَنْتِ الْأَعَزُّ لَدَى الْآلِهَةِ
كَمَا لَدَى الْبَشَرِ، وَأَنْتِ الْأَقْرَبُ إِلَيْهِمْ !
قَدْ تَجَلَّسِينَ فِي الْبَيْتِ أَوْ فِي خَارِجِهِ عِنْدَ
أَقْدَامِ هَذِهِ الْجِبَالِ الْعَتِيقَةِ،

تَمْلُؤُكَ حِكْمَةً أَبَدًا رَاضِيَةً، فَالْمَرْءُ يَعْرِفُ مِنَ الْخَيْرِ
الكَثِيرِ، لَكِنَّهُ غَالِبًا مَا يَتَطَلَّعُ إِلَى السَّمَاءِ مُسْتَغْرِبًا
كَأَنَّهُ حَيَوَانٌ جَامِحٌ؛ لَكِنْ، لَكُمْ تَبْدُوكَ كُلُّ
الْأَشْيَاءِ طَاهِرَةً، أَيُّهَا الظَّاهِرَةُ !

أُنْظِرِي ! الْحَيَوَانُ الْهَائِجُ فِي الْحَقْلِ مَسْرُورٌ
بَأَنْ يَشُقَّ بِكَ وَيَخْدُمَكَ، الْغَابَةُ الصَّامِتَةُ
تُوجِّهُ مَأْثُورَ حِكْمِهَا إِلَيْكَ،
وَالْجِبَالُ تُعَلِّمُكَ

الشرائع المقدسة، وحتى ذلك الذي يُقرر الأب
العظيم الآن أن يُظهره لنا، نحن ذوي الخبرة
الواسعة، أنت وحدك تستطيعين أن تبلغيه
بوضوح إلينا.

أن أكون هكذا مع السماويين وحيداً وأن
تقر عيني في حضرتهم، حين يعبر
الضوء، ويسرع الجدول وتسرع
الريح نحو المكان -

لست أعرف ولا أرغب في شيء أشد نعيماً من هذا،
ما دام الطوفان لا يجرفني بعيداً، كما يجرف أشجار
الصفصاف، فعلي أن أرحل مع الأمواج نائماً،
فأنا أحظى بكامل العناية؛

لكن يسعد بالبقاء في موطنه من يؤوي الإلهي
في قلبه المخلص، وسأسعد أنا بأن أترجمك
وأنشدك، ما استطعت، يا كل
لغات السماء !

الهجرة

سُقُبِيَا الْمُبَارَكَةَ، يَا أُمِّي،
يَا مَنْ تَعْبُرُكِ مِثَالُ الْغُدْرَانِ
كَمَا تَعْبُرُ لَوْ مُبَارِدِيَا، شَقِيقَتِكَ
الْمَنِيرَةَ عِبرَ الطَّرِيقِ،
فِيكَ يَنْمُو مِنَ الْأَشْجَارِ مَا يَكْفِي،
مِنْهَا الْمَرْهَرَةُ حُمْرَةً وَبَيَاضاً،
وَمِنْهَا الدَّاكِنَةُ الَّتِي تَنْمُو بِرِّيَّةً، تَمْلُؤُهَا خُضْرَةٌ عَمِيقَةٌ،
وَجِبَالُ الْأَلْبِ السُّوسِرِيَّةِ الْمَجَاوِرَةِ
تَهْبُكُ الظَّلَالَ؛ فَمَسْكُنُكَ قَرِيبٌ مِنْ
الْمَوْقَدِ، وَفِي ثُخُومِكَ تَسْمَعِينَ
الْيَنَابِيعَ ذَاتَ الْخَرِيرِ.
وَمِنْ أَكْوَابِ الْفَضَّةِ، تَسْكُبُ الْأَيْدِي الطَّاهِرَةُ الْخَمَرَ،
بَيْنَمَا الشَّمْسُ تُذِيبُ بَلُورَ الْجَلِيدِ، وَأَكَالِيلُ
ثَلَجٍ يَجْرُفُهَا
الضَّوْءُ الْمَتَسَارِعُ
تُبَلِّلُ التُّرْبَةَ

بأُضْفَى المِيَاه . هَكَذَا يَتَأَصَّلُ
فِيكَ الْوَلَاءُ لِلْأَصْلِ . مَكَانٌ لِلسَّكَنِ
مِنَ الْمُنْبَعِ قَرِيبٌ يَغْسِرُ هَجْرُهُ .
وَنَسْلُكَ ، الْمَدَنُ الْمُتَاخِمَةُ
لِلْبُحَيْرَاتِ الْوَامِضَةِ ،
جَنْبَ صَفْصَافٍ نِكَارٍ ، جَنْبَ الرَّائِنِ ،
كُلُّهَا تُجْمَعُ عَلَى أَنْ لَا بُقْعَةَ
أَجْدَرُ مِنْكَ بِالْإِقَامَةِ .

لَكَنِّي أَتَوَقُّ لِلْقُوقَازِ !
فَالْيَوْمَ سَمِعْتُ النَّسَمَاتِ تَقُولُ
إِنَّ الشَّعْرَاءَ كَالْعَصَافِيرِ أَحْرَارُ .
وَأُخْبِرْتُ أَيْضاً مِنْذُ عَهْدٍ بَعِيدٍ ،
أُخْبِرْتُ أَنَّ أَسْلَافَنَا ،
قَبِيلَةَ الْجَرْمَانِ ،
انْطَلَقُوا بِهَدْوٍ
يَوْمَ صَيْفٍ
فِي الدَّانُوبِ

بلغُوا البحرَ الأسودَ،
وقابلُوا أطفالَ الشمسِ
الباحثينَ عن الظلِّ.
لأمرِ ما
سُمِّيَ مضيافاً هذا البحرُ.

وإذْ لُحُوا لأوّلَ مرّةٍ، كانَ الآخرونَ
هُمُ الذينَ اقترَبوا؛ افْتَتَنَ قومُنا
فالتحقُّوا بهم تحتَ أشجارِ الزَّيتونِ.
حدَّقَ الفريقُ مِنْهُم في ثيابِ الآخرِ
لكنْ لم يَفْهَم أَيُّ فريقٍ مِنْهُم لِسَانَ الآخرِ.
كانَ القتالُ حُتْمِيًّا، لو لم يَأْتِ
من الأغصانِ نَسِيمٌ مُنْعِشٌ
نَشَرَ - كالمعتاد - البَسَمَاتِ
على الوجوه المحاربةِ؛
تبادلُوا النظرَ لفترةٍ صامتينِ،
ثمَّ مدُّوا أيديهم للمُصافحةِ
فغدَّوا أصدقاءَ. وسُرَّعانَ ما

تبادلُوا الأسلحةَ وتبادلُوا كلَّ
بضائع البيت الثمينة،
تبادلُوا الكلمةَ، فرأى الآباءُ
أنَّ لاشيءَ ينقصُ أغراسَ أولادِهِمْ.
ومن هذه الصَّلَاتِ المقدَّسةِ
نشأ عِرْقُ، أجملُ من
أيِّ نوعٍ بشريٍّ ظهرَ
قبل ذلك أو بعدهُ.
لكن، أين أعثرُ عليكم، يا أقاربي الأعزَّاءُ،
كي نُعيدَ الاحتفالَ بأيِّمانٍ أسلافنا
ونُكرِّمَ ذكراهُم؟
هناك على الشواطئ، تحت أشجارِ
أيونيا، على سهول كايستر،
حيثُ تنعمُ الغرائيقُ في أثير
تحدهُ القممُ اللامعةُ البعيدةُ،
أنتم أيضاً كنتمُ هناك، أيُّها المنعمون!
أو حرثتمُ جزراً تُكلِّلُها الكُرومُ،
تتعالى فيها الأغاني؛ وآخرونَ أقاموا

جَنْبَ تَايَجْتُوسَ، جَنْبَ هِيْمْتُوسَ الْأَسْطُورِيَّ،
وَكَانُوا آخِرَ مَنْ شَرَعَ الْإِرْثَ لِلْأَرَامِلِ ؛
لَكِنْ مِنْ يَنَابِيعِ بَارْنُسُوسَ إِلَى غُذْرَانِ
تَمُولُوسَ اللَّامِعَةِ كَالذَّهَبِ، تَرَدَّدَتْ
تَرْنِيمَةُ خَالِدَةٍ، وَشَبَّ الْحَفِيفُ
فِي الْغَابَاتِ، وَتَنَاعَمَتْ
كُلُّ الْقِيثَارَاتِ
بِلَمْسَةِ رَقِيقَةٍ مِنَ السَّمَاءِ.

يَا أَرْضَ هُوْمِيرُوسَ!
بِجَانِبِ شَجَرَةِ الْكَرْزِ الْقُرْمِزِيَّةِ،
أَوْ قَبْلَ أَنْ تَنْضَجَ فِي الدَّالِيَةِ
ثَمَرَاتُ الْخُوخِ الْغَضَّةِ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا إِلَيَّ، أَوْ حِينَ
تُقْبَلُ الْعَصْفُورَةُ مِنْ بَعِيدٍ، حَامِلَةً أَخْبَاراً لَا حَضَرَ لَهَا،
وَتَبْتَنِي لَهَا فِي جَدَارِي عُشّاً،
فِي مَوْسَمِ الرَّبِيعِ، وَتَحْتَ النُّجُومِ،
أَتَذْكُرُكَ، يَا أَيُونِيَا. لَكِنِّي جِئْتُ لِأُزَوِّدَكَ،
أَيْتُهَا الْجُزْرُ، لِأَنَّ الرِّجَالَ مَوْلَعُونَ بِالتَّجَلِّيَّاتِ،

ولأزورك يا مَشارِعَ الأنهار، وأنتِ يا أروقةَ ثييس،
وأنتِ، أيتها الغاباتُ، وأنتِ أيتها الغيومُ فوق إيدا !

لكنني لا أظنُّ أنني سأقيمُ طويلاً.
مَا أنا هَارِبٌ مِنْهُ بَارِدٌ وَيَصْعَبُ إِرضَاؤُهُ،
هَارِبٌ أَنَا مِنْ سِرٍّ، مِنْ أُمِّي أَنَا هَارِبٌ.
واحِدٌ مِنْ أَبْنَائِهَا، الرَّائِنِ، حَاوِلَ مَرَّةً
أَنْ يَغْتَصِبَ قَلْبَهَا؛ ثُمَّ تَوَارَى فِي الْمَدَى،
مُزْدَرِّى، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ أَيْنَ مَضَى.
لَا أَرْغُبُ فِي أَنْ أَهْجُرَهَا هَكَذَا
وَأَتِي لِمَجَرَّدِ أَنْ أَدْعُو كُنَّ،
يَا أَلطَافَ بِلَادِ الإغْرِيقِ،
يَا بَنَاتِ السَّمَاءِ،
لِتَقْمُنَ، أَيْتُهَا الْجَمِيلَاتُ، بِزِيَارَتِنَا
إِنْ تَكُنِ الرَّحْلَةُ طَوِيلَةً، طَوِيلَةً.

حِينَ تَهْبُ السَّمَاةُ أَغْدَبَ
وَيُطْلِقُ الْفَجْرُ سَهَامَهُ الْعَاشِقَةَ

في مُحيطنا الصَّبُور،
وتُزهِرُ الغِيماتُ الخفيفةُ
فوقَ عُيونِنَا الخَجُولِ،
سَنَسْأَلُكَ كَيْفَ، يا كَارِئُتُوسَ،
حلَلْتَ وَسَطَ الأَجْلاَفِ؟
لكنَّ وَصِيفَاتِ السَّمَاءِ مُعْجِزَةٌ،
وكلُّ الأشياءِ سَلِيلَةُ الآلهَةِ.
حاولُ أَنْ تَبَاغَتْهَا، تَصِرْ حُلَمًا،
حاولُ بِالْغَضَبِ أَنْ تُضَاهِيَهَا،
سيكونُ الْعِقَابُ لَكَ جَزَاءً؛
غالبًا ما تَتَحَقَّقُ الأُمُورُ
حينَ تَكَادُ تُنْسَاهَا.

جَرْمَانِيَا

لَسْتُ أَقْصِدُهُمْ، الْمُنْعَمِينَ، الَّذِينَ كَانُوا فِي مَا مَضَى يَتَجَلَّوْنَ،
لَسْتُ أَقْصِدُ تِلْكَ الصُّوَرَ، صُورَ الْآلِهَةِ فِي الْبِلَادِ الْعَتِيقَةِ،
حَقًّا، رُبَّمَا الْآنَ أَسْتَحْضِرُهُمْ، لَكِنْ، إِذَا كَانَتْ
الْمَحَبَّةُ فِي قَلْبِي تُشَاطِرُكَ الْآنَ الْعَوِيلَ، يَا مِيَاهَ وَطْنِي،
فَمَاذَا يَبْغِي فَوَادِي أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي حِدَادِهِ الْمُقَدَّسِ؟
فَالْبَلَدُ يَمْتَدُّ هُنَاكَ مَفْعَمًا بِالْأَمَالِ،
وَكَالسَّمَاءِ الَّتِي تَدَلَّتْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ الْعَصِيْبَةِ،
تَطْرَحُ عَلَيْنَا سَمَاءُ الْيَوْمِ،
أَيْتَهَا الْأَنْهَارُ التَّوَاقَةُ، ظِلُّ النُّبُوَّةِ .
مَحْفُوفَةٌ بِالْوَعْدِ، وَفِيهَا أَرَى الْوَعِيدَ أَيْضًا،
لَكِنِّي أَبْدَأُ لَنْ أَفَارِقَهَا.
وَلَنْ تَتَقَهَّقَ رُوحِي الْآنَ لَتَلُودَ بِكُمْ،
أَيُّهَا الْغَائِبُونَ، يَا مَنْ أُسْرِفْتُ فِي مَحَبَّتِكُمْ.
وَيُعْتَرِينِي الْخَوْفُ مِنْ أَنْ أَحْدَقَ فِي جَمَالِ جِبَاهِكُمْ،
كَأَنَّهَا مَا تَغَيَّرَتْ، لِأَنَّ فِي إِيقَازِ الْأَمْوَاتِ
هَلَاكًا، وَقَلَمًا يُبَاخُ.

أَيُّهَا الْآلِهَةُ الَّتِي فَرَرْتَ ! وَأَنْتِ أَيْضاً، يَا مَنْ لَا تَزَالِينَ هُنَا،
لَكِنَّكَ مَرَّةً أُخْرَى تَفْرِضِينَ حُضُورَكَ، اسْتَنْفَدْتَ وَقْتِكَ، مَضَتْ
عَهْودُكَ. كَلَّا لَنْ أُنْكِرَ هُنَا أَيَّ شَيْءٍ وَلَنْ أَطْلُبَ أَيَّ فَضْلٍ.
وَحِينَ تَحُلُّ النِّهَايَةَ، وَيَخْبُو ضَوْءُ النَّهَارِ،
سَيَكُونُ الرَّاهِبُ أَوَّلَ مَنْ يُضْرَبُ، لَكِنَّهُ سَيُضْرَبُ بِمَحَبَّةٍ
وَسَتَسِيرُ فِي إِثْرِهِ، إِذْ يَهْبِطُ نَحْوُ الظَّلَامِ، الطَّائِفَةُ وَالْأَيْقُونَةُ
وَالْمَعْبُدُ، وَلَنْ يُشْرِقَ بَعْدَ الْآنَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .
وَهُوَ لَنْ يَكُونَ مِنْذُ الْآنَ إِلَّا مَنْسَاقاً كَمَا تَنْسَاقُ أُسْطُورَتُهُ،
كَمَا يَنْسَاقُ دَخَانُ ذَهَبِيٍّ مُنْبَعَثٍ مِنْ مَحْرَقَةِ جَنَازَةٍ، إِذْ يَنْسَاقُ
وَيَوَاصِلُ طَرِيقَهُ مَشْغُوشَعاً حَوْلَ رُؤُوسِنَا الْمُرْتَابَةِ
دُونَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ مِنَّا مَا يَحْدُثُ لَهُ . سَيُحَسُّ
بِالْأَشْبَاحِ الْمُبْهَمَةِ، أَشْبَاحِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَوْمَماً هُنَا،
أَشْبَاحِ أَوْلَئِكَ الْقُدَمَاءِ الَّتِي تَزُورُ الْأَرْضَ فِي الْآوَنَةِ الْآخِرَةِ.
فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُنْتَظَرُ مَجِيئُهُمْ يَضْطَدُّونَ الْآنَ بَنَاءً،
وَلَنْ يَظَلَّ ذَلِكَ الْجَمْعُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْبَشَرِيَّةِ
الَّتِي حَلَّتْ بِهَا الْأُلُوْهِيَّةُ مُقِيمَةً فِي زُرْقَةِ السَّمَاءِ.

هَـا هُوَ الْحَقْلُ قَدْ اخْضَرَ قُبَيْلَ
أَوَانِ الْعُسْرِ، وَالْقَرَايِينَ الْمُعَدَّةَ لَهُمْ

جاهزةً لِمَأْدُبَةِ النُّذُرِ، ويمتدُّ الوادي مُشْرَعاً
 تمتدُّ الأنهارُ مُشْرَعَةً حولَ جبالِ النُّبوءَةِ،
 كي يُمعنَ رَجُلٌ نظره في الشَّرْقِ ذاتِهِ
 ثمَّ يتأثرَ لذلكَ بتحوّلاتٍ كثيرةٍ.
 لكنَّ مَنْ الأثيرِ تنزَلُ الصُّورَةُ المخلِصَةُ،
 ومنه تهطلُ، بلا حِسَابٍ، كلماتُ الآلهَةِ
 تتردّدُ منْ عُمقِ الأيْكِ أصداؤُها.
 والنَّسرُ القادمُ منْ إندوس يُحلّقُ فوقَ
 قممِ پارناسوسِ المكسوةِ بالثلجِ،
 يحلقُ عالياً فوقَ تلالِ النُّذُرِ في إيطاليا،
 ويبحثُ عن غنيمةٍ زاهيةٍ يقدّمُها للأبِ،
 يُحلّقُ لا كما كانَ منْ قبلُ، فقد اكتملتْ
 في الطَّيرانِ مهارتُهُ، ذلكَ النَّسرُ العَرِيقُ،
 المتشّبي، إذ يحلقُ فوقَ جبالِ الألبِ
 باسطاً في النِّهايةِ جناحيه يشاهدُ مختلفَ البلدانِ.

هي، الراهبةُ، أهدأُ بناتِ الرِّبِّ،
 الولهانةُ بعشقِ الصِّمَمِ في عُمقِ البراءَةِ،

إنها هي التي يَبْحَثُ عنها، هي التي تطلعت
مفتوحة العينين، كأنها لم تُكُنْ تعرفُ العاصفة،
حين قرعتْ حَوْلَ رأسها عاصفةٌ منذرةٌ بالهَلَاكِ؛
بمِصيرٍ أفضلَ تَنَبَّأتِ الطفلةُ،

وفي النهاية انتشر الذهولُ في السَّماءِ
لأنَّ إيمانَ مخلوقٍ واحدٍ يُضاهي إيمانها،
يُضاهي إيمانَ القَوَى المُباركةِ من عليائها؛
لذلك بعثوا الرّسولَ الذي تَعَرَّفَ فوراً عليها،
فطفقَ يتأملُ مُبتَسِماً : أَنْتِ يا مَنْ لا تنكسرين،
عليكِ أن تُجربي كلمةً مختلفة. ثم أعلنَ الفتى
وهو ينظر إلى جرّمانيا:

«أجل، أَنْتِ، أَنْتِ الَّتِي اصْطُفِيتِ
مَنْبِعاً للمحبّةِ كلّها فصرتِ قوياً
لتحملي عبءَ القَدَرِ الميمون،

فأنتِ، أَنْتِ الثملةُ، المختبئةُ في الغاباتِ،
المزهرةُ أفيوناً مُفعماً بعذبِ النُّعاسِ،
ظلمتِ لَزَمَنٍ طويلٍ شاردةٌ ولمْ تلتفتي إليّ،

قبل أن يُحسَّ بكبرياء العذراء من هُنَّ أدنى ،
ويتساءلنَ في استغرابٍ لِمَنُ ومنَ أينَ أنتِ ،
لكنْ، أنتِ نفسكِ لم تكوني تعرفين. لكني لم أخطئ
في تقديركِ، خلصةً، وأنتِ تحلمينَ في الظَّهيرة،
وحينَ رحلتُ تركتُ عُربونَ صداقتي،
تركتُ زهرةَ الثَّغر، وبمحبةٍ تكلمتِ أنتِ.
على أنَّكِ، أيتها المنعمةُ، المنعمةُ، معَ الأنهار أيضاً أرسلتِ
ثروةً من كَلِمَاتٍ ذهبيةٍ، وهما هي تتواصلُ الآنَ
في كُلِّ الأقاليم. فأنتِ ، مثل المقدسة،
منجبةٍ كُلِّ الأشياءِ، مُؤبِّدةِ الهاويةِ، تلكَ
التي يُسمِّيها الرجالُ في عهودٍ أخرى بالمختفيةِ،
يكادُ قلبُكِ الآنَ أن يكونَ مليئاً بالحبِّ وبالحرزِ،
مليئاً بالنبوءاتِ، وبالسَّكينةِ.

ارشُفي، آه، ارشُفي نَسَمَاتِ الصَّبَاخِ،
ارشُفيها إلى أن تنفتحِحي
وتُسمِّي ما تريئه أَمَامَكَ ؛
بعدَ الآنَ لن يَظَلَّ

ما لَمْ يُنْطِقْ سِرّاً،
مَعَ أَنَّهُ ظَلَّ لَزَمَنَ طَوِيلَ كَتُوماً؛
فَالْعَارُ يَلِيقُ بِنَا نَحْنُ الْفَانِينَ،
وَمَنْ الْحِكْمَةُ أَنْ نَتَكَلَّمَ هَكَذَا
عَنِ الْآلِهَةِ فِي غَالِبِ الْأَخْيَانِ.
لَكِنْ حَيْثُ صَارَ الذَّهَبُ أَغْزَرَ مِنْ أَضْفَى
الْيَنَابِيعِ وَصَارَ غَضَبُ السَّمَاءِ مَهِيئاً،
فَلَا بَدَّ مِنْ إِظْهَارِ الْحَقِيقَةِ مَرَّةً
بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
طَوَّقِيهَا الْآنَ ثَلَاثاً،
لَكِنْ دَعِيهَا كَتُومَةً، كَمَا وَجَدْتِهَا،
أَيُّهَا الْعِذْرَاءُ الْبَرِئَةُ.

مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، تَلَفَّظِي بِاسْمِ أُمَّكِ،
يَا ابْنَةَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ. الْمِيَاءُ تَهْدِرُ فَوْقَ الصُّخْرِ،
الْعَوَاصِفُ فِي الْغَابَةِ، وَعِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهَا تُدَوِّي
الْمَخْلُوقَاتُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي مَضَتْ مِنْذُ زَمَنٍ سَحِيقٍ.
لَكُمْ تَغْيِيرُ كُلِّ شَيْءٍ ! وَإِلَى الْيَمِينِ هُنَاكَ تَوْمَضُ

وتتكلّم مخلوقاتٌ لمْ تبلُغنا بعد، تَهْبُ البهجة من بعيدٍ .
لكنْ في مركزِ الزّمنِ،
يُقيم الأثيرُ مع الأرضِ العذراءِ
مُسالماً للمقدّسِ،
وللذكرى، يقطنُ بمسرةٍ
أولئك الذين لا يفتقرون أبداً،
يقطنون في ضيافة أولئك الذين لا يفتقرون أبداً،
وسطَ أعيادِكِ المقدّسة، يا جرّمانيا،
حيثُ أنتِ الراهبةُ العزلاءِ، تُقدّمين المَشورةَ
لمنْ حولك، مُلوكةً وشعوباً.

بَاتْمُوسَ (1803)

الرَّبُّ وَافِرُ النِّعَمِ،
وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ، دُونَ عَوْنٍ، أَنْ يُدْرِكَهُ.
لَكِنَّ الْعِنَايَةَ الْمُنْقِذَةَ مَوْجُودَةً
أَنْتَى وَجَدَ الْهَلَاكَ .
فِي الظَّلَامِ تُقِيمُ النُّسُورُ،
وَأَبْنَاءُ الْأَلْبِ،
غَيْرَ هَيَّابِينَ، يَعْبُرُونَ الْهُوَّةَ
فَوْقَ جُسُورٍ مُهْلَهَلَةِ الْبِنَاءِ .
فَمَا دَامَتْ قِمَمُ الزَّمَانِ
تَتْرَاكُمُ حَوْلَنَا فِي الصَّفَاءِ،
وَمَا دَامَ أَحِبَّاؤُنَا يُقِيمُونَ قُرْبَنَا،
فِي جِبَالٍ مَعْزُولَةٍ يُضْنِيهِمُ التَّوْقُ،
هَبْنَا مِيَاهَا بَرِيئَةً،
هَبْنَا، آهَ أَيُّهَا الْمَخْلُصُ، أَجْنَحَةً
كَيْ نَعْبُرَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَعُودَ.

هَذَا مَا كُنْتُ أَقُولُهُ
حِينَ حَمَلَنِي رَوْحٌ،
بِأَسْرَعِ مِمَّا تَوَقَّعْتُ،
وَأَخَذَنِي مِنْ بَيْتِي إِلَى
أُبْعَدَ مِمَّا تَصَوَّرْتُ.
وإِذْ حَلَّقْتُ،
رَأَيْتُ غَابَاتِ الْوَطَنِ الظَّلِيلَةَ
وَعُذْرَانَهُ التَّوَاقَةَ كَالْبَشَرِ،
رَأَيْتُهَا تَتَلَاشَى فِي الْغَسَقِ،
وَمَا عُدْتُ أَعْرِفُ هَذِهِ الْبِلَادَ،
مَعَ أَنَّنَا طَالَمَا تَأَلَّمْنَا مَعَهَا،
لَكِنَّهَا تَبَدَّتْ لِي فَوْرًا،
غَامِضَةً فِي إِشْرَاقِهَا،
تَبَدَّتْ فِي السَّدِيمِ الْمُذْهَبِ
بِخُطَى الشَّمْسِ،
تَبَدَّتْ عَبْقَةً بِآلَافِ الْمَوَائِدِ،

الآن، تَبَدَّتْ لِي آسِيَا زَهْرَةً مُتَفَتِّحَةً،
وَتَمَلَّكَنِي الْإِنْبِهَارُ فَبَحَثْتُ هُنَاكَ

عَنْ شَيْءٍ قَدْ أَعْرَفُهُ، وَلَئِنِّي لَمْ أَرْ مَنْ قَبْلُ
تِلْكَ الطَّرَقَاتِ الْفَسِيحَةِ حَيْثُ يَنْسَابُ بَاكُتُولُوسُ
عَلَى سَرِيرِهِ الْمُذْهَبِ قَادِمًا مِنْ تُمُولُسْ،
حَيْثُ يَنْتَصِبُ تُورُوسُ وَمِسُوجِيْسُ،
وَالْحَدِيقَةُ مِنْ شَذَا الزَّهْوَرِ تَكَادُ تَكُونُ وَسَنَانَةً ...

أَيَا جَزِيرَةَ الضِّيَاءِ!

فَحِينَ يَخْبُو الصَّيْتُ، وَتَخْبُو الْبَهْجَةُ فِي الْعُيُونِ،
تَسْتَسْلِمُ لِلشَّكِّ مَسَالِكُ أَهْمَلَهَا النَّاسُ فَلَمْ تَعُدْ وَارِفَةً
الظَّلَالِ وَتَفْنَى الْأَشْجَارُ وَالْمَمَالِكُ وَأَرْضُ الْعُيُونِ الْفَتِيَّةُ،
وَيَعْدُو الْقَوِيُّ

مُدْمَرًا وَالْبَرَاءَةُ الْفَطْرِيَّةُ

مِزْقًا. فَمِنْ الرَّبِّ خَالصًا

يَحْضُرُ الضَّمِيرُ وَيَغِيبُ، يَأْتِي الْوَحْيُ، يَدُ الرَّبِّ
مِنْ سَمَاءِ الدَّيْنُونَةِ تَوْمِي ثَرِيَّةً، ثُمَّ تَنْشَأُ لِفَتْرَةٍ
تِلْكَ الشَّرِيعَةُ الْمَكْنُونَةُ، وَيَنْشَأُ الْمَنْصِبُ، وَتُرْفَعُ
الْأَيْدِي، وَتَكْبَحُ الْخَوَاطِرُ الشَّرِيرَةُ الْمُتَنَزِّلَةُ.
فَالرَّبُّ يُبْغِضُ بَشَرَاةَ أَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ

بِكُلِّ شَيْءٍ . لَكِنَّ يَوْحَنَّا ظَلَّ فِي مَوْقِعِهِ طَاهِرًا .
حِينَ أَعْلَنَ شَخْصٌ مَا أَنَّ كَلِمَةَ النُّبُوَّةِ دُنْيَوِيَّةٌ

مِنَ الْأُرْدُنِ وَمِنَ النَّاصِرَةِ
بَعِيداً عَنِ الْبُحَيْرَةِ ، عِنْدَ كَفَرْنَاهُومَ ،
بَعِيداً عَنِ الْجَلِيلِ ، وَنَسَمَاتِ الْجَلِيلِ ، وَعَنْ كُنْعَانَ .
سَأَتَلَكَّا قَلِيلاً ، قَالَ . قَطْرَةً قَطْرَةً
أُرْوِي زَفِيرَ الضِّيَاءِ ، وَكَانَ زَفِيرًا
كَضَارِي الْوُحُوشِ الْمَتْعِطِشَةِ فِي أَيَّامِ
عَمٍّ فِيهَا بِلَادُ سُورِيَا عَوِيلُ الْأَطْفَالِ الْمُغْتَالِينَ ،
كَانُوا يَمُوتُونَ بِلُطْفِ رَبَّانِي مُتَأَصِّلِ ،
وَرَأْسُ الْمَعْمَدَانِ الْمُقْطُوفَةِ مُسْتَقَرَّةٌ فِي الطَّبَقِ ،
وَضَّاحَةٌ كَمُخْطُوطٍ يَرْفُضُ أَنْ يَنْطَمِسَ . أَصْوَاتُ الرَّبِّ
بِالنَّارِ شَبِيهَةٌ . لَكِنَّ الْحِفَاطَ عَلَى الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ
عَسِيرٌ فِي ظِلِّ مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْجَسَامِ .
لَيْسَ هَذَا مَرَعَى . عَلَى الْمَرْءِ
أَنْ يَتَشَبَّثَ بِالْبِدَايَةِ . لَكِنَّ الْأُمُورَ الْآنَ
تَبْدَأُ مِنْ جَدِيدٍ كَمَا بَدَأَتْ مِنْ قَبْلُ .

يُوحَنَّا، الْمَسِيحُ، دَغْنِي أَتَغْنِي بِهَذَا الْآخِرِ
كَمَا أَتَغْنِي بِهَرَقْلَ أَوْ بِالْجَزِيرَةِ،
بِجَزِيرَةٍ تُطَوِّقُهَا أَمْوَاهُ الْمَحِيطِ الْبَارِدَةِ،
تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي حَضَنْتْ بِيْلْيُوسَ وَأَنْقَذَتْهُ،
فَأَنْعَشَتْهُ بَعْدَ صَخْرَاءِ الْأَمْوَاجِ الْوَاسِعَةِ.
لَكِنَّ هَذَا لَنْ يُفِيدَ . لِلْقَدَرِ رَيْنٌ مُخْتَلَفٌ . رَيْنٌ أَرْوَعُ .
رَيْنٌ أَغْنَى وَأَنْسَبُ لِلْغِنَاءِ . يَظَلُّ قَرَارُ الْأُسْطُورَةِ
مُنْذُ ظُهُورِهِ بَعِيدَ الْمَنَالِ . وَلَا تَغْنِ الْآنَ
بِرَحْلَةِ الْفَرَسَانِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَبِهَائِنْرِيشَ شَارِداً
مُتَأَلِّماً فِي كَانُوسَا . لَا تَدْعُ
شَجَاعَتِي تَهْجُرْنِي . لَكِنَّ لَا بُدَّ
أَنْ نُدْرِكَ هَذَا أَوَّلًا . مِنْذُ قُدُومِ الْمَسِيحِ وَالْأَسْمَاءِ
شَبِيهَةً بِنَسِيمِ الصَّبَاحِ . تَصِيرُ أَحْلَامًا . تَقَعُ،
كَالْخَطِيئَةِ، عَلَى الْقَلْبِ، وَقَدْ تَقَتَّلُكَ إِنْ لَمْ تُفْلَحْ

فِي أَنْ تُقَدِّرَهَا، وَتَفْهَمَ .
لَكِنَّ الرَّجُلَ الْيَقْظَ
رَأَى وَجْهَ الرَّبِّ

وَهُوَ يُجَالِسُهُ وَقْتَ الْمَأْذِبَةِ
 رَأَهُ فِي سِرِّ الْكَرَمِ،
 وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ فِي رُوحِهِ الْعَظِيمَةِ،
 حَكَمَ الرَّبُّ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَوْتِ وَبِالْمَحَبَّةِ الْقُضْوَى،
 لِأَنَّهُ لَمْ يُفْلَحْ فِي الْعُثُورِ عَلَى كَلِمَاتِ لِلْحَنَانِ كَافِيَةٍ
 أَوْ عَلَى كَلِمَاتٍ كَافِيَةٍ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْإِثْبَاتِ. لَكِنَّ نُورَهُ
 كَانَ مَوْتًا. فَغَضَبُ الْعَالَمِ لَا يَدُومُ.
 لَقَدْ أَدْرَكَ هَذَا. كُلُّ شَيْءٍ خَيْرٌ. وَعِنْدَئِذٍ مَاتَ.
 لَكِنَّ أَصْفِيَاءَهُ ظَلُّوا يَرَوْنَ هَيْئَةَ الْمُتَنَسِّكِ
 حَتَّى النِّهَايَةِ، يَرَوْنَهَا رَاكِعَةً
 أَمَامَ الرَّبِّ، كَمَا رَكَعَ مُتَأَمِّلًا عَصْرُ
 نَسْوَانٍ بِبَهْجَةِ الْحَقِيقَةِ.

لَكِنَّهُمْ يَحْزَنُونَ الْآنَ
 لِقُدُومِ الْمَسَاءِ. أَنْ تَظَلَّ طَاهِرًا
 فِي مُوَاجَهَةِ قَدَرٍ كَهَذَا يَعْنِي حَيَاةً
 بِقَلْبٍ عُمُرُهُ سَيَكُونُ أَطْوَلَ مِنْ نِصْفِهَا.
 لَكِنَّ ثَمَّةَ كَثِيرٍ مِمَّا يَنْبَغِي تَجَنُّبُهُ.

إِفْرَاطُ الْحُبِّ فِي الْعِبَادَةِ مُهْلِكٌ،
وَعَالِباً مَا يَكُونُ مَا حَقّاً.
لَكِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ لَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ وَجْهِ الرَّبِّ
أَوْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ. فَهَذَا كَانَ فِطْرِيّاً فِيهِمْ
كَالنَّارِ فِي الْحَدِيدِ، وَظِلُّ ذَلِكَ الَّذِي أَحْبَبُوهُ
مَرَّ بِهِمْ كَأَنَّهُ الطَّاعُونُ.
لِهَذَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّوحَ،
فَزُلْزِلَ بَيْتُهُمْ،
عَوَاصِفُ الرَّبِّ عَلَى الْبُعْدِ أَرْعَدَتْ،
تَخْلُقُ النَّاسَ، أَسْنَانُ التَّنِينِ حِينَ....
عَنْ قَدَرٍ مَجِيدٍ ...

ذُكِرَى

تَهْبُ الشَّمَالِيَّةُ مِنَ الشَّرْقِ،
تلك الرِّيحُ الأثيرَةُ لَدَيَّ،
فهي تَعْدُ البَحَّارَةَ
برُوحِ نارِيَّةٍ وبرُحَلَةِ ميمونَةٍ.
لَكِنْ، امْضِ الآنَ، وَحَيَّ
الجَّارُونَ* تَلْحِيْبَ،
حَيَّ حَدَاتِقَ بوزْدُو،
حيثُ تَمْتَدُّ الطَّرِيقُ
جَنْبَ الضَّفَةِ الوَعْرَةِ،
وَيَجْرِي الجَدُولُ لِيَسْتَقَرَّ فِي النَّهْرِ العمِيقِ،
حيثُ يُطَلُّ مِنَ الأَعْلَى
زَوْجٌ فَضِيٌّ نَبِيلٌ مِنْ أَشْجَارِ الحَوْرِ والبُلُوطِ.

أذكرُ جيداً

*.نهر الجارون في مدينة بوزدو .

كَيْفَ تَمِيلُ عَلَى الطَّاحُونَةِ
تَبِجَانُ الدَّرْدَارِ،
وَتَنْمُو فِي الْبَاحَةِ شَجَرَةُ التِّينِ.
فِي الْأَعْيَادِ تَسِيرُ النَّسْوَةُ السُّمُرُ
عَلَى التُّرْبَةِ النَّاعِمَةِ نَعُومَةَ الْحَرِيرِ،
وَفِي آذَارِ،
إِذْ يَتَسَاوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،
تَنْبَعُ الثَّسَمَاتُ الْمُنْعَشَةُ
وَتَنْسَابُ عَبْرَ الدُّرُوبِ الْحَنُونِ،
مُثْقَلَةً بِالْأَحْلَامِ الذَّهَبِيَّةِ.

لَكِنْ هَاتِ
الْكَاسَ الْعَبَقَةَ
الْمُتْرَعَةَ بِالنُّورِ الْمُظْلِمِ،
كَيْ أَرْتَاحَ.
سَيَكُونُ عَذْباً
أَنْ يَنَامَ الْمَرْءُ بَيْنَ الظَّلَالِ.
لَا يَلِيقُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَظْلَ
غَافِلاً عَنْ خَوَاطِرِ الْبَشَرِ.
لَكِنَّ التَّخَاطُبَ أَيْضاً مُسْتَحْسَنٌ.

أَنْ يُعْبَرَ الْمَرْءُ عَنْ كَوَامِنِ الْقَلْبِ،
وَيَسْمَعَ الْكَثِيرَ عَنْ أَيَّامِ الْعِشْقِ،
وعن المآثر التي تُنَجِّزُ.

لَكِنْ، أَيْنَ الْأَصْدِقَاءُ
أَيْنَ بِالْأَرْمَنِ* وَرَفَاقِهِ؟
يَخَافُ الْكَثِيرُونَ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْمَنْبِعِ،
فَالْكَنْزُ يُعْثَرُ عَلَيْهِ أَوَّلًا فِي الْبَحْرِ،
إِنَّهُمْ، مِثْلَ الرِّسَامِينَ، يَلْتَقِطُونَ الْجَمَالَ
مِنَ الْأَرْضِ حَوْلَهُمْ،
وَلَا يَخْتَقِرُونَ الْحَرْبَ الْمُجَنَّحَةَ،
أَوِ الْعِيشَ لِسَنَوَاتٍ مُنْعَزِلِينَ
تَحْتَ السَّارِيَةِ الْمَكْشُوفَةِ -
حَيْثُ لَا تُرَى أَضْوَاءُ حَفَلَاتِ الْمَدِينَةِ
تَوَمِّضُ طَوَالَ اللَّيْلِ،
وَلَا تُسْمَعُ أَصْوَاتُ الْأَوْتَارِ أَوْ أَصْدَاءُ رَقَصَاتِ الْأَهَالِي.

* Bellarmin

الرَّجَالُ الْآنَ رَحَلُوا
إِلَى الْهِنْدِ ...
مَنْ قَمَمَ تَغْصِفُ فِيهَا الرِّيحُ
وَتِلَالُ تَكْسُوها الْكُرُومُ
حَيْثُ يَهْبِطُ الدَّارْدُونُ
فِي رُفْقَةِ الْجَارُونِ الْعَظِيمِ ؛
شَاسِعاً كَالْمُحِيطِ
يَتَدَفَّقُ النَّهْرُ نَحْوَ الْآفَاقِ .
لَكِنَّ الْبَحْرَ يَأْخُذُ الذِّكْرَى وَيَمْنُحُهَا
وَالْحَبُّ بِدَوْرِهِ يَأْسُرُ النَّظْرَاتِ
لَكِنْ مَا يَبْقَى يُؤَسِّسُهُ الشَّعْرَاءُ

إِسْتِر*

تعالِي الآنَ، أَيُّهَا النَّارُ !
فَنَحْنُ نَتَلَهَّفُ
لرؤيةِ النَّهَارِ،
وَحِينَ تَعْبُرُ
المَحَنَةَ الرُّكْبَ
يَسْمَعُ المرءُ الصَّيْحَاتِ فِي الغَابَةِ .
لَكُنَّا مِنْ إندوسَ جُنَّا نُعْنِي،
قَدِمْنَا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ،
مِنْ أَلْفِيوسَ، وَسَافَرْنَا طَوِيلًا
بَحْثًا عَنِ اللَّائِقِ .
وَلَيْسَ بِغَيْرِ الأَجْنَحَةِ يَسْتَطِيعُ المرءُ
أَنْ يَمْتَدَّ لِيَلْمَسَ الأَقْرَبَ
فِيلْبَغِ الجِهَةِ الأُخْرَى .
لَكُنَّا نَرْغَبُ أَنْ نَبْنِي هُنَا .
فَالْأَنْهَارُ تَجْعَلُ الأَرْضَ

* Der Ister الاسم القديم لنهر الدانوب .

صالحه للزراعة . وحيث تنمو الأعشاب
ويتجمع الحيوان في الصيف
حول المورد -
هناك أيضاً سيتجمع البشر .

هذا النهر يُسمى إستر،
إنه نهر في الجمال مُقيم . أعمدة الأوراق
تتوهج وترتعش . تنتصب في الغابة
وتتساند؛ وفوقها،
تبرز من حافة الصخور كتلة أخرى .
ولهذا لست أستغرب
أن يكون هذا النهر
قد اجتذب هرقل ،
وهو يلتمع من بعيد، في السفح جنب أولمپوس،
بعد أن غادر قيظ إشموس،
باحثاً عن ظل،
فمع أن الأرواح هناك كانت على شجاعة عظمى،
فإنها كانت أيضاً في حاجة إلى طقس منعش .

لذلك أثر البطل أن يسافر
إلى هذه الينابيع وهذه الضفاف الصفراء
المتضوِّعة عطراً، هذه الضفاف التي تكسوها
بالسواد أشجار التثوب، وإلى هذه الوديان
التي يحب الصيادون أن يشرّدوا فيها
في الظهيرة، حين يكون بوسعك
أن تسمع نموّ أشجار الصمغ في إستر

هذا النهر الذي يبدو لي
متدفّقاً نحو الخلف
أرجّح أنه
قادم من الشرق.
عن هذا يمكن أن يقال الكثير.
ولماذا يظلّ مُتشبّهاً بهذه
الجبال الشاهقة الانحدار. الآخر،
الراين، كان يتدفّق مائلاً.
لأمر ما تجري الأنهار
عبر الأراضي الخافتة. لكن، كيف؟ كلُّ ما نحتاجه

علامةٌ، مجردُ علامةٍ، علامةٌ تُذَكِّرُ
بالشمس والقمر، علامةٌ لا تنقسمُ،
تمضي في طريقها ليلاً ونهاراً،
ستشعرُ الآلهةُ بعضها بدفءِ بعضٍ.
ولهذا كانتِ الأنهارُ
بَهْجَةً القدير. أنى له بدونها
أن ينزل؟ والأنهارُ، مثل هرثا⁽¹⁾ الخضراءِ،
أبناء السماء. لكنَّ هذا النهرَ
يُثيرني فيه إسرافُهُ في الهدوءِ،
يكاد يكونُ طليقاً، يكاد يكونُ مثيراً للضحك. فحينَ

يأتي يومٌ
يبدأ فيه نموه، يكونُ الآخرُ قد وصلَ،
يسوقُ سناءً عالياً، ويقضمُ
كالْمُهْرَةِ الشَّكِيمَةِ، فتسمعُ
الأنسامُ الصريرَ عن بُعْدٍ،
لكنَّ هذا يرقدُ راضياً.

١. Hertha. حسب تاكيتوس Tacitus، الوطن الأم لقدماء الجرمان .

على أنَّ الصخرَ في حاجةٍ إلى أن يُشَقَّ،
والأرضُ في حاجةٍ إلى أن تُفْلَحَ،
لأَعمارٍ إن لم يتباطأ؛
لكن لا أحدٌ يذري
مَا ينوي أن يفعلَهُ النهرُ.

نِيمُوزِينِي*

الثَّمارُ يانعةٌ، في النَّارِ غُمِسَتْ،
وعلى الأَرْضِ طُبِخَتْ ثُمَّ ذِيْقَتْ . ثَمَّةَ قَانُونُ
يَقْتَضِي أَنْ تَزْحَفَ الْأَشْيَاءُ كَمَا تَزْحَفُ الْحَيَّاتُ،
أَنْ تَزْحَفَ مُتَنَبِّئَةً، حَالِمَةً عَلَى تِلَالِ الْجَنَانِ.
وِثْمَةَ الْكَثِيرِ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُسْتَبْقَى،
كَمَا يُسْتَبْقَى عَلَى الْكَتْفَيْنِ حِمْلٌ مِنَ الْحَطَبِ.
لَكِنَّ الْمَسَالِكَ خَطِيرَةٌ.
العناصرُ المأسورةُ وقوانينُ الأرضِ العتيقةُ
تَجْمَعُ كَالْخِيُولِ فَتَجْنَحُ عَنِ الطَّرِيقِ. ثَمَّةَ تَشَوُّقُ
دَائِمٌ إِلَى كُلِّ مَا هُوَ مُنْطَلِقٌ . لَكِنَّ الْكَثِيرَ يَنْبَغِي
أَنْ يُسْتَبْقَى . وَالْوَلَاءُ مَطْلُوبٌ .
عَلَيْنَا أَلَّا نَنْظُرَ إِلَى الْأَمَامِ أَوْ إِلَى الْخَلْفِ .
يَنْبَغِي أَنْ نَسْمَحَ لِنُفْسِنَا بِأَنْ تُوَضَعَ فِي الْمَهْدِ
فَنُحَسَّ كَأَنَّا عَلَى قَارِبٍ يَتَرَنَّحُ فَوْقَ بُحِيرَةٍ.

* Mnemosyne .

لَكُنْ مَاذَا عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَعْشَقُهَا؟
إِنَّا نَرَى الشَّمْسَ تَشْرُقُ عَلَى الْأَرْضِ، وَنَرَى الْغُبَارَ جَافًّا،
وَنَرَى الْغَابَاتِ فِي بِلَدِنَا دَاكِنَةً تَكْتَنِفُهَا الظُّلَالُ،
وَالدُّخَانَ يَنْبَعُثُ مُزْهِرًا مِنَ السُّطُوحِ،
يَتَعَالَى سَاكِنًا قُرْبَ الْقِلَاعِ الْمُتَوَجِّهِ.
طَيِّبَةُ هَذِهِ التَّجَلِّيَّاتُ، تَجَلِّيَّاتُ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ،
حَتَّى حِينَ يُؤْذِي الرُّوحَ
شَيْءٌ سَمَاوِيٌّ.

فَالثَّلْجُ فِي جِبَالِ الْأَلْبِ يَتَلَأَلُ عَلَى الْمُرُوجِ،
عَلَى هَذِهِ الْمُرُوجِ الَّتِي تَكَادُ تَغْطِيهَا خُضْرَةٌ
تُوحِي أَبَدًا بِكَرَمِ الرُّوحِ. هُنَا يَتَلَأَلُ الثَّلْجُ كَزُهُورِ آيَّارٍ -
الْمُتَجَوِّلِ الشَّارِدُ عَلَى الْمُرْتَفَعِ هُنَاكَ يَسِيرُ فِي طَرِيقٍ عَالِيَةٍ،
وَيَتَحَدَّثُ مُهْتَاجًا إِلَى صَدِيقٍ، يُحَدِّثُهُ عَنْ صَلَيبٍ
رَأَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، رَأَاهُ مَنْصُوبًا لِأَجْلِ شَخْصٍ
قَضَى وَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ... مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ الصَّلِيبُ؟

الْعَزِيزُ آخِيلُ
مَاتَ قُرْبَ شَجَرَةِ النَّيْنِ،

أَمَّا أَيَاكُسُ فَيَزُقُّدُ فِي كُهُوفِ الْبَحْرِ
قَرِيباً مِنْ يَنَابِيعِ سَكْمَانْدَرُوسِ -
أَيَاكُسُ الْعَظِيمُ مَاتَ فِي الْغُرْبَةِ، بَعِيداً عَنِ الْوَطَنِ،
مَاتَ مَشْمُولاً بِالرِّيَّاحِ الْهَادِرَةِ، رِيَّاحِ
سَلَامِيسِ - لَكِنَّ بَاتِرْ كُلُوسَ
مَاتَ فِي دِرْعِ الْمَلِكِ .
وَكَذَلِكَ مَاتَ كَثِيرُونَ غَيْرُهُمْ .
لَكِنَّ الْوُذُورِي، مَدِينَةَ
نِيمُوزِينِي، كَانَتْ فِي مَا مَضَى
قَائِمَةً عَلَى قِمَّةٍ كِيزَرُونَ . وَكَانَتْ فِي الْمَسَاءِ
تُرْسِلُ شَعْرَهَا، بَعْدَ أَنْ يَخْلَعَ
الْإِلَهُ عِبَاءَتَهُ .
فَالْإِلَهَةُ تَكُونُ مُسْتَاءَةً
إِنْ لَمْ يُبَدِ الشَّخْصُ رِبَاطَةَ جَاشِ
يُنْقِذُ بِهَا نَفْسَهُ .
فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ لَا يَبْدُو جَزُوعاً،
حَتَّى لَا يَظَلَّ الْحُزْنَ فِيهِ يُقِيمُ .

[كَمَا تَشْرُدُ الطُّيُورُ]

كَمَا تَشْرُدُ الطُّيُورُ، يُوجِّهُ نَظْرَتَهُ إِلَى الْأَمَامِ،
إِنَّهُ الْأَمِيرُ، يُحَسِّنُ كُلَّ لِقَاءِ نَسَمَةٍ
تُنْعَشُ صَدْرُهُ، حِينَ يُخَيِّمُ الصَّوْتُ حَوْلَهُ،
وَهُوَ فِي أَعَالِي الْقَضَاءِ،
لَكِنَّ أَمْلَاكَه الْفَسِيحَةَ تَمْتَدُّ سَاطِعَةً
تَحْتَهُ، وَالصَّغَارُ بِجَانِبِهِ
يَتَلَهَّفُونَ عَلَى أَوْلَى غَنَائِمِهِمْ،
وَبِخَفَقَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ
يُعِيدُهُمْ إِلَى الْإِقَاعِ.

[مَثَلُ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ]

مَثَلُ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ، حِينَ تَبْدَأُ
الْأَلِهَةُ الْبِنَاءَ، وَالسَّنَاءُ
يَدْنُو مُبْحَرًا فَوْقَ السَّنَا،
أَنْجَزَتْ هَذَا أَمْوَاجٌ لَا تُحْصَى، وَهِيَ الْأَرْضُ،
فِي تَمَامِ زِينَتِهَا، تَسْتَقْبِلُ رَسُولَ إِلَهٍ الْبَهْجَةِ
الَّذِي يَفْرُضُ التَّنَاعُمَ عَلَى كُلِّ الْأَشْيَاءِ،
هَكَذَا يُلْهِمُ إِلَهُ الْخَمْرِ الْغِنَاءَ، يُلْهِمُهُ نُبُوءَةٌ،
وَيَطْرَحُ حَيْبُ
الْإِغْرِيقِ
سَلِيلَةَ الْبَحْرِ الْحَسَاءِ،
يَطْرَحُهَا عِنْدَ الشَّاطِئِ كَنْزًا.

[حينَ يَخْرُجُ نُسْغُ الْكَرْمَةِ]

حينَ يَخْرُجُ نُسْغُ الْكَرْمَةِ،
هذه النَّبْتَةُ الرَّدِيعَةُ، وَيَبْحَثُ عَنِ الظِّلِّ
وَيَنْمُو الْعَنْبُ تَحْتَ قَبْرِ
الأوراقِ الباردِ،
يَجِدُهُ الرِّجَالُ مَضْرَبَ قُوَّةٍ،
وَتَحِسُّ الصَّبَايَا وَالنَّحْلَاتُ
عِطْرَهُ
حينَ تُثِيرُهُنَّ - إِذْ يُسْكِرُهُنَّ
شَذَى الرَّبِيعِ - رُوحُ الشَّمْسِ،
فَيَشْرُدْنَ فِي مُطَارِدَتِهَا، لَكِنْ حِينَ
يَسْفَعُهُنَّ مِنْ أَشْعَتِهَا شُعَاعٌ، يَتَرَجَعْنَ
صَاحِبَاتٍ، مُتَرَعَاتٍ بِالْهَوَاجِسِ
وَفَوْقَهُنَّ
تَضَدُّحُ السَّنْدِيَانَةُ بِالْحَفِيفِ.

[أَتُظَنُّ أَنَّ ...]

أَتُظَنُّ أَنَّ

الأمورَ ستمُضِي
كما مضَتْ مَنْ قَبْلُ؟ أَرَادُوا أَنْ يُنْشِئُوا
مَمْلَكَةً لِلْفُنُونِ . لَكِنَّهُمْ، وَهُمْ يُنْشِئُونَهَا،
أَهْمَلُوا مَا كَانَ أَصْلِيًّا
لَدِينِهِمْ، فَانْهَارَتْ بِلَادُ الْإِغْرِيْقِ، وَكَانَتْ
أَجْمَلُ الْبُلْدَانِ، انْهِيَارًا يَدْعُو إِلَى الْإِشْفَاقِ .
الْوَضْعُ يَقِينًا
يَخْتَلِفُ الْآنَ .
فَالْأَتْقِيَاءُ يَنْبَغِي فَعْلًا أَنْ . . .

وَسَيَكُونُ كُلُّ يَوْمٍ

عِيدًا .

الْمُعَلِّمُ الْمُحْتَرَمُ

لَا يَنْبَغِي إِذْنُ أَنْ . . .

وكما تُعيق ماساتُ

نَقَشَتْها في النَّوافذِ

أَصَابَعي العاطلةُ

كذلك كان الدَّيْرُ

لي مُعِيناً.

النَّسْر

كَانَ أَبِي يَحُومُ حَوْلَ جُوثَهَارْدُ
حَيْثُ الْأَنْهَارُ تَغُوصُ
جَانِحَةً نَحْوِ إِتْرُوزِيَا
وَتَتَدَفَّقُ دُونَ انْقِطَاعٍ
فَوْقَ الثَّلَجِ
نَحْوِ أُولِيمُوسَ وَهَائِمُوسَ
حَيْثُ يَطْرَحُ آثُوسُ الظَّلَالَ عَلَى
الْمَعَارَاتِ فِي لِمُنُوسَ.
لَكِنْ، فِي الْبَدَايَةِ،
صَعَدَ أَبَوَايَ
مِنْ غَابَاتِ
إِنْدُوسَ الضَّوَّاعَةِ.
وَحَلَّقَ فَوْقَ الْبَحْرِ
أَسْلَافُنَا الْأَوَائِلُ،
ثَاقِبَةً كَانَتْ أَفْكَارُهُمْ،
وَتَعَجَّبَ رَأْسُ الْمَلِكِ الذَّهَبِيِّ

من سِرِّ المِياهِ
إِذْ أُرْسِلَتِ الغُيومُ الحُمْراءُ
بُخاراً فَوْقَ السَّفِينَةِ وتبادلَتِ
الحِیواناتُ نظراتٍ بليدةً،
وهي تُفَكِّرُ في الطَّعامِ،
لكنَّ الجبالَ كانت ساكنةً،
أَيْنَ نُعَشِّشُ؟
أَيُّ

الصخر يقرنُ بالمرعى،
والجفافُ يقرنُ بالشرابِ.
لكنَّ الأَطْعَمَةَ الصَّلبةَ تَقْتَضِي شَراباً يَهْضُمُهَا.
إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَقِرَّ،
فَلتَسْتَقِرَّ بِجَانِبِ الدَّرَجِ،
وحيثُ يُشْرِفُ على النهرِ
كوخٌ، اقْضِ أَيَّامَكَ.
ما تَمْلِكُهُ هو
أَنْ تَتَنَفَّسَ.
ما تُشِيرُهُ في النَّهارِ،

اكتشفهُ ثانيةً

في النَّومِ.

حيثُ العُيونُ معصوبةٌ

والأقدامُ مغلولَةٌ،

ستجدُهُ هناكُ.

تِينِيَان *

مُمتِعٌ أَنْ تَشْرُدِي
عَبْرَ الْقَفَارِ الْمُقَدَّسَةِ،

أَيْتُهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ، وَعِنْدَ حَلَمَاتِ الذَّبَّةِ،
مِياهُ تَتَلَوَّى
عَبْرَ بِلَادِي
مُتَّجِهَةً نَحْوِي،

هَائِجَةً فِي مَا مَضَى
لَكِنَّهَا الْآنَ أَلِفْتُ أَنْ تُحَضِّنَ كَمَا يَأْلَفُ ذَلِكَ الْيَتَامَى
فِي الرَّبِيعِ، حِينَ تَعُودُ
الْأُجُنْحَةُ الْغَرِيبَةُ إِلَى عُمُقِ الْغَابَاتِ الدَّافِئِ
فَتَجِدُ الرَّاحَةَ فِي الْعُزْلَةِ،
وَوَسْطَ الصَّفْصَافِ
الْعَاطِرِ

*. Tinian جزيرة في جنوب المحيط الهادي.

يَجْتَمِعُ النَّحْلُ

بالفرَاشات،
وجِبَالُكَ، جِبَالُ الألب التي

فَصَلَّهَا الرَّبُّ،

جُزْءٌ مِنَ الْعَالَمِ،

مَعَ أَنَّهَا تَتَعَالَى

مُدَجَّجَةً،

وَأَنْ تَتَجَوَّلَ بِمَشِيَّتِكَ، أَبَدِيًّا

فَالْآلِهَةُ

التي تَتَأَلَّقُ نَحُونَا كَالصَّقُورِ،

قَدْ حَكَمْتَ،

بَأَنَّ حِلْيَةَ كَهْذِهِ سَتَكُونُ وَحْمَةً عَلَى أَجْسَادِنَا،

كما على أجساد سائقي العربات أو مُصارعي الأسود،
لِتُثَبِّتَ أُبُوءَ هَذَا الطِّفْلِ الْمُسَمَّى بِالْغَرْبِ؛

ثمة زهورٌ

لا تُنَجِّبُهَا الْأَرْضُ، زهورٌ تنشأُ

بِمَحْضِ إِرَادَتِهَا عَنْ تُرْبَةٍ رُخْوَةٍ،

ظِلُّ النَّهَارِ، لَيْسَ مِنَ اللَّائِقِ

قَطْفُ هَذِهِ الْوُرُودِ،

فَهِىَ تَنْتَصِبُ ذَهَبِيَّةً،

فِطْرِيَّةً،

دُونَ أَوْرَاقٍ،

مِثْلَ الْخَوَاطِرِ.

[لكن حين يفرغُ الآلهة ...]

لكن حين تفرغُ الآلهةُ
من البناء، يُخَيِّمُ الصَّمْتُ على
الأرض، وتنتصبُ الجبالُ
بأشكالٍ أنيقة، ملامحُها
مُتقنة . فعندما نأفَسَ
المُرْعَدُ ابنته،
صَعَقَهُمَا شُعَاعُ
الرَّبِّ المُرْتَعِشُ،
ويَنزِلُ العِطْرُ
بِخُفْوَتِ الصَّوْضَاءِ .
حيثُ يَكْمَنُ يالْبَاطِنُ، يُلَطِّفُ، هنا
وهناك النارَ .
فالْمُرْعَدُ يُمِطِرُ
البهجةَ ويكادُ
في غَضَبِهِ

أَنْ يَنْسَى السَّمَاءَ ، لَوْلَا
الْحِكْمَةُ الَّتِي أَنْذَرْتَهُ.
لَكُنْ حَتَّى الْأَمَاكُنِ الْفَقِيرَةُ
تُزْهِرُ الْآنَ.
وَسَتَنْهَضُ
جَلِيلَةً .

جَبَلٌ يُشْرِفُ عَلَى بُحِيرَةٍ ،
دَافِئَةٌ عَمِيقَةٌ لَكِنَّ النَّسَائِمَ تُنْعَشُ
الْجُزُرَ وَأَشْبَاهَ الْخُزُرِ ،
الْمَغَارَاتُ هُنَاكَ لِلصَّلَاةِ ،

دِرْعٌ مُتَلَالِيٌّ
وَرَشِيقٌ ، كَالْوُرُودِ

أَوْ يَبْتَدِعُ
أَسَالِيبَ أُخْرَى ،
لَكِنَّ تَبَرُّعَ
الْأَغْشَابِ

الضَّارَّةِ الحَاقِدةِ، الخَادِعةِ حِينَ تَنُمُو
سَرِيعَةً فَتَصِيرُ فِضَّةً،
فَلِلْخَالِقِ حِيلٌ
لَا تُفْهَمُ . تَتَشَبَّثُ
وَتَمْتَدُّ فِي عُنْفٍ مُفْرِطٍ . وَكَالنَّارِ
تُحْرِقُ الْبُيُوتَ ، تَنْدَفِعُ ،
بِلَا رَافَةِ ، لَا يَنْجُو مِنْهَا
مَكَانٌ ، تَغْمُرُ الدُّرُوبَ ،
تَغْلِي فِي كُلِّ مَكَانٍ ، غَيْمَةٌ تَنْطُوي عَلَى نَارٍ
قَفَرٌ لَيْسَتْ لَهُ نَهَايَةٌ .
تَسْعَى إِلَى أَنْ تُضِلَّ فَتُخَسِبَ تَجَلِّيًّا
إِلَهِيًّا . لَكِنَّ الضَّلَالَ أَعْمَى يَتَخَبَّطُ
عَبْرَ الْحَدِيقَةِ ، رَهِيْبًا ،
غَيْرَ مَضِيافٍ ، فَلَا رَجُلَ
نَظِيفَ الْيَدَيْنِ
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجِدَ مَنَفَذًا . يَتَقَدَّمُ
مَسُوقًا كَالدَّابَّةِ بِحُشَا عَنْ
الْمُؤْنِ . مَعَ أَنَّ الْمَرْءَ ، بِسَلَاحِهِ

وهو أجسه، قد يبلغ
الهدف. فحيثما
تفرض الآلهة الحواجز والعلامات
لتدلل على دروبها،
أو تحتاج بركة تغسل فيها،
تخفق كالنار
قلوب البشر.

لكن الأب كان معه آخرون
بجانبه.
ف فوق جبال الألب
حيث ينبغي على الشعراء
أن يعتمدوا على السر. لكي لا يكون
لتأويلاتهم الغاضبة معنى خاص بهم،
ولأنهم يقيمون فوق مجال
تحليق الطيور، حول عرش
إله البهجة
الذي يخفون عنه

الهاوية، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ النَّبِيِّينَ،
فِي عُصُورِ التَّمَزُّقِ،
يَسْتَقِرُّونَ، كَالنَّارِ الصَّفْرَاءِ،
بَعِيداً عَنِ أَنْظَارِ الْبَشَرِ، يَغْبِطُهُمْ أَوْلَئِكَ
الَّذِينَ يَعْشَقُونَ الرَّهْبَةَ: أَشْبَاحُ الْجَحِيمِ،

لَكِنَّهُمْ كَانُوا مَسُوقِينَ،
قَدَرٌ خَالِصٌ
يَنْفَتِحُ مِنْ
الْأَلْوَاكِ الْمَقْدَّسَةِ، أَلْوَاكِ الْأَرْضِ
هَرَقْلُ الْمُطَهَّرُ
الَّذِي ظَلَّ إِلَى الْآنَ
مَعَ إِلَهِ طَاهِرًا، وَتَوَآمَى زَيْتُوسَ
يَصْعَدَانِ وَيَنْزِلَانِ
سَلَالِمَ لَا سَبِيلَ إِلَى بُلُوغِهَا
بَيْنَمَا تَتَرَاوَعُ الْجِبَالُ عَنِ الْحِصْنِ الْإِلَهِيِّ
فِي اللَّيْلِ، وَوَلَّى
عَصْرُ فَيُثَاغُوزُنْ

فيلوكتيتيس يُقيمُ في الذّاكرة.

مَضَوْا إِلَيْتَمِسُوا عَوْنَ الْأَبِ
لأنَّهُمْ يَرِغِبُونَ فِي الرَّاحَةِ. لَكِنَّ
أَفْعَالَ الْأَرْضِ الْعَقِيمَةَ تَسْتَفِزُّهُمْ
وَتَسْلُبُ الْإِلَهَةَ
الْحَوَاسَّ

أَنْثَذِ يُقْبِلُونَ
وَيُحْرِقُونَ هَؤُلَاءِ الْأَمْوَاتَ

فَالْإِلَهَةُ
تُبْغِضُ
النُّمُوَّ قَبْلَ الْأَوَانِ.

[على الورقة الشاحبة]

على الورقة الشاحبة يستقرُّ
العنب - أمل الخمر - كما يستقرُّ
على الخدّ الذهب المدلى
من أذن هذه الفتاة الغضة.

وعليّ أنا أن أظلّ عازباً،
لكنّ مآل العجل
أن يتخبّط في القيدِ
الذي يُكسِّره .

كَادُحٌ

لَكِنَّ نَائِرَ الْبُذُورِ
يُحِبُّ أَنْ يَرَى امْرَأَةً
تَغْفُو أَثْنَاءَ النَّهَارِ
وَهِيَ تَنْسِجُ

اللِّسَانُ الْأَلْمَانِي
لَنْ يُعْجِبَ الْأُذُنَ
لَكِنَّ الْقُبْلَ تُحَدِّثُ عَلَى
اللَّحْيَةِ الشَّائِكَةِ أَصْوَاتاً عَذْبَةً .

المغني الأعمى

Ελυσεν αινον αγος απ' ομματων Αρης ⁽¹⁾

سوفوكليس

أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الْبَشِيرُ الْفَتِيُّ الَّذِي كَانَ دَائِمًا
عِنْدَ الْفَجْرِ يُوقِظُنِي، أَيْنَ أَنْتَ، أَيُّهَا النُّورُ؟
الْقَلْبُ صَاحٍ لَكِنَّ اللَّيْلَ الْآنَ يَعْتَقِلُنِي
دَوْمًا وَبِالسَّحَرِ الْمُقَدَّسِ يُقَيِّدُنِي

كُنْتُ فِي مَا مَضَى أَضْغِي إِلَى الْفَجْرِ، سَعِيدًا بِأَنْ أَنْتَظِرَكَ
عَلَى جَانِبِ تِلْكَ، وَمَا خَابَ قَطُّ أَنْتَظَارِي !
وَلَمْ تَخْذُلْنِي أَبَدًا رُسْلَكَ، النَّسَائِمُ،
فَقَدْ كُنْتَ دَائِمًا، أَيُّهَا الْعَزِيزُ،

تُقْبَلُ وَتُبْهِجُ بِعَذُوبَتِكَ كُلِّ شَيْءٍ، كُنْتَ دَائِمًا
تَهْبِطُ الدَّرَبَ الْمَأْلُوفَ، أَيْنَ أَنْتَ، أَيُّهَا النُّورُ؟
هَذَا هُوَ الْقَلْبُ يَصْحُو ثَانِيَةً، لَكِنَّ اللَّيْلَ الْأَبَدِيَّ
الْآنَ يَعَصْرُنِي، يُغْلِلُنِي.

1. من إياكس لسوفوكليس. والمعنى: «إيريس أخذ الويل من عيوننا».

فَالْعَرَائِشُ كَانَتْ، حِينَ تَخْضَرُّ، تُومئُ إِلَيَّ، وَالْأَزَاهِيرُ
كَانَتْ تُشْرِقُ لِأَجْلِي، تَمِضُ كَانَتْ كَمَا تُومِضُ عَيْنَايَ؛
وغير بعيد عني كَانَتْ وَجْوه الأَحِبَّةِ
وكانت تَلْمَعُ لِأَجْلِي، عَالِيَا فَوْقِي

وَحَوْلَ الْغَابَاتِ كُنْتُ أَرَى أَجْنَحَةَ السَّمَاءِ وَهِيَ تُوَاصِلُ
رَحْلَتَهَا - كَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الشَّبَابِ ؛
وَالآنَ أَجْلِسُ وَحِيداً هُنَا فِي هَذَا الصَّمْتِ،
وَتَمْضِي السَّاعَةُ تَلَوَّ السَّاعَةِ وَذَهْنِي يَبْتَدِعُ

لِنَفْسِهِ أَشْكَالاً مِنَ الْمَسْرَةِ وَالسُّلُوانِ، يُنْشِئُهَا
مِنْ حُبٍّ وَحُزْنٍ يَتَذَكَّرُهُمَا مِنْ أَيَّامِ أَصْفَى،
وَأَمَعْنُ أَنَا فِي إِزْهَاقِ سَمْعِي
عَلَّ مُخْلِصاً رَحِيماً يُقْبَلُ

وْغَالِباً مَا كُنْتُ أَسْمَعُ صَوْتَ الْمُرْعَدِ الْعَظِيمِ،
حِينَ كَانَ النُّحَاسِيُّ، فِي الظَّهِيرَةِ، يَدْنُو،
حِينَ تَرْتَجُّ دَارُهُ، وَتَهْدِرُ مِنْ تَحْتِهِ
الْأُسُسُ فَيَرَدُّ التَّلُّ الْهَدِيرُ.

كُنْتُ أَسْمَعُ الْمُنْقَذَ فِي اللَّيْلِ، أَسْمَعُهُ، وَهُوَ الْمَحْرَرُّ،
يَقْتُلُ وَيَهْبُ الْحَيَاةَ مِنْ جَدِيدٍ،
مَنْ الشَّرْقَ إِلَى الْغَرْبِ أَسْمَعُ الْمُرْعَدَ يَجْرُفُ
بُعْثُفٍ مَا فِي الطَّرِيقِ، وَأَنْتِ إِنَّمَا تُرَدِّدِينَ صَدَاهُ،

يَا أَوْتَارِي! مَعَهُ، مَعَهُ يَخِيَا قَصِيدِي،
وَكَمَا يَتَّبِعُ الْجَذُولُ مَجْرَى النَّهْرِ،
أَنْجَرُفُ أَنَا إِلَى حَيْثُ تَمْضِي خَوَاطِرُهُ، مُجْبَرًا
عَلَى أَنْ أَتَّبَعَ الْوَائِقَ عِبْرَ مَدَارَاتِ مُلْتَوِيَةٍ .

إِلَى أَيْنَ؟ أَسْمَعُكَ تَارَةً هُنَا وَطَوْرًا هُنَاكَ،
يَا أَيُّهَا الْمَجِيدُ! صَوْتُكَ يُسْمَعُ فِي جَمِيعِ الْأَرْجَاءِ.
أَيْنَ مَالِكُ؟ وَمَا هَذَا، مَا هَذَا الَّذِي يَكْمُنُ
هَنَّاكَ فَوْقَ الْغُيُومِ، وَمَاذَا دِهَانِي؟

أَيُّهَا النَّهَارُ، النَّهَارُ، يَا مَنْ تَمْتَطِي الْغُيُومَ الْمُتَرَنَّحَةَ،
بَعُودَتِكَ أَنْتِ أَرْحَبُ! عَيْنَايَ لِأَجْلِكَ تُزْهَرَانِ.
أَيَا نُورَ الشَّبَابِ! يَا فَرَحَةً لَمْ يَنْلُ مِنْهَا
الزَّمَانُ! لَكِنَّكَ الْآنَ أَكْثَرَ رُوحَانِيَّةً تَتَدَفَّقُ مِنْ

الْقَدَحَ الْمُقَدَّسَ، مَنبِعَكَ الصَّافِي الْمَذْهَبِ ! وَأَنْتِ،
أَنْتِ أَيْتُهَا الْأَرْضُ الْخَضِرَاءُ، يَا مَهْدَ السَّكِينَةِ، وَأَنْتِ
يَا مَنْزَلَ الْأَسْلَافِ، وَأَنْتُمْ يَا كُلَّ الْأَحِبَّةِ الَّذِينَ
قَابَلْتُهُمْ فِي مَا مَضَى، اقْتَرِبُوا، آه تَجَمَّعُوا،

تَعَالَوْا، آه، كَيْ تَكُونَ الْفَرْحَةُ فَرَحَتُكُمْ، عَوْدُوا
الآنَ جَمِيعاً وَتَلَقَّوْا بَرَكَاتِ الرَّجُلِ الْبَصِيرِ!
آه خُذُوا هَذِهِ الْحَيَاةَ، كَيْ أَتَحْمَلَهَا، خُذُوا
هَذِهِ الْحَيَاةَ الْإِلَهِيَّةَ، مِنْ قَلْبِي الْمَثْقَلِ.

دُمُوع

أَيُّهَا الْعِشْقُ السَّمَائِيُّ، يَا أَيُّهَا الْعَطُوفُ!
لَوْ أَنْسَاكَ، لَوْ أَنْسَاكَنَّ أَيَّتُهَا الْفَوَاجِعُ،
أَيَّتُهَا الْمُتَّقِدَاتُ الْمُتَّقِدَاتُ الْمَلِيئَةُ رَمَادًا،
يَا مَنْ كُنْتُنَّ مَهْجُورَاتٍ مُتْعَزِلَاتٍ،

أَيُّهَا الْجُزُرُ الْحَبِيبَةُ، يَا عُيُونَ عَالَمِ الْعَجَائِبِ!
هَآ أَنتُنَّ قَدْ غَدَوْتُنَّ هَمِّي الْوَحِيدِ،
وَشُطَّانُكُنَّ حَيْثُ يَتَوَثَّنُ الْعُشَّاقُ،
حَيْثُ يُكَفِّرُ الْعِشْقُ عَنْ آثَامِهِ تَائِبًا لِلإِلَهِ وَخَدَةَ.

فَهَنَّاكَ كَانَ الْمُقَدَّسُونَ وَالْأَبْطَالُ الْغَاضِبُونَ،
فِي عَصْرِ الْجَمَالِ، يَخْدُمُونَ بَامْتِنَانٍ،
وَكَانَتِ الْأَشْجَارُ الْكَثِيرَةُ وَكَانَتِ الْمُدُنُ
قَائِمَةً فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَكَانَتْ هُنَالِكَ
ظَاهِرَةٌ لِلْعِيَانِ، شَبِيهَةٌ بِرِجَالِ مُتَأَمِّلِينَ؛

الآن مات الأبطال، جزائرُ العشقِ
تَكَادُ تكونُ مُشَوَّهَةً. كذلكَ ينبغي
أن يُخدَعَ العِشقُ السَّاذِجُ ويُستَغَلَّ.

لكن، أيتها الدَّمْعَاتُ النَّاعِمَاتُ، لا تُطْفِئْنَ نورَ
عيني ؛ واتركن لي، اتركن لي ذكري واحدةً لأموتَ
نبيلًا، أيتها الدَّمْعَاتُ السَّارِقَاتُ الخَادِعَاتُ، اتركن،
اتركن لي ذكري واحدةً تَظَلُّ حَيَّةً بعد أن أموت.

الوطن (1803)

وَلَا أَحَدٌ يَغْلَمُ . . .

فَلَأَسِرُّ عَلَى دُرُوبِكَ
وَلَأَقْطِفُ ثِمَارَ الْعَلِيقِ الْبَرِيِّ
كَيْ أُرْوِيَ غُلَّةَ عِشْقِي لَكَ،
أَيُّهَا الْأَرْضُ.

هُنَا حَيْثُ . . .

. . . وَأَشْوَائِكَ الْوُرُودُ

وَأَشْجَارُ الزَّيْزَفُونِ الْجَمِيلَةِ
قُرْبَ أَشْجَارِ الزَّانِ تَبْتُ فِي الظَّهيرة عَطْرَهَا
حِينَ يُسَمِعُ هَمْسُ النِّبَاتِ إِذْ تُمَعْنُ
فِي النُّمُوِّ جَنْبَ السَّيْقَانِ الْمُسْتَقِيمَةِ
فِي حَقْلِ الْقَمْحِ الْأَصْفَرِ الشَّاحِبِ
وَتَمِيلُ السُّنْبَلَةُ بَعْنَقِهَا كَالْخَرِيفِ،
لَكِنْ، تَحْتَ قَبْوِ أَشْجَارِ الْبُلُوطِ حَيْثُ أَتَأَمَّلُ الْآنَ

وَأُسَائِلُ السَّمَاءِ، يَتَرَدَّدُ عَلَى الْبُعْدِ رَنِينُ الْجَرَسِ
الْمَأْلُوفِ لَدَيَّ . أَسْمَعُ رَنِينَهُ الذَّهَبِيَّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ
الَّتِي يُفِيقُ فِيهَا الْعُصْفُورُ ثَانِيَةً ، فَيَحْسُنُ كُلُّ شَيْءٍ .

مُنْتَصَفُ الْعُمُرِ

مُثْقَلَةً بِيَانَعِ الثَّمَارِ،
وبالْوُرُودِ الْبَرِّيَّةِ،
تَتَدَلَّى الْأَرْضُ نَحْوَ الْبُحِيرَةِ.
أَيْتُهَا الْبَجَعَاتُ لِرَشِيقَةٍ،
يَا مَنْ أَسْكَرَتْكُمُ الْقُبَلَاتُ،
هَآ أَنْتُنَّ تَغْمِسْنَ رُؤُوسَكُنَّ فِي
صَفَاءِ الْمَاءِ الْمُقَدَّسِ!

أَيْنَ أَجْدُ الزُّهُورِ حِينَ يُقْبَلُ الشِّتَاءُ؟
هَيْهَاتَ ! أَيْنَ أَجْدُ الضِّيَاءِ،
ضِيَاءَ الشَّمْسِ عَلَى
الْأَرْضِ، وَأَيْنَ أَجْدُ الظَّلَالِ؟
تَظَلُّ الْجُذُرَانُ خَرَسَاءَ بَارِدَةً
وَيَظَلُّ دِيكَ الرِّيَّاحُ*
يُطَقِّطُقُ فِي الْعَرَاءِ.

* . أداة على شكل ديك تستعمل لتحديد اتجاه الريح.

الملجأ في هَارَتْ

الغابة تَغْرِقُ
والأوراقُ نحوَ الدّاخلِ تَدَلِّي
مثلَ براعمٍ يَتَفَتَّحُ لَهَا
سَفْحُ الوادي أَزْهَاراً
في القَرَارِ، لَيْسَتْ صَامِتَةً،
لأنَّ أورشليمَ مَرَّ
بهذه الجَهَاتِ؛ قَدَرٌ هَائِلٌ
غالباً ما يَتَأَمَّلُ آثارَ قَدَمَيْهِ،
مُتَرْبِصاً، وَسَطَ البَقَايَا.

عُصُور

يا مُدَنَ الفُراتِ،
يا شِوَارَعَ بِالمِيرَا،
وَيَا أَعْمَدَةً تُشَجِّرُ السَّهْلَ المَقْفَرَ،
ما أَنْتِ؟
جُرِّدْتِ مِنْ تِيَجَانِكَ،
وعَبَرْتِ إِلَى مَا بَعْدَ
حُدُودِ النَّفْسِ،
قُرْبَ دُخَانِ
الْآلِهَةِ وَنِيرَانِهَا؛
لَكِنِّي الْآنَ أَجْلِسُ تَحْتَ غُيُومٍ
يَجِدُ السَّكِينَةَ فِيهَا كُلُّ مَخْلُوقٍ،
تَحْتَ صَفٍّ جَمِيلٍ مِنَ السَّنْدِيَانِ،
قُرْبَ مَرَجِ الوُعُولِ،
وَأَرَى أَرْوَاحَ الْمُنْعَمِينَ
هَالِكَةً غَرِيبَةً .

الجدولُ الكتوم

بِمَ تَحْلُمُ وَأَنْتَ نَائِمٌ، يَا مَنْ تَلْفُهُ الْفُتُوَّةُ،
وَتَحُفُّ بِهِ الضَّفَافُ الْبَارِدَةُ، أَيُّهَا الصَّابِرُ!
وَهَلْ أَنْتَ عَنْ نَبْعِكَ غَافِلٌ،
يَا سَلِيلَ الْمُحِيطَاتِ، وَصَدِيقَ الْجَبَّارِ؟

تِلْكَ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي بَعَثَهَا الْأَبُ،
أَلَسْتَ تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الْهَوَاءِ، وَاهِبِ الْحَيَاةِ؟
أَلَسْتَ تُبَالِي بِالْكَلِمَةِ يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ الرَّبُّ الْيَقْظُ أَبَدًا،
يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ سَاطِعَةً مِنَ الْأَعَالِي؟

يَتَرَدَّدُ خَرِيرُهُ دَوْمًا، فِي الصَّنَدَرِ دَوْمًا يَتَرَدَّدُ، يَتَدَفَّقُ
كَأَنَّهُ، حِينَ كَانَ لَا يَزَالُ فِي حِجْرِ الصَّخَرِ نَائِمًا،
يُوَاصِلُ التَّدْفُقَ، وَهَذَا هُوَ الْآنَ يُدْرِكُ قُوَّتَهُ، جَبْرَوَتَهُ .
الآنَ، الْآنَ يُسْرِعُ الْمُتَذَبَذِبُ،

الآن يَهْزَأُ بِالْأَغْلَالِ، الآنَ يَتَنَاوَلُ، عَابثًا،
غَيْظَهُ، يُكْسِرُهُ، يُلْقِيهِ أَرْضًا فَيُبْعِثِرُهُ هُنَا
وهُنَاكَ عَلَى الشَّاطِئِ الْمُرَدَّدِ الصَّدى.
وَإِذْ يَنْتَبِهُ لِلنِّدَاءِ،

يُوقِظُ ابْنَ الرَّبِّ هَذِهِ الْجِبَالَ الْمُجَاوِرَةَ،
يُثِيرُ الْغَابَاتِ، يَسْمَعُ الْخَلِيجَ،
خَلِيجَ الرَّسُولِ الْبَعِيدِ، وَإِذْ يَرْتَعَشُ
مُبْتَهَجًا، يُوقِظُ ثَانِيَةً صَدْرَ الْأَرْضِ.

يُقْبِلُ الرَّبِّيعُ؛ تَبْزُغُ الْخُضْرَةُ الْجَدِيدَةُ؛
وَيَشْرُدُ هُوَ الْآنَ بَيْنَ الْبَشَرِ الْفَانِينَ؛
فَهُوَ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَمُكِّثَ فِي أَيِّ مَكَانٍ،
وَهَا هُوَ يُرْفَعُ فَيَسْتَقَرُّ بَيْنَ ذِرَاعِي الْأَب.

من قصائد الجنون

سبيل *

العاصفةُ

لكنَّهم يَقذفونَ اللَّعناتِ
يَهزُّونَ الشَّجَرَةَ بَعْنِفٍ حَتَّى الْأَطْفَالُ الْحَمَقَى
يَقذفونَ الحِجَارَةَ

الْغُصْنُ يَنْشَنِي
وَالْغُرَابُ يُغْنِي
طَقْسُ الرَّبِّ يَغْبِرُ

لكنَّكَ، أَيُّهَا الْأَغْنِيَةُ الْمُقَدَّسَةُ.

وَأَنْتَ أَيُّهَا الْبَحَّارُ الْمُسْكِينُ الَّذِي يَبْحُثُ عَنِ الْمَأْلُوفِ

انْظُرْ إِلَى النُّجُومِ.

* . Sibyl .

الشَّجَرَة

غَرَسْتُكَ وَأَنَا طِفْلٌ هَلَعٌ
أَيْتُهَا النَّبْتُةُ الْجَمِيلَةُ ! لَكُمْ تَغْيِيرُ الْآنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا فِي عَيْنِ
الْآخِرِ مُشْرِقَةٌ تَنْتَصِبِينَ هُنَاكَ
مِثْلَ طِفْلَةٍ .

الكَلَام

لَكِنَّ الكَلَامَ -

عَوَاصِفُ الرَّغْدِ كَلَامٌ

الرَّبِّ.

غَالِباً مَا الكَلَامُ

قال: الغَضْبُ كافٍ وَيَلِيقُ بِأَيُّوْلُو -

إِنْ يَكُنْ لَدَيْكَ مِنَ الْحُبِّ مَا يَكْفِي، فَدَعْ غَضَبَكَ يَتَعَالَى

مَنْ الْحُبِّ، غَالِباً مَا حَاوَلْتُ الْغِنَاءَ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوكَ .

كَانَ هَذَا مَا تَمَنَّتُهُ الطَّبِيعَةُ الْمُقَدَّسَةُ .

أَنْشَدْتَهُمْ فِي شَبَابِكَ

لَمْ تَكُنْ مُنْشِداً

أَنْتَ كَلَّمْتَ الْإِلَهَ،

لَكِنَّكَ نَسِيتَ تَمَاماً أَنَّ الثَّمَارَ الْبَوَاكِرَ

لَيْسَتْ لِلْفَانِينَ، بَلْ لِلْإِلَهِةِ .

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الثَّمَرَةُ مَأْلُوفَةً،

مِثْلَ الْأُمُورِ الْيَوْمِيَّةِ،

قَبْلَ أَنْ تَكُونَ لِلْفَانِينَ .

[وَأَنْ تُحَسَّ ...]

وَأَنْ تُحَسَّ مَا يُحَسُّ بِهِ
أَنْصَافُ الْآلِهَةِ وَيُحَسُّ بِهِ آبَاءُ الْكَنِيسَةِ،
وَهُمْ جَالِسُونَ فِي الْمَحَاكِمَةِ. لَكِنَّهُمْ لَيْسُوا نَزِيهِينَ أَمَامَ كُلِّ
الْأَشْيَاءِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ، فَالْحَيَاةُ تُدْنِدُنْ فِيهَا الْحَرَارَةُ وَصَدَى
الظُّلَالِ كَأَنَّهَا فِي بُورَةٍ رُكِّزَتْ. صَحْرَاءُ ذَهَبِيَّةٌ.
كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدَحُ، مِثْلَ صَوَانٍ فُولاذِيِّ مَصُونٍ يُشْعَلُ مَوْقِدًا
دَافِنًا دَفَاءَ الْحَيَاةِ، يَقْدَحُ حَجَرَ النَّهَارِ الصَّقِيلِ فَتَنْبَعُثُ مِنْهُ
الشَّرَارَاتُ، وَالْقِيَارَةُ تَعْرِفُ عِنْدَ الْغَسَقِ. تَنْزُ طَلَقَاتُ
الصَّيَّادِينَ إِذْ تَرْتَطِمُ بِالْبَحْرِ. لَكِنَّ الْمِضْرِيَّةَ تَجْلِسُ،
عَارِيَةَ النَّهْدَيْنِ، وَتُوَاصِلُ الْغِنَاءَ، فِي الْغَابَةِ قُرْبَ النَّارِ،
وَقَدْ أَصَابَ الْكَدَّ مَفَاصِلَهَا بِالنَّقْرِسِ. يَنْدْفَعُ نَبْعُ
يَنْمُ عَنْ اِزْتِيَاكِ غَيُومٍ وَبِحَارِ هَذَا الْكُوكَبِ، يَنْدْفَعُ عِبر
سُكُوتِ لَانْدَه كَأَنَّهُ يَنْدْفَعُ نَحْوَ بُحَيْرَاتِ لُومَبَارْدِيَا. كَذَلِكَ سَيُعْرَبُدُ
فَتَيَانُ الْفُؤَا عَيْشًا طَرِيًّا كَاللُّؤْلُؤِ، سَيُعْرَبُدُونَ حَوْلَ أَجْسَادِ
مُعَلِّمِهِمْ، أَوْ حَوْلَ الْجُثَثِ، أَوْ تَحَوْمُ صَنِحَاتِ الْعَصَافِيرِ نَاعِمَةً

حَوْلَ تَيْجَانِ الْأَبْرَاجِ.

كَلَّا، الْحَقُّ أَنَّ النَّهَارَ
لَا يَخْلُقُ
هَيْئَاتٍ بَشَرِيَّةً. لَكِنْ أَوَّلًا،
فِكْرَةٌ عَتِيقَةٌ، مَعْرِفَةٌ وَاسِعَةٌ
الْفَرْدَوْسِ.

وَالْحُبُّ الضَّائِعُ
حُبُّ مَبَارَاةِ الْفُرُوسِيَّةِ
خُيُولٌ، نَدِيَّةٌ لَعُوبٌ

[انطلقنا من الهوة]

انطلقنا من الهوة
وتقدّمنا كالأسد،
يتقاذفه الشك،
لأنّ إحساس الرجال يحتدُّ
في لهيب
الصحاري،
يسكرهم الضوء، ويطبق معهم
روح الحيوان. لكن قريباً يزهو صوتي،
كأنه كلب في طقس حارّ، عبر دروب حدائق
في فرنسا
يقطنها الناس .
الخالق.
لكنّ فرانكفورت، بعبارة تسم
هيئة الإنسان
بوسم الطبيعة، سرّة هذه الأرض، وهذا العنصر
عصر أنصهار الجزمان.

تَلُّ مُقْفَرٌ يُشْرِفُ عَلَى مُنَحَدِرٍ
حَدَائِقِي. أَشْجَارُ الْكَرْزِ. نَفْسٌ حَادٌّ
يُصْفَرُ عِبْرُ ثُقُوبِ الصَّخُورِ. أَحْسِنِي هُنَا
كُلَّ شَيْءٍ فِي نَفْسِ الْآنِ. شَجَرَةُ جَوَزٍ
جَمِيلَةٌ تَنْشِي رَشِيقَةً
فَوْقَ الْيَنَابِيعِ وَ نَفْسَهَا. تَوْتُ، كَالْمَرْجَانِ،
يَتَدَلَّى مِنْ شُجَيْرَاتٍ فَوْقَ قَنَوَاتٍ خَشْبِيَّةٍ
يَنْبَعُثُ مِنْهَا، مِنَ الْحَبِّ أَوَّلًا، وَالْآنَ مِنَ الزَّهَرِ،
غِنَاءٌ مُعَمَّقٌ كَأَنَّهُ زَرْعٌ مِنَ الْمَدِينَةِ جَدِيدٌ تَكَادُ الْأَنْوْفُ
تَأْلُمُ مِنَ الشَّدَى الصَّاعِدِ مِنْهُ
شَدَى اللَّيْمُونِ وَالزَّيْتِ الْمَجْلُوبِ مِنْ پَرُوقَانَسْ،
أَغْدَقْتُ هَذَا الْعِرْفَانَ عَلَيَّ أَرْضِي جَاسِكُونِي .
رَوَّضْتُ (وَالْبَاقِي آتٍ) وَأَطْعَمْتُ
مَحَبَّةَ السَّيْفِ وَلَحُومَ الْأَعْيَادِ الْمَشْوِيَّةِ،
الْمَائِدَةَ، الْأَعْنَابَ السَّمَرَاءَ، سَمَرَاءَ
فَلْتَجْمَعِينِي آهَ ،
يَا زَهْوَرَ جَرْمَانِيَا، آهَ صَارَ قَلْبِي
بَلُورًا، صَارَ مَحَكًّا
لِلضَّوءِ حِينَ جَرْمَانِيَا

بلاد الإغريق (I)*

طُرُقُ النَّائِه !

فَظِلَالُ الْأَشْجَارِ -

حَيْثُ التَّلَالُ الْمَشْمُسَةُ

تَمْتَدُّ الطَّرِيقُ صَاعِدَةً

نَحْوَ الْكَنِيسَةِ -

تُمْطَرُ وَابِلًا مِنْ سَهَامٍ،

وَالْأَشْجَارُ بَاسِقَةٌ، تُغَالِبُ النُّعَاسَ، لَكِنَّ

خُطَى الشَّمْسِ قَادِمَةٌ.

فَكَمَا تُمَعِنُ الشَّمْسُ

فِي التَّوَهُّجِ فَوْقَ بُخَارِ الْمُدُنِ،

كَذَلِكَ تَسِيرُ فَوْقَ

ثَنَائِيَا جُدْرَانِ الْمَطَرِ

فَمِثْلُ اللَّبْلَابِ،

بِدُونِ أَغْصَانٍ، يَتَدَلَّى الْمَطَرُ. لَكِنَّ

*. رقم العنوان يشير إلى ترتيب صيغة القصيدة.

الطَّرْقَ تَبْدُو لِلْمُسَافِرِينَ فِي الْعَرَاءِ أَبْهَى
تَتَفْتَحُ زُهُوراً تَتَمَايَلُ مِثْلَ السَّنَابِلِ .
وَأَفِينِيونَ تَكْتَنِفُهَا الْغَابَاتُ تُشْرِفُ عَلَى جُوتِهَارِدُ .
الْحَصَانُ يَتَلَمَّسُ طَرِيقَهُ، وَلَأَكَالِيلِ الْغَارِ حَفِيفُ
حَوْلَ مَثْوَى فَرْجِيلٍ، لَكِنِّي
تَسْتَكْشِفُ الشَّمْسُ الْقَبْرِ
بَشْكَلٍ لَا يَخْلُو مِنْ رَجُولَةٍ . وَرُودُ الطَّحَالِبِ
تَنْمُو
عَلَى جِبَالِ الْأَلْبِ . الْأَزْهَارُ تَبْدَأُ فِي النَّمْوِ
أَمَامَ بَوَابَاتِ الْمَدِينَةِ، عَلَى طُرُقِ مُسْتَوِيَةٍ، وَتُتْرَكُ
دُونَ عَنَايَةٍ لَتَنْمُوَ كَمَا الْبَلُّورُ فِي قِفَارِ الْبَحَارِ .
الْحَدَائِقُ تَنْمُو حَوْلَ وَيَنْدُرُ . سَامِيَّةً، سَامِيَّةً،
تُوَاصِلُ عَرَبِيَّةَ الْمَلِكِ رَحْلَتَهَا
قَادِمَةٌ مِنْ لُنْدُنِ .
الْحَدَائِقُ الْجَمِيلَةُ تُنْقِذُ الْمَوْسِمَ .
عِنْدَ الْقَنَالِ . لَكِنْ فِي أَعْمَاقِ الْأَعْمَاقِ يَرْقُدُ
الْمَحِيطُ مُسْتَوِيًا، مُوَمِضًا .

بَلَادُ الْإِغْرِيقِ (II)

وَأَنْتِ يَا أَصْوَاتَ الْقَدَرِ، أَنْتِ يَا طُرُقَ التَّائِهَةِ
فَفِي السَّمَاوَاتِ
يُدَوِّي غَضَبُ الْغُيُومِ مُنْتَظِمًا مِثْلَ أَغْنِيَةِ
الطَّائِرِ الْأَسْوَدِ، يُلَطِّفُهُ وَجُودُ الرَّبِّ، عَاصِفَةُ الرَّعْدِ.
وَيُنَادِي، إِذْ يُطَلُّ، الْخُلُودَ وَالْأَبْطَالَ ؛
الذِّكْرِيَّاتُ كَثِيرَةٌ، كَثِيرَةٌ .
وَحَيْثُ تَتَّبَعُ الْأَرْضُ الْقَوَانِينَ الْعَظْمَى،
إِذْ تَنْطَلِقُ مِنْ مَعَالِمِ الدَّمَارِ، مِنْ غَوَايَاتِ الْقَدِيسِينَ،
تَتَغَنَّى بَعْدَهَا أَغْنِيَةُ الْغُيُومِ، وَقَدْ غَدَتْ مَرِثِيَّةً،
تَتَغَنَّى بِالْوَنَامِ وَبِالْخَنَانِ
وَتَتَغَنَّى بِالسَّمَاءِ كُلِّهَا. فَالطَّبِيعَةُ
تَظَلُّ أَبَدًا حَيَّةً. لَكِنْ حَيْثُ يَعْظُمُ
تَوْقُ الْمُطْلَقِ إِلَى الْفَنَاءِ،
إِلَى الْإِلَهِيِّ، إِلَى إِخْلَاصِ الرَّبِّ،
يَنْعَدِمُ الرُّشْدُ .

لكنْ كما يحضرُ الرَقْصُ
في العُرْسِ
تُقبلُ بدايةً عَظِيمَةً
حتّى على المخلوقاتِ الوَضِيعَةِ.
لكنْ، لأجلِ الإنسانِ،
يلبسُ الربُّ كلَّ يومٍ لُبُوساً.
وجْههُ عن العِزِّفَانِ مَحْجُوبٌ
وبمَهَارَتِهِ يُغَطِّي الرِّياحَ .
ويُغَطِّي الفِضَاءَ ويُغَطِّي الزَّمَنَ
ذلكَ الرَّهيبَ، حينَ يُسْرِفُ امرؤٌ
في الصَّلَاةِ تَغْييراً عَن مَحَبَّتِهِ، وإِلَّا
فالرُّوخَ .

بلاد الإغريق (III)

وأنتِ يا أصواتَ القدر، أنتِ يا طُرُقَ التَّائِهين !
فمن بعيد، وسط الفضاء الأزرق البادي من المدرسة،
وسَطَ اضْطِخَابِ السَّمَاءِ،
يُدَوِّي غَضَبُ الغُيومِ مُنْتَظِماً مِثْلَ أَغْنِيَةٍ
الطَّاوِرِ الْأَسْوَدِ، يُلَطِّفُهُ وَجُودُ الرَّبِّ، عَاصِفَةُ الرَّعْدِ.
ويُنَادِي، إِذْ يُطَلُّ، الْخُلُودَ وَالْأَبْطَالَ ؛
الذِّكْرِيَّاتُ كَثِيرَةٌ، كَثِيرَةٌ. حَيْثُ تَدُقُّ الْأَرْضُ
عَلَيْهَا، كَأَنهَا تَضْرِبُ جِلْدَ عِجَلٍ مَدْبُوعٍ،
فَفِي الْبَدْءِ تَشْكَلُ الْعَمَلُ،
وَإِذْ تَنْطَلِقُ مِنْ مَعَالِمِ الدَّمَارِ، مِنْ غَوَايَاتِ الْقَدِيسِينَ،
تَتَّبِعُ الْأَرْضُ الْقَوَانِينَ الْعَظْمَى، وَالْمَعْرِفَةُ
وَالْحَنَانُ وَرَحَابَةُ السَّمَاءِ، مُحِيطَةٌ بِكُلِّ شَيْءٍ،
تَغْدُو بَعْدَ ذَلِكَ مَرثِيَّةً، وَتُنْشِدُ غَيُومًا مِنْ غِنَاءِ.
فَسِرَّةُ الْأَرْضِ ثَابِتَةٌ، ثَابِتَةٌ .
وَالْعُنَاصِرُ الْمَأْلُوفَةُ وَالسَّنَةُ اللَّهْبُ

أسيرة ضفاف العُشب.
 لكن الأثير، وكله انعكاس، يقيم في الأعالي. لكن
 الضوء فضي
 في أيام الصفاء. والأرض تكتسي
 الأزرق البنفسجي عربون المحبة.
 تُقبل بداية عظيمة
 حتى على المخلوقات الوضيعة.
 لكن، لأجل الإنسان،
 يلبس الرب كل يوم لبوساً.
 وجهه عن العرفان محجوب
 وبمهارته يُغطي الرياح.
 ويُغطي الفضاء ويُغطي الزمن
 ذلك الرهيب، لكي يُسرف
 في الصلاة إنسان تعبيراً عن محبته.
 وإلا فالروح. فقد ولّى زمن طويل
 والطبيعة، مثل الأوراق،
 أو مثل الخطوط والزوايا، مفتوحة،
 والشموس والأقمار تزداد صفرة،

لكن أحياناً
حين تتعرضُ معارفُ الأرضِ القديمةُ
لخطرِ الخُمودِ، وسَطَ رواياتِ التاريخِ،
وصليلِ المعاركِ، يتدخلُ الربُّ ليقودَ
الأرضَ على القممِ. على أنه يحدّدُ السرعةَ
المفرطةَ أثناءَ المسيرِ، لكنَّ ملكاتِ الروحِ،
تفتّحُ أزهاراً ذهبيةً، وتتألفُ في انسجامٍ
حتى تزدادَ رغبةُ الجمالِ في الإقامةِ على الأرضِ،
وتسعى هذه الروحُ أو تلكَ إلى الاقترابِ
من شؤونِ البشرِ.

عذبٌ آنثى أن يُقيمَ المرءُ تحتَ الظلِّ الأعلى،
ظلُّ الأشجارِ في التلالِ المشمسةِ، حيثَ الطريقُ
إلى الكنيسةِ مرصوفةٌ. لكنَّ الطرقَ تفتّحُ
زهوراً أبهى أمامَ المُسافرِ، أمامَ من تطاوَعَهُ
قدماءه، لأنه يحبُّ الحياةَ، فتظللانِ محافظتين على الإيقاعِ
طوالِ الطريقِ، حيثُ الأرضُ

حياة الإنسان

مَا حَيَاةُ الْإِنْسَانِ؟ صُورَةٌ مِنَ الْأُلُوْهِيَّةِ.
إِلَيْهَا يَنْظُرُ الْفَانُونَ وَهُمْ تَحْتَ السَّمَاءِ
شَارِدُونَ. كَأَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ كِتَابًا مُّقَدَّسًا.
يُقْلِدُونَ الثَّرَوَاتِ وَيُقْلِدُونَ الْخُلُودَ.
لَكِنْ، أَلَيْسَتْ السَّمَاءُ الْبَسِيطَةُ ثَرِيَّةً؟
تَبْدُو الْغُيُومُ الْفَضِيَّةُ حَقًّا زُهُورًا.
مَعَ أَنَّهَا تَنْزِلُ نَدَى وَضَبَابًا.
لَكِنْ حِينَ تَنْمُحِي الزُّرْقَةُ، تَرَى
السَّمَاءَ الشَّبِيهَةَ بِرُخَامٍ لَمْ يُضْقَلْ
بِرَاقَةٍ كَمَعْدِنٍ خَامٍ يَشِي بِثَرَوَاتٍ كَامِنَةٍ.

الرَّبُّ

مَا الرَّبُّ؟ مَجْهُولٌ، لَكِنَّ
وَجْهَ السَّمَاءِ مَلِيٌّ
بِمَلَامِحِهِ. الْبَرْقُ عَصَبُ الرَّبِّ.
كُلَّمَا أَمْعَنَ هَذَا
فِي الظُّهُورِ، كَانَ بِالْغَرِيبِ لَائِقًا.
لَكِنَّ الرَّعْدَ مَجْدُ الرَّبِّ. مَحَبَّةُ الْخُلُودِ
مِيزَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْبَشَرِ.

أيام سُقْرَاط

الزمنُ كانَ هوَ الربُّ مداناً.

مُلوْكُ.

حُكماءُ.

مَنْ يُدينُ الآنَ؟

هَلِ الشَّعْبُ بِأَكْمَلِهِ

هُوَ الْقَاضِي؟ التَّجَمُّعُ الْمُقَدَّسُ؟

كَلَّا! آهَ كَلَّا! مَنْ يُدينُ الآنَ؟

سُلَالَةٌ مِنَ الْأَفَاعِي؟ زَائِفَةٌ جَبَانَةٌ

لَمْ تَعُدِ الْكَلِمَةُ الْأُسْمَى تَتَرَدَّدُ

عَلَى الشِّفَاةِ

آهَ بِاسْمِ . . .

أَدْعُوكَ

أَنْ تَنْزَلَ، أَيُّهَا الشَّيْطَانُ الْعَرِيقُ!

أَوْ
تُنْزِلَ
بَطْلًا

أَوْ
حِكْمَةً

إلى

حقول إليزيوم

هناك أجدُ

في اتّجاهك، يا آلهةَ الفناء

هناك، ذُيُوتِمْما الأبطال.

دعيني أتغنّي بكِ

لكنْ لاشيءَ غيرُ الدّمُوعِ.

وفي ليلٍ أشرُّدُ فيه، أرى عينكِ الصافيةَ

تنطفئُ !

أيتها الرّوحُ السّماويّة.

في الغابة

أَيْلُ نَبِيلٌ أَنْتَ .

لَكِنَّ الْإِنْسَانَ يُقِيمُ فِي الْأَكْوَاخِ، مُتْلَفَعًا بَعَبَاءَاتِ عَارِهِ، يُمَعْنُ
فِي التَّقَوُّعِ عَلَى ذَاتِهِ، وَيُسْرِفُ فِي الِاسْتِجَابَةِ لِدَاتِهِ. وَيُدْرِكُ
أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرْعَى رُوحَهُ كَمَا تَرَعَى الْكَاهِنَةُ الشُّعْلَةَ الْإِلَهِيَّةَ.
وَلِذَلِكَ وَهَبَ الْإِنْسَانُ الطَّيْشَ، وَوَهَبَ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ
يُخَفِقَ وَيُفْلِحَ. مَخْلُوقٌ شَبِيهٌ بِالْإِلَهِ. وَوَهَبَ اللُّغَةَ، أخطرَ
مَا يَمْلِكُ، لَكِي يُنْشِئَ وَيُحْطَمَ، لَكِي يَفْنَى وَيَعُودَ إِلَيْهَا، إِلَى
السَّيِّدَةِ وَالْأُمِّ الْخَالِدَةِ، وَلَكِي يُقَدِّمَ الشَّهَادَةَ عَلَى كَيْنُونَتِهِ، بَعْدَ
أَنْ وَرِثَ وَتَعَلَّمَ مِنْهَا أَكْثَرَ صِفَاتِهَا أُلُوْهِيَّةً : الْحُبَّ الْحَافِظَ
كُلَّ شَيْءٍ.

شَذَرَات

لَا يَمُكُّثُ فِي أَيِّ مَكَانٍ.
لَا عِلَامَةٌ
تَرْبُطُ.
نَادِرًا
مَا يَحْفَظُهُ وَعَاءٌ.

الطَّيِّبَاتُ ثَلَاثٌ.

لَا رَغْبَةَ لِي
فِي أَنْ أُحَطِّمَ أَصْنَامَكَ.

وَصَوْنُ قُدْسِيَةِ الْقُرْبَانِ
يَحْفَظُ تَمَاسُكَ الرُّوحِ، هِبَةَ الرَّبِّ،
رَفِيقاً يُنِيرُ لَنَا الْحَيَاةَ
حَتَّى النِّهَايَةِ .
إِنَّهَا يَقِيناً شَيْءٌ مُخْتَلِفٌ

التَّمْيِيزُ
حَسَنٌ. لِكُلِّ
مَا يَخُصُّهُ.

الْوَرَقَةُ السُّودَاءُ
وَالثَّمَرَةُ
كَانَتْ ظَاهِرَةً.
وَالثُّرْبَةُ السُّورِيَّةُ
مُتَشَقِّقَةٌ، وَالسَّنَةُ اللَّهَبُ تَحْتَ الْقَدَمَيْنِ
تَلْسَعُ
وَالغَثَيَانُ يَغْشَانِي
بَسَبَبِ الْجُوعِ الْعَاصِفِ

فريدريش⁽¹⁾ وَخَذَهُ الْمَلْسُوعُ

أَيْزَنَاخُ

الشَّهِيرُ

بارباروسا⁽²⁾

كونرادين⁽³⁾

أوجولينو⁽⁴⁾ -

يوجينيوس⁽⁵⁾

سُلْمُ يَعْقُوبَ

وَدَاعُ الزَّمانِ

وفي المكانِ يَتِمُّ الفِراقُ

ذلكَ شأنُ مُحَمَّد⁽⁶⁾، وريئالدو

و باربوسا⁽⁷⁾، وبصفته مُتحرِّراً

1. Friedrich Langrave (1237-1324) الذي شجعه الجبيلين اللومباردين، بعد وفاة كونرادين (1268)، على مواجهة تشارلز أنجو.

2. فريدريك الأول (1123-1190) أعظم ملوك سلالة هوهنشتاوفر ويعتبره هلدنلين أهم أبطال سوابيا.

3. Conradin آخر سلالة هوهنشتاوفر توفي في نابولي سنة 1268 وهو في السادسة عشرة من عمره.

4. Ugolino الكنوت الجبيليني الذي قدمه دانتي في النشيد 33 من الجحيم

5. Eugenius أمير سافوي (1663-1736).

6. اسمع بوق الحارس ليلاً. بعد انتصاف الليل، حوالي الساعة الخامسة.

7. محمد وريئالدو وباربوسا شخصيات في Tasso لـ Gerusalemme. وكلها تذكر بالحملة الصليبية.

الأمبراطورُ هاينريشُ.⁽⁸⁾

لَكِنَّا نَخْلُطُ

تَوَارِيخَنَا

ديمترُوسُ بُوليوركيتسُ⁽⁹⁾

بطرسُ الأكبر⁽¹⁰⁾

عُبُورُ

هاينريشُ الألبَ وَمِنْ يَدَيْهِ

تَنَاوَلَ الشَّعْبُ

الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَابْنُهُ كُونَرَادُ مَاتَ مَسْمُومًا

مِثَالِ الْمُجَدِّدِ

المُصْلِحِ

كُونَرَادِينَ، وَهَلُمَّ...

كُلُّ ذَلِكَ دَالٌّ

باعتباره علاقاتٍ.

8. هاينريش الخامس، إمبراطور ألمانيا. عبر جبال الألب في طريقه إلى Canossa. توفي ابنه البكر Conrad سنة 1101.

9. أحد خلفاء الأسكندر المقدوني.

10. قيصر روسيا (1672 - 1725).

تَنْدِي (11) شْترومفلد (12) سِيْمُونِيَا (13)

تُوِيْفِنْ (14) أَمِيْكَلاَ (15) أَيْرِيُو (16) عَلَي النّٰهْرِ

فَوَجَا الْعَائِلَة النّٰكْسْترو (17)

الاسْمُ مِنْ هُنَاكَ أَمَالَاْسُونْتَا (18) أَنْتِيْجُون

أَنَاتِيْمُ أَرْدِيْنْجِهْلُوْس (19) السُّورْبُون كِلْسْتِيْن (20) وَإِنُوسْتِيُوْس (21) أَوْقَفَ

الْبَحْثَ وَنَعَتَهَا (نَعَتَ السُّورْبُون)

بِحَضَانَةِ الْأَسَاقِفَةِ الْفَرَنْسِيَّيْن -

أَلُوسِيَا سِيِيْجَا (22) differentia vitae

Urbanae et rusticate

11. Tende : ولاية سابقة في منطقة Piedmont . وهي الآن مدينة فرنسية في جبال الألب على الحدود الإيطالية.

12. Strömfeld : يوهان كارل فون شترومفلد، جنرال في الجيش السويدي أثناء حكم الملك تشارلز الثاني عشر.

13. Simonetta : لعل الإشارة إلى أحد أفراد عائلة سيمونيتا ، وهي عائلة شهيرة بدورها في الحياة والأدب الإيطالية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

14. Teufen : مدينة سويسرية كانتون Appenzell قد تكون مرتبطة بإقامة هلدلين في Hauptwi (1801).

15. Amyclae : بلدة إغريقية قديمة بالقرب من سبارطة، مشهورة بطائفة تعبد أبوللو. وهي مقر إقامة الملك Tyndareos، والد هلين.

16. Averio : مدينة برتغالية. تقع على البحر عند مصب نهر Vouga ويبدو أن جغرافية هذه المدينة مقترنة لدى هلدلين بجغرافية بوردو.

17. Alencastro : حسب مصدر هلدلين (Zedlers Lexicon) اتخذت عائلة ألكاسترو لقب النبالة من مدينة Averio.

18. Amalasuntha : ملكة القوط الشرقيين (535-498). أكتسبتها معرفتها الواسعة وولائها لقيم روما الثقافية عداوة الطوائف القوطية المناهضة. تم نفيها إلى بحيرة Bolsena في توسكانيا. وقتلت في حمامها.

19. Ardinghellus : إشارة إلى مؤلف هاينسه (1787) Ardinghella und die glückseligen Inseln.

20. Celestine : البابا سليستين الخامس (1215-1290).

21. Inozentius : البابا إنوسنتيوس الرابع (؟ - 1254)

22. Louise Siega de Velasco : مشهورة في إسبانيا والبرتغال بسعة معارفها؛ مؤلفة Dialogus de differntia vitae rusticate et urbanae.

نهر في كايوديكاً⁽²³⁾

فالتيلينو⁽²⁴⁾ شونبرج⁽²⁵⁾ سكوتس⁽²⁶⁾ شونبرج تنريفي⁽²⁷⁾

سولاكو⁽²⁸⁾ فنارفو⁽²⁹⁾

منطقة

المبوس. فايسبرن في هتغاريا

السفلى. ثمورا⁽³⁰⁾ ياكاً⁽³¹⁾ جنوا لاريسا⁽³²⁾ في سوريا

حين تتعالى ألسنة اللهب فوق الدالية

التي تبدو في سواد

23. Thermodon : نهر ينبع من جبال Cappadocia في إسبانيا الصغرى ويصب في البحر الأسود. تم ذكره في تحولات أوفيد.

24. Valtelino : أي Valtellina، منطقة جبلية في شمال لومبارديا، على الحدود السويسرية.

25. Schönberg : اسم مكان مألوف في الألمانية. ولعله يشير إلى بلدة في غابة Bayrischer على تخوم بوهيميا.

26. Scotus : قد تكون الإشارة هنا إلى الفيلسوف Erigena (؟-875)، أو إلى عالم اللاهوت Duns Scotus (؟-1308).

27. Tenerife : إحدى جزر الكناري.

28. Solaco : سلسلة جبلية في الهندوراس. أو ربما تحريف لـ Soulac، بلدة تقع على حافة شبه جزيرة Médoc بالقرب من بوردو.

29. Venarfo : بلدة في إقليم Campobasso الإيطالي. أسسها، كما تروي الأسطورة، Diomedes وهي مشهورة بالزلازل.

30. Zamora : عاصمة الإقليم الإسباني المعروف بنفس الاسم.

31. Jacca : أي Jaca بلدة إسبانية في إقليم Huesca عند سفوح البرانيس.

32. Larissa : عاصمة ثيسالي.

الفَحْمَ عِنْدَ مَوْسَمِ
الْخَرِيفِ، فَسِيقَانُ
الْعُنْفَوَانِ تَتَنَفَّسُ النَّيِّرَانِ
فِي ظِلِّ الْأَعْنَابِ.
لَكِنْ، شَيْءٌ جَمِيلٌ أَنْ تَتَفَتَّحَ
الرُّوحُ وَهَذِهِ الْحَيَاةُ الْقَصِيرَةُ
وَالسَّمَاءُ تَصِيرُ بَيْتَ فَنَّانٍ
كُلُّ لَوْحَاتِهِ مَعْرُوضَةٌ.

قَرِيباً مِنْ طَيِّبَةٍ وَمِنْ تِيرِيزِيَّاسٍ!
أَجْدُ الْأَرْضِ أَشَدَّ عُزْياً مِمَّا يَنْبَغِي.

مِثْلَ شَخْصٍ يَلْتَهُمُ النَّاسَ
مَنْ يَعْيشُ بِدُونِهِ

(الْحُبِّ)

وَإِذَا يَصِفُ الظَّلَالَ، تَطِيرُ
عَيْنَاهُ مُغْتَاطَتَيْنِ

بوضوح تام
هذه المرة، لكن حول
المعابد غالباً ما يحدثُ شيءٌ ما، مُستحيلٌ
أن تفهم هذا، لكن حين يُجازفُ
رجُلٌ حرٌّ ويمضي في طريقٍ ما، يجدُه
في انتظاره هناك.

مُهرةٌ ودوقٌ، وجعٌ طوال
العُمُر لا ينتهي، كالْعنادِل حينَ
تُغني لحنَ الوطنِ المُطربِ، أو إوزةَ الثلجِ
تُحدِّدُ النِّعمةَ، عالياً فوقَ
الأرضِ، تواقّةً،

صُفوفٌ من سوسناتٍ زرقاءٍ
ألديك معرفةٌ
الفنّانينَ
أيل يهيمُ في الحرّ.
بِعملٍ
وَحِيدٍ أوِ مِثْلِ

لَا يَخْلُو الْأَمْرُ مِنْ حُدُودٍ.

نَرْجِسُ، حَشَائِشُ
وَيَاسَمِينُ فَارِسِيَّ،
زُهُورُ، قُرْنُفَلَاتُ، اسْتُنْبَتَتْ فِي اللُّؤْلُؤِ
وَالْأَسْوَدُ، وَزُهُورُ النَّرْدِينَ،
كَالْعَطْرِ حِينَ يَنْتَشِرُ، بَدَلًا مِنْ

لَحْنِ الْإِفْتِتَاحِ، هُنَاكَ، حَيْثُ الْخَوَاطِرُ الشَّرِيرَةُ،
يَا بُنَيَّ، تَغْفُلُ عَنْ أَنْ تَخْتَرِقَ
الْعَلَاقَاتِ الْحَمِيمَةَ وَحَيَاةَ
كْرِيسْتُوفَرِ هَذِهِ التَّنِينِ شَبِيهٌ بِحَرَكَاتِ
الطَّبِيعَةِ رُوحًا وَأُسْلُوبًا

عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ
كُلَّ شَيْءٍ
سِوَى الطَّوَالِ
لِيُصَفِّيَهُ هُنَاكَ

حَيْثُ يُنْثَرُ
رَمَادُ الرُّفَاتِ،
وَيُحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى نَارِ الْحَطَبِ.

مِنَ الصَّيْحَةِ الْوَتْنِيَّةِ
«أَيْسُو بَاخُوس»، دَعَهُمْ يَتَعَلَّمُونَ مَهَارَةَ الْيَدِ
وَمِنْ نَفْسِ الصَّيْحَةِ، أَنْ يَتَقَدَّمُوا
وَيَنْتَقِمُوا. الثَّأْرُ يَجِبُ، حَقًّا،
أَنْ يُؤْخَذَ. وَنَدْعُو الرَّبَّ
أَنْ لَا يَجْلِدَنَا بِالْأَمْوَاجِ
وَنَحْنُ
عُرَاةٌ. حَقًّا

كَفَرَةٌ
نَحْنُ
مِثْلُ عَوَامٍّ
يُغْوِيهِمُ الرَّبُّ فَيَحْسَبُونَ أَنْفُسَهُمْ نُبَلَاءَ،
لَكِنَّ هُنَاكَ شَرِيعَةٌ تُحَرِّمُ التَّفَاخَرَ بِهَذَا. لَكِنَّ الْفُؤَادَ
يَرَى الْأَبْطَالَ. مِنْ حَقِّي

أَنْ أَحْكِي عَنْ وَطْنِي. لَا يُنْكِرَنَّ
أَحَدٌ هَذَا عَلَيَّ. فَبِنَفْسِ الْحَقِّ
يَصْنَعُ النَّجَارُ
صَلِيباً.

السَّيْفُ
وَالسَّكِينُ الْمَخْفِي، حِينَ
يُشْحَذُ
فَيَظَلُّ كَلِيلاً،
لَكِنْ نَدْعُو أَنْ لَا يَضِيقَ
بِنَا وَطَنُنَا. أَلْ ثَقِيلٌ
أَنْ نَتَمَطَّى، فَنَمُدَّ أَقْدَامَنَا وَكَذَا أَيْدِينَا.
لَا نُرِيدُ غَيْرَ الْهَوَاءِ.

مُضْحِكٌ وَحَقِيرٌ
أَنْ تَتَغَنَّى حِينَ
تَتَحَقَّقُ أَشَدُّ أَمَالِ الْمَرْءِ جُرْأَةً.

إِلَى تَسِيمَر*

خُطُوطُ الْحَيَاةِ مَتْنَوَعَةٌ تَنْوَعُ الطَّرِيقَ
وَتُخْوِمُ الْجِبَالَ. كَيْنُونْتُهُ هَاهُنَا
يُكَمِّلُهَا هُنَاكَ إِلَهٌ، يَكْمُلُهَا بِالتَّنَاغُمِ،
وَبِالْجَزَاءِ الْأَبَدِيِّ، وَبِالسَّلَامِ.

حِينَ تَنْسَكُبُ مِنَ السَّمَاءِ مَسَرَّةً
أَشَدَّ إِشْرَاقًا، تَذْنُو مِنَ الْبَشَرِ بِهَجَةٍ
تَجْعَلُهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِمَّا هُوَ
مَرْئِيٌّ، أَوْ عَالٍ، أَوْ مَتَنَاغُمٌ:

يَا لِلْجَمَالِ إِذْ يَمْتَزِجُ الْغِنَاءُ الْمُقَدَّسُ بِتِلْكَ الْبَهْجَةِ!
لَكُمْ يَضْحَكُ الْقَلْبُ إِذْ يَسْتَطِرْدُ فِي تَرَاتِيلِهِ
عَنِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تَبْتَهِجُ فِي صُورَةٍ -
عَلَى الدَّرَبِ الَّذِي تَشَقُّ فِيهِ الْأَغْنَامُ

طَرِيقَهَا، وَالَّذِي يُقَرِّبُهَا مِنَ الْغَابَةِ
الْمَشْرِقَةِ. لَكِنَّ الْحَقُولَ الَّتِي تَكْسُوهَا
خُضْرَةٌ لَا يَشُوبُهَا شَيْءٌ
تَبْدُو مِثْلَ مَرْجٍ عَادَةٍ مَا

يُجاوِرُ الغابَةَ المظلمَةَ. هناك،
في الحقُولِ أيضاً تَظَلُّ هذه الأَغْنَامُ.
القَمَمُ المُحِيطَةُ، ذُرَى عاريَّةٍ،
يُغَطِّيها صنوبرٌ نادرٌ وسنديانٌ.

هناك، حيثُ تتراقصُ مَويجاتُ
النَّهرِ، فيَسْعُدُ بِتَمَلُّيها كُلُّ
شَخْصٍ عابرٍ، هناكُ تتعالَى الجِبَالُ
النَّاعِمَةُ وتَسَامِقُ الدَّوَالِي.

الدَّرَجُ، حقّاً، تتوالى في مُنَحَدَرِ شَاهِقٍ وَسَطِ عناقيدِ
الكَرَمِ، وفوقَها تَنَتِصِبُ الأشجارُ المَثْمِرَةُ مُزْهِرَةً،
ويَتَوَانَى العِطْرُ فوقَ حَوَاجِزِ الأشجارِ،
حيثُ يَتَبَرَّعُمُ البِنَفْسُجُ المُحْتَشِمُ؛

لكنَّ المِياهَ تتقاطِرُ بَطِيشَةً، والحَفِيفَ
الخافَتَ يَهْمِسُ طوالَ اليومِ: على أَنَّ
القُرَى هناكُ تَسْتَكِينُ
صامِتَةً طوالَ الظَّهِيرَةِ.

إِلَى تَسِيمَر

عز: الإنسان أقول : إن يكن عفيفاً وحكيماً،
فماذا ينقصه؟ أتنموا على هذه الأرض
سنبلة قمح أو عنقود كرم
أنضج من كل العناقيد

يُمكن أن يُطعمه؟ وإليك معنى هذا:
الصديق غالباً هو المحبوب، الفن كثير.
أيها العزيز، الحق أقول لك: روح
ديدالوس روحك وروح الغابة روحك.

الصَّيْف

لا يَزَالُ بُوْشَعَكَ أَنْ تَرَى هَذَا الْمَوْسَمَ
مُروِجُ الصَّيْفِ بِإِشْرَاقِهَا وَلُطْفِهَا تَتْبَاهَى.
وَحُضْرَةُ الْمُروِجِ، وَضَاءَةٌ، تَمْتَدُّ
حَيْثُ الْغَدِيرُ بِكُلِّ مُوَيِّجَاتِهِ يَنْسَابُ.

هَكَذَا تَرَى النَّهَارُ يَشْرُدُ عِبرَ الْوُدَيَانِ وَالْجِبَالِ،
يَتَهَادَى مُزْدَانًا بِأَلْقِ شُعَاعِهِ وَلَا شَيْءَ يَغْتَرِضُهُ،
أَمَّا الْغُيُومُ فَتَنْسَابُ هَادِئَةً فِي الْأَعَالِي
فَيَبْدُو الْعَامُ مُتَبَاطِئًا فِي سَنَاهُ.

خادمكم المتواضع والمطيع

29 مارس 1940

سكاردانللي

الْخَرِيفُ

خُرَافَاتُ تَرَحَّلُ عَنِ الْأَرْضِ، خُرَافَاتُ عَنْ رُوحٍ
وَلَّتْ وَالْآنَ تَعُودُ، تِلْكَ الْخُرَافَاتُ تَوُودُ إِلَى الْبَشَرِ.
وَنَتَعَلَّمُ نَحْنُ الْكَثِيرُ مِنَ الزَّمَنِ
الَّذِي يَسْتَهْلِكُ نَفْسَهُ دُونَ تَأَنٍّ

لَا تَتَخَلَّى الطَّبِيعَةُ عَنْ صُورِ الْمَاضِي،
وَإِذْ تَصِيرُ الْآيَامُ فِي أَوْجِ الصَّيْفِ شَاحِبَةً،
يَعُودُ الْخَرِيفُ إِلَى الْأَرْضِ،
وَتَتَجَمَّعُ ثَانِيَةً رُوحُ الْأَمْطَارِ فِي السَّمَاءِ.

انْتَهَى الْكَثِيرُ فِي فِتْرَةٍ وَجِيزَةٍ؛
وَالْقُرُوبِيُّ خَلْفَ مِخْرَافِهِ
يَرَى الْعَامَ يَمِيلُ نَحْوَ نِهَآيَةٍ سَعِيدَةٍ،
فِي مِثْلِ هَذِهِ الصُّورِ يَكْتَمِلُ يَوْمُ النَّاسِ.

فَلَكُ الْأَرْضِ الْمُرَصَّعُ بِالصُّخُورِ
لَا يُشَبِّهُ غَيْمَةً تَفْقَدُ نَفْسَهَا فِي اللَّيْلِ؛
هَا هُوَ يَتَجَلَّى نَهَاراً ذَهَبِيّاً
فِي نَالِ رِضَا الْكَمَالِ

الشَّتَاءُ

حِينَ تَخْتَفِي الْآنَ صُورُ الشَّتَاءِ
وَتُصْبِحُ مَاضِيًا، تُقْبِلُ فِتْرَةُ الشَّتَاءِ ؛
الْحَقْلُ خَالٍ، وَالْمَشْهَدُ يَبْدُو أَلْطَفَ،
تَهْبُّ الْعَوَاصِفُ وَتَهْجُمُ الْأَمْطَارُ.

تَبْدُو نِهَايَةَ الْعَامِ مِثْلَ يَوْمِ عُطْلَةٍ،
كَأَنَّهَا نَبْرَةٌ سُؤَالٍ يَنْشُدُ الْاِكْتِمَالَ،
حِينَئِذٍ يَظْهَرُ الرَّبِيعُ. هَكَذَا تُشْرِقُ
الطَّبِيعَةُ سَنِيَّةً عَلَى الْأَرْضِ.

خادمكم المتواضع والمطيع
سكاردانللي

24 أبريل 1849

الرَّبيع

حين يُقبلُ الرَّبيعُ منَ الأعماقِ
ويقتحمُ الحياةَ، يتعجَّبُ النَّاسُ،
وتتعالى الكلماتُ منَ ذكاءِ أذهانِهِمْ،
تعودُ البهجةُ ويَعُمُّ الاحتفالُ بالشَّعرِ والغناء.

تناغمُ الفُصولِ يُوقظُ لدى الحياةِ إحساساً بذاتها، هكذا تقتَرَنُ
الطَّبيعةُ والروحُ أبداً بإدراكنا، ويتوحدُ في أذهاننا الكمالُ؛
وهكذا ينبعثُ لدى أشياء كثيرةٍ إحساسٌ بذاتها،
وينبعثُ ذلكَ الإحساسُ لدى أغلبِها بفضلِ الطَّبيعةِ.

خادمكم المتواضع والمطيع

24 ماي 1758

سكاردانللي

[في الزُّرْقَةِ البَدِيعَةِ ...] (*)

فِي الزُّرْقَةِ البَدِيعَةِ يُزْهَرُ بُرْجُ الكَنِيسَةِ بِسَقْفِهِ المَعْدِنِيِّ. حَوْلَهُ
يَحُومُ صَيَاحُ العَصَافِيرِ، وَبِهِ تُحِيطُ زُرْقَةٌ لَا حَدَّ لِمَا تُثِيرُهُ مِنْ
أَشْجَانِ. الشَّمْسُ فِي الْأَعَالِي تَتَبَاطَأُ فَوْقَهَا وَتُلَوِّنُ صَفَائِحَ
الْقَصْدِيرِ، لَكِنَّ دِيكَ الرِّيحِ عَلَى قِمَّتِهَا يَصِيحُ صَامِتًا. لَوْ يَأْتِي
الْآنَ أَحَدٌ تَحْتَ الجَرَسِ، لَوْ يُقْبَلُ هَابِطًا تِلْكَ الدَّرَجِ، لَبَدَتْ
اللَّوْحَةُ سَاكِنَةً، فَلَدُونَةُ الكَائِنِ البَشَرِيِّ تَبْدُو وَاضِحَةً وَإِنْ
كَانَتْ هَيْئَتُهُ مُنْعَزَلَةً هَكَذَا. تَبْدُو النَوَافِذُ الَّتِي تُقَرِّعُ وَرَاءَهَا
الْأَجْرَاسُ بَوَابَاتٍ تُفْضِي إِلَى الْبَهَاءِ. تَبْدُو الْبَوَابَاتُ هَكَذَا
لَأَنَّهَا لَا تَزَالُ مُطَابِقَةً لِلطَّبِيعَةِ، فَهِيَ شَبِيهَةٌ بِأَشْجَارِ الْغَابِ. لَكِنَّ
الصَّفَاءَ أَيْضًا بَهَاءً. بِالْدَّخْلِ تُشَكَّلُ مِنَ التَّنَوُّعِ رُوحٌ وَقَادَةٌ.
لَكِنَّ هَذِهِ الصُّورَ فِي غَايَةِ الْبَسَاطَةِ، وَهِيَ مِنَ الْقُدْسِيَّةِ بِحَيْثُ
يَتَهَيَّبُ الْمَرْءُ حَقًّا مِنْ وَصْفِهَا. لَكِنَّ الْآلِهَةَ السَّمَاوِيَّةَ، وَهِيَ

* نسبة هذا النص إلى هلدنلين غير ثابتة، لكنه بدون شك مستمد من أقواله أثناء فترة جنونه. والنص مأخوذ من رواية Phaeton (1823) لفلهلم فايلنجر Wilhelm Waiblinger. وقد كان فايلنجر قريباً من هلدنلين واستفاد من معرفته به في بناء شخصية النحات Phaeton. وورد في مذكرات فايلنجر أنه كان مطلعاً على أعمال هلدنلين غير المنشورة. وقد قدم لهذا النص المقتطف من روايته كما يلي: «... كان في ذلك الوقت يملاً بالكتابة كل ورق يحصل عليه. وهذه بضع صفحات من أوراقه، وهي توحى بفضاعة الاضطراب المقلبي الذي كان يعاني منه. وقد كتبت هذه الأوراق على شكل أبيات بأسلوب بندار». والأرجح أن فايلنجر اقتبس هذا النص من قصيدة أو قصائد كان قد تسلمها من الشاعر.

أبدًا خَيْرَةً، تَحْطَى، كالأثرياء، بكلِّ الأشياءِ في نفسِ الآن؛
تَحْطَى بِالْفَضِيلَةِ وَالْمُنْتَعَةِ. فَلْيَقْتَدِ النَّاسُ بِهَا. أَبُوسَعُ الْإِنْسَانِ،
حِينَ تَكُونُ الْحَيَاةُ كُلُّهَا شِدَّةً، أَنْ يَتَطَلَّعَ إِلَى الْآلِهَةِ وَيَقُولَ: أَنَا،
أَيْضًا، أَوَدُّ أَنْ أَكُونَ بِهَا شَبِيهَا؟ أَجَلٌ. بُوسَعُ الْإِنْسَانِ أَنْ يُقَارَنَ
نَفْسَهُ بِالْآلِهَةِ وَيَسْعَدَ لِلْمُقَارَنَةِ مَا دَامَ اللَّطْفُ، وَاللُّطْفُ طَاهِرٌ،
مُقِيمًا بَقَلْبِهِ. هَلِ الرَّبُّ مَجْهُولٌ؟ أَيْتَجَلَّى سَمَاءٌ؟ مِنْ هَذَا
أَنَا وَاثِقٌ. وَهَذَا هُوَ مَقْيَاسُ الْإِنْسَانِ. شَاعِرًا يُقِيمُ الْإِنْسَانَ عَلَى
هَذِهِ الْأَرْضِ، مَعَ أَنَّهُ مُثْقَلٌ بِمَا يَمْلِكُ. لَكِنْ، إِنْ جَازَ لِي
أَنْ أَقُولَ هَذَا، لَيْسَ ظِلَامُ اللَّيْلِ، رَغَمَ كُلِّ النُّجُومِ، أَصْفَى مِنْ
الْإِنْسَانِ الَّذِي يُدْعَى صُورَةَ الرَّبِّ.

هَلِ هُنَاكَ مَقْيَاسٌ عَلَى الْأَرْضِ؟ كَلَّا، لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ مَقْيَاسٍ.
فَعَوَالِمُ الْخَالِقِ لَا تَعَوُّقُ أَبَدًا قُدُومَ الرَّعْدِ. الزَّهْرَةُ أَيْضًا جَمِيلَةٌ
لَأَنَّهَا تَتَفَتَّحُ فِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ. وَغَالِبًا مَا تَكْتَشِفُ الْعَيْنُ فِي
الْحَيَاةِ كَائِنَاتٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُعَدَّ أَبْهَى مِنَ الزُّهُورِ آه، كَمْ أَنَا
مُدْرِكٌ لَذَلِكَ! فَهَلِ يَسُرُّ الرَّبَّ أَنْ تَنْزِفَ أَنْتِ، أَنْ تَنْزِفَ
رُوحُكَ كَمَا يَنْزِفُ جَسَدُكَ؟ هَلِ يَسُرُّهُ أَنْ تَفْنَى أَنْتِ فَنَاءً
مُطْلَقًا؟

لَكِنَّ الرُّوحَ، فِي اعْتِقَادِي، يَنْبَغِي أَنْ تَظَلَّ طَاهِرَةً، وَإِلَّا بَلَغَ

السُّرُّ الطَّائِرُ مَقَامَ الرَّبِّ بِالْمَدَائِحِ وَبَأْصَوَاتِ آلاَفِ الطُّيُورِ.
 إِنَّهُ الْجَوْهَرُ، الصُّورَةُ. أَيُّهَا الْجَدِّيُولُ الْجَمِيلُ، إِنَّكَ تَبْدُو
 مُؤَثَّرًا وَأَنْتَ عَبْرَ الْمَجْرَّةِ تَتَرَقَّرُقُ بِهَذَا الصَّفَاءِ. صَافٍ
 أَنْتَ كَأَنَّكَ عَيْنُ الْإِلَهِ. أَعْرِفَكَ جَيِّدًا، لَكِنَّ الدُّمُوعَ مِنْ عَيْنَيَّ
 تَتَدَفَّقُ. وَأَرَى حَيَاةً صَافِيَةً تُزْهَرُ مِنْ حَوْلِي، تُزْهَرُ أَشْكَالًا مِنْ
 أَشْكَالِ الْخَلْقِ، لِأَنَّنِي أَقَارِنُهَا بِالْيَمَامَاتِ الْمُتَوَحَّدَةِ فِي فِنَاءِ
 الْكَنِيسَةِ. لَكِنْ يَبْدُو أَنَّ ضَحِكَ النَّاسِ يُحْزِنُنِي، فَأَنَا شَفِيقٌ.
 هَلْ أَوْدُ أَنْ أَصِيرَ نَجْمًا مُذْنَبًا؟ أَظُنُّ أَنَّي أُرِيدُ ذَلِكَ. فَلِهَذِهِ
 النُّجُومُ سُرْعَةُ الطُّيُورِ، إِنَّهَا تُزْهَرُ نَارًا وَتُضَاهِي الْأَطْفَالَ فِي
 الصَّفَاءِ. لَيْسَ بَوَسْعِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ تَتَطَاوَلَ فَتَشْتَهِيَ
 أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. صَفَاءُ الْعِفَّةِ أَيْضًا جَدِيرٌ بِالْمَدِيحِ، جَدِيرٌ بِأَنْ
 تَمْدَحَهُ الرُّوحُ الْوَقُورُ الْحَائِمَةُ بَيْنَ الْأَعْمَدَةِ الثَّلَاثَةِ فِي
 الْحَدِيقَةِ. يَنْبَغِي أَنْ تُكَلِّلَ عَذْرَاءُ جَمِيلَةٌ هَامَتَهَا بِزُهُورِ الْآسِ،
 لِأَنَّ أَحَاسِيسَهَا بَسِيطَةٌ بِسَاطَةً طَبْعُهَا. لَكِنَّ زُهُورَ الْآسِ
 يَنْبَغِي أَنْ تُلْتَمَسَ فِي بِلَادِ الْإِغْرِيقِ.

لَوْ حَدَّقَ شَخْصٌ مَا فِي الْمِرَاةِ، لَوْ حَدَّقَ فِي الْمِرَاةِ رَجُلٌ،
 وَرَأَى فِيهَا صُورَتَهُ كَأَنَّهَا لَوْحَةٌ مَرْسُومَةٌ، لَكَانَتْ الصُّورَةُ
 شَبِيهَةً بِالرَّجُلِ. لِلصُّورَةِ عَيْنَانِ، فَيَمَا الثُّورُ لِلْقَمَرِ. لَعَلَّ لِلْمَلِكِ

أوديبَ عينا زائدة. آلامُ هذا الرَّجل تبدو فوق الوصف، فهي عصيّة على التعبير، عصيّة على الكلام. إن قدّمت المسرحية ما يُشبه هذا، فتلك هي العلة. لكن ما ذا يتبأني إن أنا الآن فكّرتُ فيك؟ كالغُدرانِ يجرّفني بعيداً طرفُ شيءٍ ما، شيءٍ مُترامٍ كأنّه القارّةُ الأسويّة. هذا البلاءُ، طبعاً، مَسَّ أوديبَ أيضاً. واضحٌ أن ذلك هو السبب. فهل عانى هرقلُ بدوره هذا البلاء؟ فعلاً. والتّوّامانِ ذيوسكوري هل عانياهُ، في صداقتهما، أيضاً؟ فإنّ تحاربَ الرَّبِّ، كما فعلَ هرقلُ، ذاك هو البلاءُ. وأنّ تنخرطَ في الخلودِ وسطَ غِبْطَةِ هذه الحياة، ذلك أيضاً هو البلاءُ. لكن، هذا أيضاً هو البلاءُ. أن يُغطّي الكلفُ هكذا جلدَ المرءِ، أن تُعمّ الجسدَ ألفُ ألفِ وضمّة! الشَّمْسُ الجميلة تُسبّبُ ذلك: فهي تُنشئُ كلَّ الأشياءِ. إنّها تقودُ الفتيانَ على دُروبهم وتُغريهم بأشعتها كأنّها تُغويهم بالورود. البلاءُ الذي تحمّله أوديبُ يبدو شيئاً بهذا، شأنه شأنُ رَجُلٍ تعيسٍ يشكو لأنّه محرومٌ من شيءٍ ما. يا ابنَ لايوسَ، أيّها البائسُ الغريبُ في أرضِ الإغريق! الحياةُ مَوْتُ، والمَوْتُ حياةٌ.

